الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

مطبوعة دروس:

في مقياس فلسفة العلوم 2

لفائدة طلبة السنة الثالثة ليسانس

تخصص: فلسفة

اعداد الدكتورة: مجكدود ربيعة.

السنة الجامعية: 2024/2023

المحاضرة الأولى: في فلسفة العلوم

تمهيد

توجد صلة بين الفلسفة والعلم، ومثلما يؤثر العلماء بعلومهم في بناء المعارف والأنظمة الفلسفية، فكذلك يؤثر الفلاسفة بأنظمتهم الفلسفية في بناء المعرف العلمي، والتغير من نظام علمي إلى آخر، إن أعظم المبدعين في القرن العشرين يؤكدون على حتمية وجود رابط بين العلم والفلسفة. فالتغيرات الأساسية في العلم كانت مقترنة بمزيد من التعمق في الأسس الفلسفة، ويتضح من كل هذه الاعتبارات أن على كل من ينشد فهما مقبولا لعلوم القرن العشرين وأن يكون بقدر كبير من الفكر الفلسفي. فالصلة بين العلم والفلسفة تكشف حتما عن كثير الصلات بينهما حد التلاحم وهو ماسمي ب "فلسفة العلوم.

1-مفهوم فلسفة العلوم، وغايتها، وموضوعاتها :

"فلسفة العلوم" مصطلح غامض عائم[1]، فكل تفكير في العلم، أو في أي جانب من جوانبه، في مبادئها وفروضه أو قوانينه، في نتائجه الفلسفية أو قيمته المنطقي والأخلاقية، هو بشكل أو بآخر "فلسفة للعلم". وهو يرتبط بشكل أساسي بالنزعة الوضعية والنزعة التجريبية.

ولاشك أن المصطلح محتواه يرتبط بالفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي "أوغست كونت" (1798 – 1858)، الذي عرف فلسفة العلوم بأنها: "نظرة وحيدة تركيبية، معا يلفها المرء على جميع العلوم، وعلى القوانين التي تكشف عنها، والمناهج التي تستخدمها، والغايات التي يجب أن تسعى إليها"[2]. بهذا المعنى فهي في نظره البديل العلمي الوضعي، للفلسفة الميتافيزيقية. لهذا فإن فلسفة العلوم مرتبطا بكل ما يتصل بالعلم من قريب أو من بعيد، ليتسع مجاله الدلالي فيشمل(علم الاجتماع) و(علم نفس العلم) و(تاريخ العلم). وحسب رأي مؤلفين أمركيين معاصرين، يمكن التفلسف في العلم، من وجوه أربعة:

---

[1] محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان،ط5، 2002، ص 24.

[2] ليفي برول، فلسفة أوغست كونت، ترجمة محمد قاسم والد بلوى، مكتبة الأنجلو المصرية، الاسكندرية، (د.ت)، ص 132.

-دراسة علاقات العلم بكل من العالم والمجتمع، أي العلم من حيث هو ظاهرة اجتماعية.

- محاولة وضع العلم في المكان الخاص به ضمن مجموع القيم الإنسانية.

- الرغبة في تشييد فلسفة للطبيعة انطلاقا من نتائج العلم.

-التحليل المنطقي للغة العلمي.

ومن خلال استقراء لمختلف القضايا العامة التي تصبو فلسفة العلوم إلى فهمها وتفسيرها، كانت المحاولة وغيرها من المحاولات الفلسفية، التي تناولت المعرفة بشكل عام والمعرفة العلمية بشكل خاص، هي التي نسميها بمصطلح "فلسفة العلوم" تختلف عن الفلسفة العلمية من حيث أن الأولى دراسة تحليلية نقدية لمفاهيم العلوم، بينما الثانية تتوسل بالنتائج العلمية للعلوم لرسم صورة شاملة للكون. لذا تنبثق من فلسفة العلوم فلسفات علوم كثيرة مثل فلسفة الفيزياء، وفلسفة الكيمياء، وفلسفة علم الحياة، وفلسفة الكيمياء، وفلسفة الرياضيات وغيرها. ولقد فصل محمد محمود الكبيسي في مؤلفه" فلسفة العلم ومنطق البحث العلمي"، الموضوعات التي تحاول فلسفة العلوم مناقشتهاوالغاية منها وهي كالتالي[1]:

1-تتناول "فلسفة العلوم" بالدراسة والتحليل والنقد المعرفة وأنواعها، أمثال المعرفة الحسي، والمعرفة العقلية، والمعرفة التجريبية، والمعرفة الحدسية وغيرها من المعارف العلمية لبيان درجة اليقين فيها وحدودها في الوصول إلى الحقيقة، والموضوعات الني تتعامل معها هذه المعارف، ومدى امكانها تحقيق اليقين فيها، وبيان الشروط المنطقية الصحيحة

2- تتناول بالدراسة والتحليل والنقد مناهج البحث العلمي، والطرق المنطقية التي تعتمدها تلك المناهج في الوصول إلى الحقيقة، ولهذا تتوجه بالمناقشة والتحليل لموضوعات مثل القياس، والاستقراء، والاستدلال وبيان درجة اليقين فيها. كما تهتم بدراسة وتحليل موضوعات

[1] محمد محمود الكبيسي، فلسفة العلم ومنطق البحث العلمي، بيت الحكمة، بغداد، العراق، 2009، ص ص 134-135.

منهج البحث العلمي الاخرى مثل الملاحظة، والفرضيات، والقوانين العلمية، وغيرها من المواضيع من أجل الوقوف على الشروط والقواعد والأسس المنطقية التي تقوم عليه.

3- كما تتناول بالدراسة والتحليل المفاهيم العلمية من أجل الوصول إلى درجة عالية من الدقة والوضوح فيها، وبيان الشروط والقواعد المنطقية الصحيحة، ودورها في بناء المعرفة والنظريات وطريقة تعريف بعضها في البعض بالتمييز بين المعرفات واللامعرفات.

وهكذا تتبين موضوعات فلسفة العلم، وغاياتها الأساسية المتمثلة بتحليل هذه الموضوعات ونقدها، فضلا عن ما يترتب على عملها هذا من غايات اخرى، ومنها عقد الصلة بين الفلسفة والعلم، وبالتالي التقريب بين العلوم الإنسانية والطبيعية، وتوحيد البناء الداخلي للإنسان الذي تشكلت بداخله ثقافتان متمايزتان علمية وانسانية. ومن الغايات الأخرى المترتبة على عملية التحليل والنقد توحيد جميع الاتجاهات الفلسفية والعلمية تحت راية الحقيقة ووحدتها العلمية، وايجاد منطق عام تنطوي تحت لوائه كل العلوم، وتستمد منه الشروط المنطقية في التعامل مع موضوعاتها مما يؤدي إلى وحدة العلوم، ولكي تتحقق هذه الغايات، فلا بدّ من أن يتوفر في التفسير شروط، منها:

-أن يكون لغاية معرفية إبستمية.

-يقدم لما تفسي لما يحصل.

- أن تمكننا من التمييز بين التفسير الجيد والتفسير السيئ، الصحيح والخاطئ.

-أن يمكننا من التمييز بين التفسير العلمي وغيره من التفسيرات(الدينية أو العامية)[1].

بهذه الشروط تتولى "فلسفة العلوم" دراسة المفاهيم العامة التي تكون مشتركة بين العلوم كلها، وتدخل الدارس في كثير من الحقول التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة مع الموضوع الذي يبحث فيه العلم ، ولا تتقيد بمفهوم خاص بعلم معين بذاته، وهذا ما عبر عنه جيلينز:" إن فلسفة العلم ليست – كما يبدو للوهلة الأولى- بحثا ضئيل الشأن، ولا صاحبها

[1] Anouk Barrerouse et Autre(Sous la direction),Précis de philosophie des sciences, Paris, Vuibert, 2011, p p 23-24.

باحثا معزولا في برج عاجي، بل إن قضايا العلم كثيرا ما تمس مجالات، السياسة، والدين مسا مباشرا، وبالتالي فهي تبعث الروح وتجدد الحيوية لهذه المجالات"[1].

2-فلسفة العلوم وفروع المعرفة المتداخلة معها:

أ- فلسفة العلوم والابستمولوجيا:

لفظ الابستمولوجيا، لفظ يوناني مفاده" خطاب في العلم" وهو كلمة مؤلفة من لفظين هما: ايبيستيمو: معرفة ولوجوس: علم أو معرفة. أما استعماله في المؤلفات الفلسفية الحديثة، فكان مع " اميل اميرسون" في كتابه " الهوية والواقع". لكن أولى الاستعمالات الحديثة لهذا المصطلح مع " فريدريك فيري"، وفيه قسم الفلسفة إلى قسمين: الأنطولوجيا والابستمولوجيا. غير أن أشهر التعاريف المتعددة في الدراسات الفلسفية الحديثة والمعاصرة تعريف لالاند الذي مؤداه:" أن هذه الكلمة فلسفة العلوم، لكن بمعنى أكثر دقة، فهي ليست دراسة خاصة لمناهج العلوم، لأن موضوع هذه الدراسة هو الميتودولوجيا، وهي جزء من المنطق. كما أنها ليست أيضا تركيبا أو توقعا حدسيا للقوانين العلمية على الطريقة الوضعية. إنها الدراسة النقدية لمبادئ وفروض ونتائج العلوم المختلفة، الدارسة الهادفة إلى تحديد أصلها المنطقي غير السيكولوجي، وقيمتها ومدى موضوعيتها، وينبغي أن نميز الابستمولوجية عن نظرية المعرفة، بالرغم أنها تمهيد لها وعمل مساعد لا غنى عنه. من حيث أنها تدرس المعرفة بالتفصيل وبكيفية بعدية في تنوع العلوم والموضوعات إلا في وحدة الفكر"[2].

إن المتفحص لهذا التعريف ، يتبين له مايلي:

[1] حسين علي، مقدمة لكتاب دونالد جيليز، فلسفة العلم في القرن العشرين، ترجمة حسين علي، دار التنوير ، لبنان، ط1، 2009، ص ص 20-21.

[2] Lalande André, Vocabulaire Technique et Critique de la Philosophie, Ed, P.U.F .France, 1996,p 1127.

-إن الابستمولوجيا هي فلسفة العلوم، ولكم بمعنى دقيق ينفي عليها بعض المجالات المعرفية مثل دراسة مناهج العلوم، لأن هناك علم قائم بذاته يهتم بهذه الدراسة، هو الميتودولوجيا، وهي جزء من المنطق.

- الابستمولوجيا لا تتوقف على الدراسة الوضعية المعتمدة أساسا على التحليل المنطقي للمعرفة العلمية.

-الابستمولوجية دراسة معينة بالناحية النقدية والتاريخية للمعارف العلمية.

- إنها ليست نظرية المعرفة بل تمهيد ومدخل لها.

- الابستمولوجيا هي الدراسة النقدية لمبادئ ونظريات ونتائج العلوم، وتحديد أساسها المنطق وقيمتها ومدى موضوعيتها.

منه يمكن القول إن الابستمولوجيا تتميز عن كل ما يتداخل أو يتقاطع معها عن فلسفة للعلم أو المنهجية أو الميتودولوجيا أو نظرية المعرفة، ومن الصعب رسم حدود تفصل فلسفة العلوم والابستمولوجيا ، على الرغم أن الأولى أعم من الابستمولوجيا، بل الأكثر من ذلك تحتويها، بينما الثانية موضوعها العلوم فقط، بينما فلسفة العلوم قد تتعدى لتتناول العلم ومن عدة زوايا: انطولوجية ، وابستمولوجية، والأكسيولوجية. لكن رغم ذلك الملاحظ في الغالب هو استعمال المصطلحين بنفس المعنى عند الكثير من الدارسين أو حتى المفكرين.

ب- فلسفة العلوم وتاريخ العلم:

يعتبر تاريخ العلم من المباحث الجديدة نسبيا في مجال الدراسة، وما يمكن قوله أنه ذلك العلم الذي يهتم بتاريخ العلوم وفي بداياته كان مرتبطا بسرد للسير الذاتية للعلماء وإنجازاتهم، ثم تعمق فيه شيئا فشيء على يد أوغست كونت بشكل عام، لكنه سرعان ما بدأ هذا المبحث يعرف انتشارا واسعا وكتخصص، ومنه بدأ مؤرخو العلم في دراسة الأحداث الكبرى التي ساعدت على تقدم العلوم، وكذلك برامج البحث، والتي أدت إلى كشوفات مهمة[1].

[1] دونالد جيليز، فلسفة العلم في القرن العشرين، مرجع سابق، ص ص 21-22.

إلى جانب ذلك، ظهرت الحاجة الملحة لهذه الدراسات –تاريخ العلم– خاصة بعد التطور الهائل الذي عرفته العلوم، وهذه الأخيرة فعلمها يكمن في تاريخها ويرتبط بشكل جذري بالفلسفة، بل بفلسفة العلوم فهما مبحثان متداخلان، والعلاقة بينهما حميمية. لأن تاريخ العلم هم مختبر فلسفة العلوم، ومثلما أن تاريخ العلم لفلسفة العلوم، وفي بعض الأحيان يتم تبادل الأدوار بين مؤرخ العلوم ودارس فلسفة العلوم، ذلك أن الأول لا يكتفي بتسجيل التاريخ الذي يمر به الفكر العلمي، دون أن تكون له نظرة نقدية يستقرأ من خلالها هذه التعاقبات، " كما أنه من الضروري لفيلسوف العلم أن يعتمد على تاريخ العلوم، إن المادة التي تكون موضوعا لعمل فيلسوف العلم يستخلص منها بعض التصورات العامة ويعاملها بهذه التصورات هي التي يمد بها مؤرخ العلوم"[1].

ج– فلسفة العلوم والميتودولوجيا:

الميتودولوجيا مصطلح يرجع إلى الكلمة اليونانية ميتود Méthodos " وتعني الطريق إلى... المنهاج المؤدي إلى...) هي علم المناهج، والمقصود هنا: مناهج العلوم. والمنهاج العلمي هو جملة من العمليات العقلية، والخطوات العملية التي يقوم بها العالم، من بداية بحثه حتى نهايته، من أجل الكشف عن الحقيقة والبرهمة عليها"[2].

لعل أهم علاقة تربط بين فلسفة العلوم والميتودولوجيا :

- من جهة أن مضمون الدراسة في فلسفة العلوم بالمعنى الوضعي يتركز أساسا على دراسة مناهج العلوم، إلا أن الفارق فيما بينهما في اهتمامهما بالمناهج، حيث أن الأولى تهتم بنقد علمية المنهج، في حين عمل الميتودولوجيا يتوقف على الوصف أي وصف المنهج المستعمل، دون تجاوز ذلك إلى النقد.
- أما النقطة الثانية التي تربط بينهما هي أن فلسفة العلوم ملحقة بالعمل العلمي، بمعنى أن المنهج ليس سابقا على البحث العلمي ولا المختص في المنهجية سابق على

[1] محمد وقيدي، ماهي الابستمولوجيا، مكتبة المعارف للنشر التوزيع، الرباط، ط2، ص253.

[2] محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مرجع سابق، ص ص 22–23.

العالم، وإذا كانت فلسفة العلوم تهتم بالنقد، فإن المهتم بالمنهجية يقتصر عمله على دراسة مختلف المناهج دراسة وصفية تحليلية من أجل بيان عملية الكشف العلمي.

المحاضرة الثانية: كارل بوبر والنزعة التكذيبية

تمهيد

يعد "كارل بوبر" (1902-1994) من أشهر فلاسفة العلم في القرن العشرين، ارتبط اسمه بالمحاولات الجادة لإيجاد بديل للاستقراء، ونقده للنزعة الاستقرائية، وتأسيسه لمعيار "القابلية للتكذيب" الذي يعتبر محور أفكاره في الشق المنهجي ومحاولة لقلب المنهج الاستقرائي رأسا على عقب، كما ارتبط اسمه "بالعقلانية النقدية" التي شكلت الطابع العام لفلسفته العلمية .

1-كارل بوبر ونقد النزعة الاستقرائية:

لقد انطلق اهتمام كارل بوبر بمسألة الاستقراء من محاولته التمييز بين القضايا العلمية والقضايا الغير العلمية، ولما كان الاستقراء هو الفيصل في مثل هذه الأمور، عكف بوبر على دراسته ولما وجد أن الاستدلال الاستقرائي يعني الانتقال من قضايا جزئية إلى قضايا كلية، وهذا الأمر يتخلله لبس ما وكالعادة تثير مشكلة ما، بحيث " الاستقراء كمنهج ومبدأ لا أساس له من المنطق ولا من الواقع"[1] ويمكننا أن ندرج تحت مشكلة الاستقراء الإشكاليات التالية: على الاستدلالات الاستقرائية مبررة؟ أو يمكن تبريرها وفق أية شروط؟ كيف يمكن تأسيس صدق القضايا الكلية المستندة إلى الخبرة للعلوم الإمبريقية؟ هل هناك استدلالات استقرائية يمكن تبريرها منطقيا؟.

يرفض بوبر الاستقراء مبدأ ومنهجا أي من ناحيتي أصله وفائدته، فمن الناحية الأولى ينفي بوبر أن يكون لهذا المبدأ أساس منطقي خاص، أي لا يمكن ايجاد تبرير للاستقراء إلا

[1] محمد محمد قاسم، كارل بوبر نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995، ص 134.

بناء على مبدأ استقرائي آخر، وهذا يوصلنا إلى نتيجة بأن تبيري الاستقراء في إطار منطقي محاولة مآلها الفشل، إنه لا يوجد استدلال استقرائي البتة.

أما من الناحية الثانية وهي فائدته، فإن بوبر يرى أن الأهمية البالغة التي اكتسبها الاستقراء في المنهج العلمي تعود إلى ايماننا الشديد بمصداقيته ويقول بأن هذا المبدأ جاء ليعكس ما نتمناه لا ما هو واقع بالفعل[1]. إن وظيفة الفعل العلمي تكمن في فحص الفرضيات ويتم هذا بواسطة الاستنباط عن طريق اختبار النتائج التي تلزم عن تلك الفرضيات (في شكل تنبؤات)، وإن هذا الاختبار لا يؤدي بالتمام إلى إقامة صدق الفرضيات" إن تقويم الفرضية هذا يستند إلى النتائج الاستنباطية التي يمكن أن استخلاصها. إن الأمر لا يحتاج إلى مجرد تفترض الصياغة التقليدية للاستقراء أن نكون قادرين على تفسير المعرفة التي توصلنا إليها بنجاح، ولكن يرى بوبر أن تفسير كل نجاح في العلم أمر صعب فالتقدم العلمي دليل على النجاح في العلم... إن الاستشهاد بسلسلة لا تنتهي من الحوادث غير المحتملة لا يعد تفسيرا"[2].

إن ما يدعو بوبر إلى رفض الاستقراء أيضا، هو أنه لا يرى أي قدرة على تمييز العلم من الميتافيزيقا لذا نجده يقول:" ... ما دفعنا إلى رفض المنطق الاستقرائي هو تحديد أننا لم نجد فيه أي صفات الحدود الفاصلة، أي طابها مميزا لنظرية تجريبية وغير ميتافيزيقية"[3].

لقد رفض بوبر أن يكون المنهج الاستقرائي هو المنهج المعبر عن السير الحقيقي للعلم مستبدلا إياه بمنهج جديد ينسجم مع أسس العقلانية النقدية، ينطلق من العقل (الفروض والتخمينات)، وليس من الملاحظة والتجربة لينتهي إلى المحاولة الدائمة لتفنيد ودحض الحقائق العلمية، لا تبريرها .

2-نقد بوبر معيار مبدأ التحقق للتمييز بين العلم واللاعلم عند الوضعية المنطقية:

[1] بناصر البعزاتي، الاستدلال والبناء، دار الأمان، ط1، الرباط، 1999، ص 211.

[2] محمد محمد قاسم، كارل بوبر نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، مرجع سابق، ص 143.

[3] كارل بوبر، منطق البحث العلمي، مصدر سابق، ص 69.

نقصد بمبدأ القابلية للتحقق: "تحقق برهنة خصوصا في نظرية المنهج الاختياري يقال تحقق على مجمل العمليات التي يجري بواسطتها فحص الفرضية أو البرهان عليها"[1]. حقق تحقيق (برهن على) أي التحقق من خلال مواجهة الوقائع ومقارنتها من صفة القضية، أو فسادها مثال راقب فرضيته معتقدا بمقارنة ما يتضمن من النتائج من الوقائع المنظورة "" يثق العالم الفلكي ثقة كافية بمبادئ عمله لكي يبني بها نظريات رياضية لكن هذا لا يمنعه من البرهان عليه، ومن ضبطها بمشاهدات مباشرة"[2] وهو بذلك في مواجهة العالم الرياضي، الذي لم يعد يكلف نفسه عناء التحقق من مبادئ اختبارا.

حيث يعرف شليك مبدأ التحقق في عبارته: " إنه حتى نفهم القضية ما ينبغي أن نكون قادرين على أن نشير بدقة للحالات الفردية التي تجعل القضية صادقة، وكذلك الحالات التي تجعلها كاذبة وهي هذه الحالات هي من وقائع الخبرة، فالخبرة التي تعزز صدق القضية أو كذبها"[3].

أن الهدف الأساسي الذي سعت إليه الوضعية المنطقية هو التمييز بين ما هو علمي وما هو خارج حدود العلم و منه نطرح التساؤل: ما المعيار الذي اعتمدت عليه الوضعية المنطقية للتمييز بين العلم واللاعلم؟.

إن معيار التمييز بين العلم واللاعلم عند الوضعية المنطقية هو مبدأ " التحقق" فالقضايا التي يمكن التحقق منها في الواقع هي قضايا ذات معنى، أما القضايا التي لا يمكن التحقق منها في الواقع هي قضايا فارغة المحتوى وهي قضايا غير مهمة ومستبعدة، وأول من استبعدها هم شكاك اليونان وأصحاب المذهب الإسمي في العصور الوسطى، ولعل دفيد هيوم أول من سبق إلى نقد الميتافيزيقا وتأثرت به الوضعية المنطقية، فقد قسم القضايا إلى تحليلية وأخرى تركيبية. فالأولى تهتم بالأفكار بينما تهتم الثانية بالواقع وصدق الأولى هو

[1] أندري لا لاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، مج1، منشورات عويدات، بيروت، باريس ط1، 2001، ص 135.

[2] المرجع نفسه، ص 135.

[3] ماهر عبد القادر، فلسفة علوم المنطق الاستقرائي، ج1، ص 200.

صدق منطقي وتحصيل حاصل، بينما الثانية صدق الثانية يعتمد على الخبرة الحسية وأخذ الوضعيون هذا التقسيم، وقد كان السبب الرئيسي وراء رفضهم للقضايا الميتافيزيقية هو أنها غير قابلة لا للتكذيب ولا للتصديق ومن هنا اعتبرت الميتافيزيقا عندهم مجرد تأمل زائف.

إن معيار التحقق الذي جاءت به الوضعية المنطقية ولد الكثير من المشاكل ولعل أكثر فيلسوف انتقد معيارها في تمييز بين العلم واللاعلم هو كارل بوبر، إذ عمل على تقويض كل الأسس التي قامت عليها .

3-قابلية التكذيب في مقابل التحقق:

إن مفهوم قابلية التكذيب ظهر مع بوبر كمعيار للتمييز جاء به كبديل لمبدأ التحقق الذي رفضه وانتقده للوضعية المنطقية، فمعيار قابلية التكذيب يعطي للنظريات العلمية القدرة لمحاولة اجتيازه، فهو يحاول التمييز بين النظريات العلمية والنظريات غير العلمية، وتحديد ماهيتها:" قدم لنا بوبر المعيار وهي "معيار التمييز" بين ما هو علمي وما هو غير علمي، وبهذا قد يكون قد حدد لنا هذه النظريات والقضايا العلمية"[1]. بواسطة معيار التكذيب يمكن تحديد النظريات العلمية عن غيرها.

ظهر معيار التكذيب كخاصية بديلة للاستقراء، وهو يقوم بتمييز القضية العلمية عن غيرها من القضايا. فأعطى للبنيات الايجابية دور سلبي قائم على استبعاد الفروض ورفضها وتكذيبها، فالنظريات العلمية كلما كانت قابلة للاختبار كانت معرضة للدحض. فهذا المعيار جاء كبديل لمبدأ التحقق عند الاستقرائيين وجعله كارل بوبر أساسا للتمييز بين النظريات العلمية من غيرها.

يرى بوبر أن المعارف العلمية تتراكم ولا يكون لها أي معنى عن طريق تأييد الفرضيات من أجل تحقيقها، فيجعلها لا تتقدم ولا تتطور، فرفض الفرضيات التي لم تمر بهذا المعيار، لأنها ليست جديرة بالقبول." كان بوبر مناوئا لفكرة أن المعرفة العلمية تتراكم عن طريق

[1] حنان علي عواضة، النزعة العلمية في فلسفة كارل بوبر(بين التجربة والميتافيزيقا)، ط1، دار الهادي، بيروت، لبنان، 2002، ص 217.

التأييد الفرضيات تحقيقها، وفي تصور شديد للاختلاف والجدة الدينامية، ذهب بوبر إلى أن الفرضيات لا تكون جديرة بالقبول ما تكن قابلة للتكذيب"[1].

فمبدأ التكذيب هو المعيار الوحيد الذي يميز بين القضايا العلمية عن غيرها. ويتميز النسق النظري بمدى قابليتها للتكذيب، والدحض والتفنيد، فهي سمة بارزة في النظريات العلمية. يذهب بوبر إلى أن قابلية التكذيب هي المعيار الأصيل والمميز للقضايا العلمية عن غيرها وليس قابلة التحقق. فهذا المعيار هو الطريقة التي تؤدي إلى نمو المعرفة والعلم، والتي تجعلنا نفرق بين النظريات واختيار فيما بينهما، وهو يتيح لنا الفرص برفض واستبعاد القضايا واقتراح الأفضل. " فطريقة نمو العلم هي التي تجعل العالم يميز بين النظريات التي لديه ويختار أفضلها، كما تتيح له الفرصة لإبداء الأسباب لرفض النظريات واقتراح الشروط التي لابد من توفرها، حتى يمكن القول عن أية نظرية أنها مقنعة، ومفهوم النمو لا يعني مزيدا من الملاحظات والتجارب، بل يتمثل في التكذيب المتكرر للنظريات العلمية، وإحلال نظريات أخرى أكثر إقناعا لأن" منهج العلم هو ذلك المنهج القائم على التخمينات الجسورة، والمحاولات المتكرر لرفض هذه التخمينات"[2].

4-معيار التكذيب والقابلية التكذيب:

تعد مشكلة التمييز بين العلم واللاعلم من أهم المسائل التي تقوم عليها فلسفة علم كارل بوبر ويظهر ذلك من خلال قوله :" لقد ناقشت مشكلة التمييز تفصيلا لأنني اعتقد أن حلها هو إلا مفتاح لحل معظم المشاكل الرئيسية لفلسفة العلم"[3] ويعد معيار القابلية للتكذيب المعيار العقلاني لتمييز القضايا العلمية عن تلك غير العلمية، وفي هذا الصدد يقول "بوبر":" أن الدور الأساسي الذي تلعبه النظريات والفروض أو الحدوس الافتراضية في العلم

[1] عادل مصطفى، كارل بوبر مائة عام من التنوير ونضرة العقل، دار النهضة العربية، 2002، ص ص 68-69.

[2] ماهر عبد القادر علي، فلسفة العلوم والمشكلات المعرفية، مرجع سابق، ص ص 47-48.

[3] سهام النويهى، تطور المعرفة العلمية ـ مقال في فلسفة العلم ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1988 ص 36.

يجعل من الأهمية بمكان إن نميز بين النظريات القابلة للاختبار أو القابلة للتكذيب، وبين النظريات غير القابلة للإخبار أو غير القابلة للتكذيب" [1]

والقابلية للتكذيب لها وجهان، وجه صوري يحدد الصيغة المنطقية للنظريات العلمية، وهو مجرد معيار يحدد الخاصية العلمية لها، ووجه واقعي تختبر فيه النظرية عن طريق ما نستنبطه منها من الواقع التجريبي، وهذا الاختبار يؤدي إما إلى تفنيد النظرية، أو تعزيزها.

ويختلف معيار القابلية للتكذيب عن معيار"القابلية للتحقيق" الذي تبنته التجريبية المنطقية كأساس للتمييز بين المعنى واللامعنى، وبالتالي بين العلم واللاعلم، بعد أن طابقت بين المعنى والعلم، وبين اللامعنى واللاعلم، في حين يؤكد بوبر أن معيار قابلية التكذيب لا يعني أن النظريات غير القابلة للتكذيب، نظريات كاذبة أو بدون معنى بل هي نظريات لا تنتمي إلى عالم العلم التجريبي، وإلى أن تحين الفرصة لبيان كيفية تكذيبها[2].

فالنظرية غير القابلة الاختبار لا تعني بالضرورة أنها بدون معنى كما يفضي مبدأ القابلية للتحقيق عند التجريبية المنطقية، والقابلية للتكذيب ترتبط بالجانب المنطقي، فالنظرية العلمية تكون قابلة للتكذيب إذا كانت فئة مكذباتها بالقوة ليست فارغة[3]، أي مدى إمكانية حمل النظرية لمكذبات محتملة ، بمعنى وجود على الأقل قضية قاعدية قابلة للتنفيذ بالتجربة، وهذا ما يؤهل النظرية لأن تصنف داخل منظومة أو نسق العلم.

5-مبدأ القابلية للتكذيب والمحتوى المعرفي، والاحتمال:

ترتبط القابلية للتكذيب بالمحتوى المعرفي للنظرية، وهذا الارتباط يعطي للعلم خطوة ناجحة نحو الأمام والعلاقة بين المحتوى المعرفي للنظرية، ودرجة احتمالها، علاقة عكسية، بمعنى كلما زاد المحتوى المعرفي للنظرية تناقصت درجة احتمالها، وقابلية النظرية

[1] بوبر كارل، أسطورة الإطار، في دفاع عن العلم والعقلانية ، ترجمة ، يمنى طريف الخولي، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 2003 ، عدد 292 ، ص 124.

[2] المصدر نفسه، ص 117.

[3] بوبر كارل، منطق الكشف العلمي، مصدر سابق، ص 125.

للتكذيب يرتبط باتساع المحتوى المعرفي للنظرية، لا بتزايد درجة الاحتمال[1] فالنظرية التي يكون محتواها التجريبي والمنطقي كبيرين، يكون احتمال صدقها ضئيل ودرجة احتمالها ضئيلة ، وأفضل النظريات هي تلك التي لها محتوى غني، وقدرة تفسيرية كبيرة، وهي النظريات الأكثر قابلية للاختبار.

فنظرية اينشتاين ذات محتوى تجريبي أكبر من نظرية نيوتن، وهي أكثر قابلية للتفنيد نظرا لكثرة المفندات الممكنة، وتعتبر نظريات نيوتن واينشتين، ونظرية "الكوانتوم" ونظرية "الجينات" أمثلة عن النظريات الجريئة ذات المحتوى المنطقي الكبير.

والعلاقة بين المحتوى المنطقي والمحتوى التجريبي علاقة طردية، كلما زاد المحتوى المنطقي زاد المحتوى التجريبي، فالمحتوى المنطقي هو الذي يمثل القابلية للتكذيب استنادا إلى أنه يشير إلى القضايا المستنبطة من النظرية المتسقة معها أو غير المتسقة، أما المحتوى التجريبي فيشير خصوصا إلى التفنيد .

وقد تبين مما سبق أن القابلية للتكذيب تسمح بتحديد النظريات القابلة للتكذيب أي العلمية، أما التكذيب فيحدد القواعد التي تمكننا من اعتبار فرضية ما مكذبة، وتقول عن فرضية ما أنها كذلك إذا كانت هناك قضايا قاعدية تتناقض معها[2]ويجب الإشارة إلى أن تنفيذ فرضية ما يكون نهائي، أما تعزيزها فهو دائما مؤقت ولن نستطيع بتاتا التأكد من عدم تفنيد نظرية ما .

6-نمو المعرفة وتقدم العلم :

تقوم وجهة نظر بوبر حول المشروع العلمي والمعرفة بصورة عامة على أساس فلسفته النقدية، إذ يرى "بوبر" أن الخطأ صفة متأصلة في الطبيعة الإنسانية، وعلى هذا الأساس فإن مهمة النشاط العلمي هي العمل على كشف أخطائه واستبعادها وتفنيدها، يقول بوبر: "

[1] K. Popper , La connaissance objective , trad et préface par Jean Jacques Rosat ed. Flammarion , France 1991. p 60
[2] Ibid. p 147

إننا إذا ما أدركنا أن معرفتنا البشرية ليست معصومة من الخطأ، ينبغي علينا أيضا أن ندرك أننا أبدا لن نتيقن تماما من أننا لم نقع في الخطأ ".[1]

وبهذا التصور يضع بوبر التكذيب المحرك الأساس للبحث العلمي، وهو يمثل الطبيعة الايجابية لنمو العلم، فالمسيرة العلمية ليست تراكمية كما تصورها أعلام التجريبية المنطقية، بل هي مسيرة ثورية، إذ يقوم التقدم العلمي على إحلال نظريات محل أخرى، وتكون النظرية الجديدة ذات طابع ثوري، تنطلق من فروض تتجاوز بها النظريات القديمة ، وتتناقض معها أي ترفضها، وبهذا نجد أن التقدم في العلم أو على الأقل التقدم اللافت دائما ثوريا[2].

ويرتبط تقدم العلم ونمو المعرفة العلمية بقابلية التكذيب، على أساس أن المعرفة في تطور مستمر، فالنظريات في تطور بدرجات أعلى حتى تصل إلى أرفع مستوى من الصدق والشمولية في التفسير لأكثر قدر ممكن من الظواهر.

كما يرتبط مفهوم التقدم في العلم، عند بوبر بنظرية "التعزيز"، والمحتوى المتزايد للنظرية، ونعني "بالتعزيز" (درجة صمود فرضية ما أمام امتحانات قاسية)[3] ، أي أن التعزيز هو بمثابة تثمين مؤقت لنظرية ما، فالنظرية تعزز عندما تنجح في الاختبار وكلما كان الاختبار قاسيا كلما ارتفعت درجة التعزيز، وترتكز قسوة الاختبار على ما يتضمنه التنبؤ من محتوى لم يسبق معرفته بواسطة المعرفة الخلفية[4] .

وقد جعل بوبر من "التعزيز" المبدأ الفاصل بين النظريات المتكافئة والمتنافسة، فالنظرية المفضلة هي النظرية التي تصمد في التنافس أمام النظريات الأخرى وتبرر اختبارها بتخطيها كل الفحوص القاسية التي أجريت عليها حتى الآن، أي حتى لحظة معينة،

[1] كارل بوبر، بحثا عن عالم أفضل، تر أحمد مستجير، الهيئة المصرية للكتاب، مصر،1999، ص 15.

[2] كارل بوبر، أسطورة لإطار، مصدر سابق، ص 45.

[3] كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، ماهر عبد القادر محمد علي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص 273.

[4] سهام النوهيى، تطور المعرفة العلمية ، مرجع سابق، ص 54.

فالتنفيذ المتكرر للنظريات، وتعزيز التخمينات الجريئة هو المحرك الأساسي لنمو المعرفة وتقدم العلم " فالإسهامات الحاسمة في نمو المعرفة العلمية تنتج عندما يتم تأييد تخمين حذر، أو عندما يتم تكذيب تخمين حذر"[1].

إن هدف العلم حسب بوبر هو الاقتراب من الحقيقة ، أي البحث عن النظريات التي تتفق بطريقة أفضل مع الوقائع حيث يقول : "تفترض فكرة الاقتراب من الحقيقة، مثلها مثل فكرة الصدق كمبدأ موجه، نظرية أو رؤية واقعية للعالم، فهي لا تفترض أن الوجود الفعلي هو على النحو الذي تصفه نظريتنا العلمية، ولكنها تفترض وجودا فعليا، وأننا يمكننا أن نصل بنظريتنا التي هي أفكارنا التي خلقناها إلى وصف تقترب به من الفعلية متى استخدمنا منهج المحاولة والخطأ" [2] .

وتعد فكرة الاقتراب من الحقيقة إحدى الأفكار الهامة بالنسبة لنظرية العلم، من حيث أنها تتيح الفرصة للبحث الدائم واعادة النظر المستمر، فعقلانية النظرية حسب "بوبر" تكمن في الحقيقة التي مؤداها أننا نختارها لأنها فقط أفضل من النظريات السابقة عليها، ولأنها خضعت لاختبارات أشد قسوة، وبذلك تكون أكثر اقترابا من الحقيقة فبقدر ما تثبت النظرية T_2 أمام الاختبارات التجريبية المتعلقة بنقاط تختلف فيها مع T_1، بقدر ما يمكن النظر إليها وتقويمها كتقرب ظاهري أفضل من الحقيقة[3] .

والنظريات العلمية في تصور بوبر نظريات نامية ومتطورة، ومن ثم لا يمكن معرفة الخطوة أو المرحلة التالية لها، فبوبر لا يهتم بالتنبؤ، ولا بالمستقبل العلمي، بل اهتمامه ينصب على تطور العلم حتى وقتنا الحالي، " فالعلم يعيش في اللحظة الحاضرة وليس هناك يقين فيه، وهو لا يتضمن القدرة على التنبؤ، لأن ذلك لمناف لطبيعته ولنظرياته " [4]،

[1] ألان شالمرز، نظريات العلم، تر الحسين سحبان وفؤاد الصفا، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1994، ص 65.

[2] بوبر كارل ، الحياة بأسرها حلول لمشاكل ، تر بهاء درويش، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1994، ص 51.

[3] مصدر نفسه، ص52.

[4] محمد قاسم محمد، كارل بوبر، نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1986 ، ص 173- 174.

فالمستقبل العلمي طبقا لوجهة نظر بوبر غير معروف، والتقدم هو مغامرة في اللامعروف ، وفي الإمكانات المتفتحة[1]. إن التحول الأساسي الذي أحدثه بوبر ارتبط بدور "البيّنة "، فبعدما كان لها دور تحقيقي ايجابي عند النزعة الاستقرائية أصبح للبيّنة عند "بوبر" دورا تفنيديا، فالمنهج العلمي هو منهج التخمينات، والمحاولة الإبداعية الصارمة لتفنيدها .

وهذه الفروض والتخمينات غير قابلة للتبرير المنطقي، بل هي ذات بعد سيكولوجي حدسي، غير مرتبط بمنطق العلم وهنا ترتسم عقلانية بوبر النقدية في تصورها لديناميكية حركة نشاط البحث العلمي القائمة على النقد في المقابل العقلانية التجريبية المنطقية في تصورها لحركة البحث العلمي القائمة على فكرة التأسيس والتراكم التدريجي" لقد كان المذهب السلطوي في العلم مرتبطا بفكرة التأسيس، بمعنى إثبات نظرياته أو التحقق منها، بينما ترتبط المقارنة النقدية للعلم بفكرة الاختبار، بمعنى محاولة تفنيد حدوسه الافتراضية، أو تكذيبها"[2]

ويتجلى الطابع النقدي للمنهج في الصيغة التي حددها بوبر لحركة العلم ولتقدم المعرفة كالتالي :"

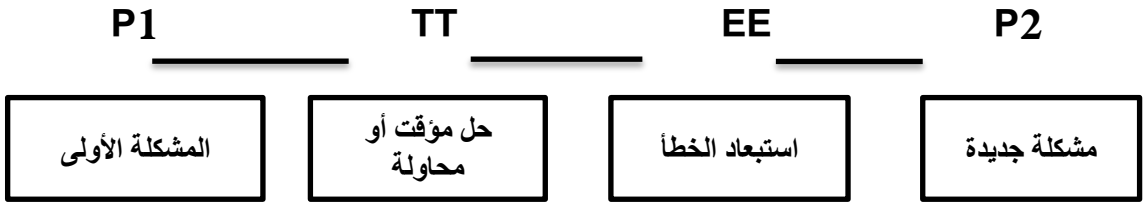

المصدر: ماهر عبد القادر محمد عي، فلسفة العلوم والمشكلات المعرفية، مرجع سابق، ص49.

وهكذا فكل نقاش علمي لديه نقطة بدء، وهو مشكل نقدم له نوع من الحل المؤقت، نظرية مؤقتة، لتنتقد هذه النظرية لغرض استبعاد كل إمكانية للخطأ، والمراجعة النقدية الدائمة للنظرية يولد مشكلات جديدة، وليس بمقدور هذا المنهج تأكيد صحة النظرية، إنما يستطيع

[1] سهام النويهى، تطور المعرفة العلمية"، مرجع سابق ، ص 66.

[2] بوبر كارل، أسطورة الإطار، في دفاع عن العلم والعقلانية ، ترجمة ، يمنى طريف الخولي، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 2003 ، عدد 292 ، ص 125.

تفنيدها فحسب، ولا تبقى إلا المعززة منها وقد حدد بوبر في مؤلفه "منطق الكشف العلمي" أربعة قواعد لمنهجه تتمثل في :

-خطة العلم مفتوحة بلانهاية، أي لا يمكننا القول أن البحث في قضايا العلم يقف عند حد معين، وأنه تم التحقق منها بشكل نهائي وفلا يمكن أن نتوقع من الميتودولوجيا صدقا راسخا، وإنما نتوقع من العلم تقدما أكبر، ويصبح على درجة عالية من الصدق .

-إذا افترضنا فرض وتم اختباره، وتثبيت صلابته، فلا ينبغي التخلي عنه، حتى وإن صعب علينا تقديم سبب نجاحه أو يمكن استبداله بفرض أكثر قابلية للاختبار.

-لا تقبل النظرية العلمية التبرير أو التحقيق، وإنما من أهم خصائصها، القابلية للاختبار وهذا معيار موضوعيتها.

- علينا أن لا نتخلى عن البحث عن القوانين الكلية، وعن ترابط النسق النظري، وإلا نتوقف عن محاولة تفسير أي نوع من الحوادث التي تخضع للوصف[1]، والمهمة الأساسية لهذه القاعدة هي توجيه الباحث العلمي توجيها سليما في عمله، فالتطورات التي وصلت إليها الفيزياء تتطلب منا ـ حسب بوبر ـ التمسك بهذه القاعدة.

أما عن الخطوات الإجرائية للمنهج كما حددها بوبر فيمكن إجمالها في النقاط التالية:

-المقارنة المنطقية للنتائج بعضها البعض، والتي بمقتضاها نختبر الاتساق الداخلي للنسق.

-البحث عن الصورة المنطقية للنظرية، مع تحديد ما إذا كان لها خاصية النظرية الأمبريقية، أو لها خاصية أخرى.

-المقارنة بالنظريات الأخرى، وهي تلتقي أساسا مع هدف تقرير ما إذا كانت النظرية تشكل تقدما علميا يخدم أغراضنا الاختبارية المختلفة.

-اختبار النظرية عن طريق التطبيقات الامبريقية للنتائج التي يمكن أن تشتق منها.[2]

[1] كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، مصدر سابق، ص 70.

[2]- المصدر نفسه، ص 49.

تعد المقاربة البوبرية خاصة في شقها الميتودولوجي (التكذيب والقابلية للتكذيب) من أهم المقاربات الابيستمولوجية التي عرفتها فلسفة العلم في القرن العشرين، لكن منهج التكذيب لم يسلم من النقد من طرف فلاسفة علم ما بعد الوضعية خاصة من طرف "توماس كون" وبول فييرابند" .

المحاضرة الثالثة: غاستون باشلار والإبستيمولوجيا اللاديكارتية

تمهيد

قام غاستون باشلارد بتشخيص أزمة العقلانية العلمية المعاصرة المتولدة جراء التفاوت القائم بين العلم والفلسفة، وترتب عنها هوة سحيقة بين العقلانية الصورية والعقلانية التجريبية، والارتكاز على أنساق مغلقة والاستناد الى قيم تقليدية ورفض التجديد والتقدم وأعلن باشلار وبلغة صريحة لا تحتمل تأويلا عن هذه الأزمة التي أصابت المدونة العلمية المعاصرة، لذا حاول نقد المذاهب الفلسفية لبلورة تصور ابستمولوجي تجديدي، وإقامة عقل علمي جديد عقل متفتح على النقد، والمراجعة الدائمة، عقل متفتح على التعددية المنهجية. فماهي أسس وأهداف ابستمولوجيا العلوم المعاصرة من منظور باشلاري؟

1-مفهوم الابستمولوجيا وخصائصها عند باشلارد:

إبستمولوجيا باشلار تعبير عن موقف فلسفي جديد، أراد من خلاله "باشلار" تجاوز الموقف الفلسفي التقليدي الذي أصبح غير قادر على مسايرة راهن العلوم، والتأسيس لعقلانية جديدة قادرة على تحليل التركيب المعقد للفكر العلمي المعاصر، وتتمثل أهداف هذه الابيستمولوجية الباشلارية في تحديد ثلاثة مهام أساسية هي:

أولا، إبراز القيم الابستمولوجية المتجددة للعلم: من العلم وليس من الفلسفة، ثم البحث عن أثر المعارف والقيم العلمية الجديدة في بنية العقل القابل للتشكل والتطور باستمرار، ثم التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية، من خلال عملية فحص وتشخيص وتطهير عقلي

وعاطفي يقوم بها الابستمولوجي وباستمرار تستهدف الفكر كذات عارفة من جهة وموضوع معرفتها من جهة أخرى.

ثانيا، إبراز أثر تطور المعارف العلمية على بنية الفكر:

بحث باشلار عن الأسباب التي تعوق التفلسف الصحيح وتمنعه، وحددها في عقبة أغفلها الفلاسفة والعلماء معا، وهي مشكلة بنية وتطور الفكر " وعندئذ، فكيف يمكن للفلسفة أن تكون حقيقة ملائمة للفكر العلمي في تطوره الدائب، أن تراعي انعكاس المعارف العلمية على البنية الفكرية؟ فهكذا، منذ بداية تأملاتنا في دور فلسفة العلوم ونحن نصطدم بمشكل يظهر لنا أنه لم يحسن طرحه لا العلماء ولا الفلاسفة على حد سواء إنه مشكل بنية وتطور الفكر "[1]. فغياب الفلسفة العلمية الحقة من وجهة نظر باشلار يرجع إلى سوء طرح مشكل بنية وتطور الفكر.

ثالثا، التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية :

علاقة باشلار بالتحليل النفسي لا يمكن اختزالها في استعادة بسيطة لأطروحات علم النفس التحليلي. فهو لم يتقيد حرفيا بمفاهيمه كلية على أصلها وحرفيتها. بل ما تميز به في تعامله " مع هذه النظرية، قراءة واستخداما، هو الحرية الواسعة، التي بها يتناول ويستثمر المفاهيم التحليلية الأساسية"[2] إنه يعطي للمفاهيم التحليلية مضامين مختلفة تستجيب أكثر لموضوعات بحثه. مثلا، عندما يتحدث عن العقد في التحليل النفسي للنار، تحديداته لا تتطابق مع التحليل النفسي، إذ نجده يذكر عقدة بروميتوس، أمبادوقليس، نوفاليس، هوفمان. ولا وجود لهذه الأخيرة في منظومة التحليل النفسي في علم النفس.

لذا، يدعو باشلار إلى ضرورة قيام إبستيمولوجيا بإمكانها مواكبة التقلبات المختلفة للفكر العلم،.وتدرك ضرورة المزاوجة بين القبلي والبعدي ، بين معطيات التجربة ومبادئ العقل ، فالفكر العلمي المعاصر يجمع بين التجريبية والعقلانية ولا يمكن الفصل بينهما على طريقة

[1] غاستون باشلار، فلسفة الرفض، مبحث فلسفي في العقل العلمي الجديد، تر: خليل أحمد خليل، دار الحداثة، ط1 بيروت، 1985، ص8.

[2] محمد هشام، تكوين مفهوم الممارسة الابستمولوجية عند باشلار، إفريقيا الشرق، دون طبعة، المغرب،2006، ص 209.

الفلسفة التقليدية ، فالتجريبية عند باشلار في حاجة إلى أن تستند إلى البرهان العقلي ، كما أن العقلانية في حاجة إلى التطبيق المادي ، فقيمة القوانين التجريبية تنبثق من قدرتها على المعاقلة ، وبالمقابل أن ما يضفي الشرعية على أحكام العقل قابليتها.

تؤمن ابيستمولوجيا باشلار بوجود علاقة جدلية بين الفكر الإنساني وبين تطور المعرفة العلمية التي ينتجها فالمعرفة العلمية من نتاج الفكر الإنساني ، والفكر الإنساني بدوره من نتاج هذه المعرفة فليست هناك بنية ثابتة للفكر الإنساني. فالثورات العلمية المعاصرة التي عرفها الفكر العلمي في مجال الرياضيات والفيزياء لم تؤد إعادة تغيير ومراجعة المبادئ التي قامت عليها تلك العلوم فحسب بل أدت أيضاً إلى تغيير بنية الفكر الإنساني ذاته، فهو ليس منتجاً لهذا التطور العلمي فحسب ، بل إنه متأثر بنتائج هذا التطور أيضا، وهذا ما لم تنتبه إليه الفلسفة الكلاسيكية التي استخلصت مبادئ الفكر الإنساني في مرحلة معينة من تأريخ العلوم فأضفت على هذه المبادئ صفة الإطلاق ، واعتقدت نتيجة لذلك أن هذه المبادئ هي بنية الفكر الإنساني ذاته ، أن العقل لا ينتج العلم فحسب ولكنه فضلاً عن ذلك يتعلم من العلم " فالعلم بصفة عامة يعلم العقل ، وعلى العقل أن يخضع للعلم الأكثر تطورا ، العلم الذي يتطور.[1]

لقد ميز "باشلار" بين ثلاث مراحل في تكوين العقل العلمي:

- **المرحلة الأولى تمثل الحالة ما قبل العلمية:** وتشتمل على الأزمنة الكلاسيكية القديمة وعصر النهضة والجهود المستمرة في القرن السادس عشر والسابع عشر وحتى في القرن الثامن عشر.

- **المرحلة الثانية التي تمثل الحالة العلمية** : والتي بدأت في أواخر القرن الثالث عشر وتشمل القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

[1] غاستون باشلار، تكوين الفكر العلمي، تر: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر، ط2، بيروت، 1982 ص 145.

-**المرحلة الثالثة مرحلة العقل العلمي الجديد:** تبدأً من عام 1905 ظهور نظرية "أنشتاين" في النسبية التي غيرت الكثير من المفاهيم التي كانت سائدة قبل ذلك.

2-الابيستمولوجيا اللاديكارتية:

يتميز الخطاب الفلسفي بأنه خطاب منهج فضرورة تحديد منهج البحث والممارسة العلمية والفلسفية هو المبدأ الأساس الذي قامت عليها تصورات الفلاسفة والميتودولوجيين من "أرسطو" إلى ديكارت، فقد جعل "أرسطو" من القياس، المنهج الوحيد والضروري لقيام العلم، وألح "ديكارت" على أن البحث في المنهج يعد من أهم المشكلات، وأولاها عناية في مهمة الفيلسوف، فالشعور بضرورة المنهج هو أول ما يلزم من أدوات التفلسف[1]. وقد أرجع ديكارت سبب تأخر العلم في عصره إلى عدم إتباعه منهجا واضحا يقول ديكارت "الناس مسوقون برغبة في الاستطلاع عمياء حتى أنهم يوجهون أذهانهم في طرق مجهولة [2]"فالمنهج هو الموجه الصادق للعقل إذ يعتمد فيه على طريقتين في التفكير هما" الحدس والاستنباط " ويقصد ديكارت بالحدس الفكرة المتينة التي تقوم في ذهن خالص منتبه وتصدر عن نور العقل وحده ، أما الاستنباط فيعبر عنه بأنه فعل ذهني بواسطته نستخلص من شيء لنا به معرفة يقينية نتائج تلزم منها [3].

يرى باشلار إن الكشوفات العلمية المعاصرة تتعارض مع هذا التصور المنهجي الأحادي، لأنه تصور ميتافيزيقي، يغلق آفاق الإبداع المعرفي و العلمي، يرفض" باشلار" العقل الشمولي والمنهج الأحادي الصالح لكل علم ففي الفكر العلمي المعاصر، لا وجود لهذه الأحادية فلكل علم منهجه الخاص به ومفاهيمه الخاصة التي تتناسب مع المرحلة التي هو عليها هذا العلم أو ذاك، إن الفكر العلمي لا يتطور إلا بقدرته على إبداع وابتكار المناهج والنظريات الخاصة به، ومنه فالمناهج مؤقتة وليست دائمة ولا وجود لمنهج صالح

[1] عثمان أمين، ديكارت، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1969، ط2، ص 77-78

[2] عثمان أمين ، يكارت ، سلسلة أعلام الفلسفة ، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة ، الطبعة الخامسة ،1965 ، ص 8.

[3] المرجع نفسه، ص92.

لكل علم وفي كل زمان فكل تجربة جديدة كفيلة بتفسير الفكر العلمي برمته " كل مقالة في الطريقة العلمية ستكون دائماً مقالة طرف ولكن بالبنية النهائية" .

ينتقد باشلار فكرة الوضوح والبداهة الديكارتية، فالوضوح العقلي في حاجة إلى تأكيد تجريبي ، فالطريق الى الحقيقة العلمية هي مجموعة التجارب العلمية الدقيقة والمعقدة التي تعتمد على تقنيات ومسائل مادية وتستند على نظرية مركبة ، ولا يمكن لحقيقة ما أن تصبح يقيناً بمجرد كونها صادرة عن يقين أول ، ولم تعد البديهية فكرة واضحة بذاتها لا تحتاج الى برهان بل غدت بعد ظهور الهندسات اللاأقليدية مجرد مسلمة صلاحيتها مرتبطة بالنسق الذي تنتمي إليه فلا شيء بسيط وكل شيء يحتاج الى تبسيط، كما أن أهم ميزة في الفكر العلمي المعاصر هي خاصية التعقيد.

يؤكد باشلار بأن دعوته للإبستيمولوجيا اللاديكارتية لا يعني بالضرورة التقليل من أهمية الفلسفة الديكارتية كما هو شأن الهندسات اللاإقليدية التي لم تلغ الهندسة الإقليدية . بل يهدف إلى إعادة تنظيم العقل من جديد ليكون أشمل وأكمل. فهي محاولة باشلارية لتكوين عقل سجالي قادر على استيعاب مختلف النظريات العلمية ومتفتح على جميع الفلسفات.

3-مفهوم العائق الابستمولوجي " المعرفي " عند باشلار:

يشير العائق الابستمولوجي إلى تلك المظاهر المتعلقة بالركود والنكوص الذي يميز المعرفة العلمية في مرحلة من مراحلها، فتطور العلوم وتباطؤها، وعطالتها، وانبعاثها من جديد مشكل يطرح في صورة عوائق تعترض العالم في اكتساب المعرفة، وبذلك يمكن القول إن العائق الابستمولوجي مفهوم باشلاري بامتياز فهو الذي أدرجه في قاموس الفلسفة المعاصرة حدد طبيعته، ومصدر نشأته كما أحصى أشكاله.

إن التميز الباشلاري في التأصيل لهذا المفهوم بأن العوائق الابستمولوجية مصدرها ليس خارجا عن العلوم بل ناجمة عنها ولأسباب طبيعية توجد بداخلها، فالأمر لا يتعلق بشروط خارجية للمعرفة مثل تعقد الظواهر، أو ضعف الحواس والفكر الإنسانيين، بل يتعلق بفعل

المعرفة ذاته. وبذلك تكون العوائق الإبستمولوجية مشكلة للذات العارفة في علاقتها بموضوعات تفكيرها. ويتجه البحث ضرورة إلى فحص المعرفة العلمية من داخلها لا من خارجها فالعائق يوجد في صميم هذا الفكر نفسه.

وعن مصدر العائق الابستمولوجي يرى باشلار أنه متخف وقابع في كل المعارف، علمية وعامية، فقد يولد مع المعرفة العامية ويترسخ فيها، وهذا ما يسمى بالرأي والمعرفة العلمية تفرز عوائقها كذلك، حيث تتقادم وتصبح عائقا أمام تطورها " إن معرفة من المعارف التي يحصل عليها بمجهود علمي تستطيع هي ذاتها أن تضعف وتنحرف والسؤال المجرد الصريح يبلى ويتناقص، فتبقى الإجابة الحسية. ومنذئذ، ينقلب النشاط الفكري ويتوقف. فيترسخ عائق ابستمولوجي في المعرفة التي لم تساءل، وتتحول العادات الذهنية التي كانت نافعة وسليمة، مع طول الزمن، إلى عائق في وجه البحث"[1]. فالأفكار بتقادمها تتحجر، ويتوقف الفكر عن الإبداع، بل يفضل معرفته على ما يناقضها، ويفضل الأجوبة على الأسئلة، وتتغلب الغريزة المحافظة على الغريزة المكونة بفعل تقادم الزمن ويتوقف النمو الفكري.

أ-أنواعه:

يقدم باشلار أشكالا عديدة للعائق الإبستمولوجي وهي كالتالي:.

- **عائق الرأي أو الاعتقاد الشخصي:** فليست المعرفة العلمية رأيا أو وجهة نظر شخصية، وحتى حين يتفق الرأي مع المعرفة العلمية، فإنه يكون على أسس مختلفة،

-**التجربة الأولى كعائق إبستمولوجي:** فالتجربة الأولى لا تشكل في نظر باشلار معرفة موضوعية، وذلك لأن الذات العارفة تندفع في هذه التجربة نحو موضوعها بكل ما تحمله من أفكار علمية، ولكن أيضا بكل ما تحمله من أفكار مسبقة أو خاطئة وغير مطابقة لموضوعية الظواهر.

[1] G.Bachelard, La Formation de l'esprit scientifique, Contribution à une psychanalyse de la connaissance objective, Vrin, 1967,p 14.

– **للعائق الإبستمولوجي هو التعميم المتسرع والسهل:** ويتداخل العائق الإبستمولوجي في هذه الحالة مع خطوة طبيعية في العلم هي التعميم، ويؤدي إلى ما يسميه باشلار بالتعميمات الزائفة و"يتم عبرها ازدراء التفاصيل وإهمال الفروق الدقيقة بين الظاهرات...إن احتقارا كهذا للتفاصيل وللدقة ينبئ إلى أي مدى يعيق التعميم المعرفة العلمية"[1].

ب–أشكاله:

العائق الابستمولوجي متعدد الأشكال، فمن طبيعته أن يكون غامضا ومتعدد الأشكال، هذا ما يؤكده باشلار لذلك لجأ إلى وصفه وتصنيفه ضمن كتابه تكوين الفكر العلمي، والذي جعل كل فصل منه شرحا لنوع من أنواع العوائق التي يمكن أن يتخذها ضمن تاريخ تكَوُن المعرفة العلمية، والعائق المعرفي يتعلق بالذات العارفة وعلاقتها بموضوع المعرفة، ومن أهم هذه العوائق :

1–عائق التجربة الأولى:

التجربة الأولى هي المعرفة المباشرة بالأشياء تعتمد على معطيات الحواس فى اتصالها بالطبيعة وبالكاد تصنف بأنها معرفة حدسية خالية من النقد " إن أول عائق في تكوين فكر علمي، هو التجربة الأولى، التجربة التي سبقت النقد ولم تتعرض له، لأن النقد هو بالضرورة عنصر متضمن في الفكر العلمي. وبما أن النقد لم يلعب دوره علنا فإن التجربة الأولى لا يمكنها، بأي حال من الأحوال أن تكون سندا يعتمد عليه"[2] .

2–عائق المعرفة العامة:

التعميم خاصية من خصائص المعرفة العلمية فهو يساعد في تقدم العلم، وفي فهم الظواهر لأنه ينقل الفكر من تبدد الوقائع إلى وحدة القوانين التي تفسرها. لكنه قد يتحول إلى عائق إيبستيمولوجي، يؤثر سلبا في المعرفة.

[1] علي حسين كركي، الإبستمولوجيا في ميدان المعرفة، شبكة المعارف، ط1، بيروت 2010 ، ص 124

[2] G.Bachelard, La Formation de l'esprit scientifique, opcit. p23

ولذلك ينظر باشلار إلى المعرفة العامة على أنها معرفة مظللة وزائفة، وخاصة إذا كانت استجابة لمتعة عقلية خطيرة، وتدعونا اليقظة الفكرية إلى تجنب كل تعميم متسرع وسهل لأنه يحجب حقيقة الظواهر " إن المعرفة التي تنقصها الدقة، أو بعبارة أدق إن المعرفة التي لم تمنح بشروطها المحددة تحديدا دقيقا ليست معرفة علمية. المعرفة العامة هي تقريبا حتما معرفة غامضة مبهمة "[1].

3-العائق اللفظي :

يرى باشلار أن الفكر القبل علمي لا يميز بين المفهوم واللفظ ، حيث تشكل كلمة واحدة قاعدة للتفسير الشامل وعليه تعتبر العادات اللفظية عوائقا إبستيمولوجية على الفكر العلمي تجاوزها، ويقدم" باشلار"عن عائق اللفظ مثال لفظة "اسفنجة"، ذلك أن خاصية الاسفنجة في الشرب يقع تمديدها لنفسر أو لنعبر عن ظواهر أخرى كالهواء، فالهواء يبدوا شبيها بالأجسام القابلة للتشرب، فكان تفسيرها عند البعض بالأجسام القابلة للتشرب.

4- القطيعة الإبستيمولوجية:

إن تأسيس الفكر العلمي الجديد يتطلب عدة مفهومية حددها باشلار في مفهوم القطيعة الابستمولوجية وهي مفهوم باشلاري بامتياز، فهو الذي أسس له في مجاله العلمي. إن فلسفة العلوم مع صاحب "فلسفة اللا" تروم تأسيس تاريخ جديد للعلم، لذلك جاءت فلسفته المعرفية كإجابة عن طبيعة المعرفة المهيمنة على علوم عصره. تعني القطيعة تلك القفزات النوعية التي تحدث في تاريخ العلوم، وتحدث القطيعة الابستمولوجية عند نشأة علم جديد أو نظرية علمية جديدة قاطعاً للصلة مع ما سبقه من علوم ومعارف ، فالقطيعة إعلان عن ميلاد علم جديد غير مرتبط بما قبل، إن تطور المعرفة العلمية لا يستند على نفس المفاهيم التي تحملها التطورات العلمية في عصر من العصور، أو في فترة من فترات تطور العلم بل إنه انتقال معرفي يستند في أساسه على إعادة بناء المفاهيم والنظريات العلمية وإعادة تعريفها وإعطائها مضمونا جديدا، ومن هنا فإن تاريخ العلوم هو تاريخ للقطائع الإبستمولوجية،

[1] G.Bachelard, La Formation de l'esprit scientifique, op.cit. p 72

قطائع على مستوى التصورات والمبادئ التي قامت عليها العلوم، وقطائع وعلى مستوى المناهج، وهي قطائع تنطلق من داخل العلم، فكل علم له طرق خاصة به، إن النظريات العلمية المستجدة في كل عصر لا يمكن النظر إليها على أنها استمرارا للنظريات السابقة فلا يمكن إرجاع فيزياء" أينشتاين" الى فيزياء "نيوتن" ولا فيزياء نيوتن إلى "غاليلي" كل نظرية علمية مبنية على أسس مخالفة للنظريات السابقة عنها.

تطور العلوم يعبر عن القطيعة مع المبادئ العلمية الراسخة، تلك المبادئ التي ينظر إليها كمبادئ أساسية في العلم ولكن يجب أن نفهم أن العلم في تطوره لا يهدم المبادئ الأساسية التي تثبت تجريبا صدقها، العلم ينظر إلى تلك المبادئ على أنها ضرورية كما أنه لا غنى عنها للمبادئ العلمية الحديثة إلى أن هذه المبادئ تستمر وتتغير في نفس الوقت.

يأخذ "باشلار " مثال المصباح الكهربائي ليوضح القطيعة بين المعرفتين القبلية والبعدية فمفهوم الإنارة كان يتمثل في خاصية احتراق المادة فلكي نبني نورا يجب أن نحرق مادة إلى أن المصباح الكهربائي يمنحنا نورا دون ضرورة جعل المادة تحترق" التقنية القديمة هي تقنية احتراق والتقنية الجديدة هي تقنية لا احتراق[1]

فالقطيعة الابستمولوجية لا تعني انفصالا عن الفكر العلمي السابق أو رفضه رفضا مطلقا بل تعني احتواء الفكر العلمي الجديد للفكر العلمي السابق عليه، فالقطيعة الابستمولوجية تعني قيام فكر علمي جديد أكثر تفتحا، الحقائق العلمية الجديدة لا تلغي بالضرورة الحقائق العلمية القديمة،.فنسبية "اينشتاين" لم تلغ فيزياء "نيوتن" بل قامت بتصحيح الخطأ ، المتمثل في المطلق النيوتني[2].

بهذا، تمثل أبستمولوجيا باشلار بديلا لمختلف التصورات الابيستمولوجية والميتودولوجية التي عرفتها فلسفة العلم، ابيستمولوجيا تؤسس لعقل علمي جديد قائم على قيم الثقافة العلمية المتجددة باستمرار، ابيستمولوجيا مناهضة للعقل العلمي الكلاسيكي الذي

[1] شعبان حسن السيد، برنشفيك وباشلار بين الفلسفة والعلم، دراسة نقدية مقارنة دار التنوير للطباعة والنشر. ط1 بيروت– لبنان، ،1993 ص 154.

[2] وقيدي محمد، فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ط2، الرباط، 1984. ص 155.

يعمل وفق مبادئ منطقية صارمة، العقل عند" باشلار" هو في حد ذاته نتيجة من نتائج العلم، وتغيير هذه النتائج يؤدي إلى تغيير العقل نفسه ، فليس هناك عقل ثابت ولا معرفة ثابتة وبالتالي لا يمكن وضع منهجا قبليا يفرض على العالم إتباعه فالمنهج العلمي انعكاس للثقافة العلمية السائدة في مرحلة ما من مراحل الفكر، فالمنهج مرتبط بالممارسة الواقعية للعلماء وهذه الممارسة تتطلب تعددية منهجية قابلة للتعديل المستمر، إن الفكر العلمي فكر متفتح ومتطور على الدوام، ولذلك وجب أن يكون لكل علم إبستيمولوجيته الخاصة، (ابيستمولوجيا الرياضيات، البيولوجيا، العلوم الانسانية) لا وجود لعلم عام.

ويمكننا القول إن القطيعة بين الفكر العلمي والفكر العلمي الجديد لها ثلاثة مظاهر تعني:

– **أولا:** قيام فكر علمي أكثر شمولا، وهي تعني ثانيا مراجعة للمفاهيم الأساسية للعلم السابق عليها، وتعني أخيرا قيام فكر علمي أكثر تفتحا"[1] .

–**ثانيا:** القطيعة بمعنى مراجعة مفاهيم العلم الكلاسيكي التي كانت تبدوا مبادئ أولية كالمراجعة التي قامت بها الرياضيات المعاصرة لمفهوم المكان والخط، الذي لم يعد مستويا بأبعاد ثلاثة وهذه "الأشكال الأولية جدا للأوقليدية، تتيح لنا سلفا أن نستخلص الفكرة الفلسفية العامة للحرية الرياضية الجديدة"[2] والأمر نفسه حدث في الفيزياء، فمع النسبية تحول المفهوم النيوتني للزمان المطلق إلى نسبية زمكانية .

–**ثالثا:** القطيعة تعني انتقالا إلى فكر علمي أكثر تفتحا، نظرية الكوانتا مثلا، أعلنت قيام فكر علمي متفتح، يقبل بالحتمية والاحتمال معا، فلكل منها مجاله الخاص، بخلاف العقلانية الكلاسيكية التي حصرت الأمر في مجال حتمي فقط.

[1] وقيدي محمد، فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار مرجع سابق، ص 136

[2] غاستون باشلار، الفكر العلمي الجديد، تر: عادل العوا، منشورات الاسس ط1، الجزائر، 1990، ص 26.

القطيعة إذن في ابستمولوجيا باشلار هي مفهوم يعبر عن فترات الانتقال الكيفي في تطور العلوم. ومنه تاريخ العلوم، لا بد أن ينظر إليه كتاريخ قفزات كيفية تتمخض عنها نظريات جديدة ليست بأي صورة من الصور مجرد استمرار للفكر السابق. إن الاقرار الباشلاري يذهب إلى اعتبار " تاريخ الفكر العلمي ليس سلسلة من المسائل يؤدي بعضها إلى بعضها الآخر، والتي تاليها بالضرورة تطوير لأولها، على العكس، عرف التاريخ العلمي خمودا ونكوصا وركودا، كما عرف قفزات وثورات"[1] فبقدر ما تتحقق تلك القفزات الكيفية، بقدر ما تتحقق قطيعة ابستمولوجية في الفكر والمعرفة العلميين . والمعنى المرصود أن الجديد في العلم لا يكون من التاريخ السابق له في مجاله، لأن تاريخ العلم هو تاريخ أخطاء العلوم " ففي رأينا هناك بالنسبة إلى أي مفهوم علمي خطأ يتوجب تصويبه"[2] . ويحدد باشلار للقطيعة الابستمولوجية صفة التجدد، بمعنى أنها فعل متجدد باستمرار ولا وجود لقطيعة ابستمولوجية حاسمة ونهائية. إذ لكل فترة من تاريخ المعرفة العلمية عوائقها، وعندما تحدث قطيعة ابستمولوجية داخل الفكر العلمي فإن ذلك يسمح بقيام فكر علمي جديد.

المحاضرة الرابعة: توماس كوهن وبنية الثورات العلمية

تمهيد

لقد اهتم فلاسفة العلم في القرن العشرين في دراسة تاريخ العلم، وذلك من خلال صياغة مفهوم للعلم وكيفية تطوره قصد معرفة بدقة وعمق العوائق الإبستمولوجية التي تحول دون تقدم العلم، حيث انقسم مؤرخو العلوم إلى قسمين: منهم من تبنى النظرة التراكمية أي كل حلقة علمية هي في حالة اتصال بالحلقة التي تسبقها وبالحلقى اللاحقة لها، ومنهم من يقولون بانفصال الحلقات العلمية عن بعضها البعض. ويعني هذا أنه هناك رؤيا أخرى لسرد قصة تطور العلم على أنه هناك انفصال بين المعرفة العلمية القديمة وفيرى باشلارد أنه

[1] كركي علي حسين، الابستمولوجيا في ميدان المعرفة، مرجع سابق، ص123

[2] غاستون باشلار فلسفة الرفض، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1985. ص26.

هناك انفصال تام بين المعارف حيث وضع القطيعة بين المعارف العلمية، ولكن توماس كون أعطى رؤية أخرى، وقد عالج تطور العلم بنظرة مغايرة. كيف يتطور العلم السوي عند توماس كون؟ هل النموذج الإرشادي شرط أساسي لتطور المعرفة العلمية؟.

1- مراحل تطور العلم السوي عند توماس كون:

أ-ما قبل العلم(العلم غير الناضج):

هو كل الأنشطة الفكرية التي لا تتفق مع العلم في منهجه أو هدفه أو فيهما معا. يعتبره نشاط غير مؤسسا على قواعد تأهله ليكون علما لأنه لحل المشكلات العلمية يتطلب حسب كون نموذجا ارشاديا يعتمد عليه العلماء في أبحاثهم، ولكن قبل تأسيس هذا النموذج ساد نوع من الفوضى الفكرية، وذلك لتعدد الآراء والنظريات حول ظاهرة طبيعية معينة. ومن ثم يكون من الصعب التمييز بين أهمية النظرية من غيرها.

في هذه المرحلة الباكرة في جميع الوقائع تبدو أقرب إلى ما تكون عليه إلى النشاط العشوائي بالقياس إلى الطريقة التي باتت مألوفة بفضل ما حققه العلم من تطور في المرحلة المتأخرة[1]. وفي هذه المرحلة ساد نوع من الجدل بين مختلف المدارس وذلك لغياب تصور واضح عن حقيقة الظواهر.

لقد كانت المدارس المتنوعة والمتجادلة بشأن علم البصريات من أهم الشواهد والأمثلة الدالة على أبحاث ما قبل النموذج الإرشادي، فليس هناك مثلا إجماع أو تصور موحد بين العلماء قبل القرن السابع عشر حول طبيعة الضوء، فيقول توماس كون:" لو تأملنا التاريخ بين الماضي البهيج ونهاية القرن السابع عشر، فلن نجد فترة زمنية شهدت اتفاقا عاما في الرأي بشأن الضوء"[2].

إن مرحلة ما قبل العلم لا يمكن بوصفها بأي حال أنها مرحلة فارغة من أي محتوى معرفي، بل هي عكس ذلك، فهي ذات معنى وقيمة وتمثل مرحلة من مراحل التراث البشري

[1] كون توماس، بنية الثورات العلمية، تر شوقي جلال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، ص45.

[2] المصدر نفسه، ص42.

الذي لا يمكن تجاهله. كما لا يمكن وصف كل أفكار هذه المرحلة بأنها غير علمية، ولا تمت بأية صلة للحقيقة فتلك الآراء التي كانت سائدة عن الطبيعة لم تكن في جملتها أقل علمية، ولا أكثر طواعية للطبيعة الإنسانية من الآراء السائدة اليوم. فالنظريات القديمة ليست غير علمية من حيث المبدأ، وإنما هي نظريات غنية بالأفكار والآراء التي تعرفنا عن الكثير من الأشياء[1].

ب-مفهوم العلم السوي(العلم الناضج):

يعد العلم الناضج حسب كون هو العلم السوي (العلم القياسي) وتعني " البحث الذي رسخ بنيانه على إنجاز، أو أكثر من إنجازات الماضي العلمية، وهي انجازات يعترف مجتمع علمي محدد ولفترة زمنية، بأنها تشكل الأساس لممارسته العلمية مستقبلا"[2].

يتميز بالتواصل وتجانس أفكاره ومعارفه ووضعها في كتب تدريسية، وأن هذه الانجازات تشترك في ملمحين هما:

-أولهما، هي أنها لا سبق لها، اجتذاب الدعم بين الأنشطة المنافسة.

- ثانيتها، أن الانجازات مفتوحة النهاية تترك المسائل الجديدة إلى أن تحل.

ومن مميزات العلم السوي أنه تراكمي من خلال تسلسل الاكتشافات والنظريات وذلك عن طريق العودة إلى الماضي أي النظريات القديمة والأخذ منها أو تكون منطق لنظرية جديدة أو اكتشاف جديد. هذا ما أكده كون:" ولولا فضل النظر إلى الماضي واستعادة أحداثه لكان عسيرا علينا أن نهتدي إلى معيار آخر يحدد بمثل هذا الوضوح أن مجالا من المجالات أصبح علما"[3].

ربط كون بين العلم السوي والبراديغم الذي يرى أنه هو الشرط الضروري له، فمن خلاله يتم التمييز بين العلم غير ناضج والعلم الناضج، وهذا الأخير هو الذي ينجح في وضع

[1] ماهر عبد القادر محمد، فلسفة العلوم المشكلات المعرفة، ج 2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1984، ص 78.

[2] كون توماس، بنية الثورات العلمية، مصدر سابق، ص43.

[3] المصدر نفسه، ص51.

براديغم معين لأنه إذا تم نجاحه في وضع براديغم فهي دلالة واضحة على نضجه في هذا السياق يقول كون:" العلم الناضج هو النشاط الذي يهتم بحل المشكلات العلمية بالطرق التي يحددها النموذج المعمول به أي أن العلم السوي يحاول دائما أن يدرس ويدقق في القضايا العلمية التي وضعها النموذج، كما أنه مبني وبشكل أساسي على فهم وحل الألغاز التي ضلت غامضة وشائكة داخل المعرفة العلمية التي يصف بها كون العلم السوي إجمالا فيما يلي:

-العلم العادي ذو طابع تراكمي هدفه زيادة في محتوى المعرفة العلمية من خلال تسلسل جملة من الاكتشافات.

- العلم العادي في هذه المرحلة يكون في حالة استقرار وهدوء لأن النموذج يكون متمسكا بزمام النشاط العلمي.

- فليس أهداف العلم السوي في أي ناحية من نواحيه استحداث أو تسليط الأضواء على أنواع جديدة من الظواهر.

-يهتم بدراسة الظواهر التي يفرضها النموذج الارشادي.

مفهوم البراديغم(النموذج الارشادي):

تتمحور فلسفة كون حول مصطلح النموذج أو كما يطلق عليه البراديغم، هذا المصطلح الذي تعددت دلالته إذ يغطي مدى واسع من المجالات والأنساق، فهو يندرج ضمن سياق المعرفة العلمية. كان كون أول من استخدم مصطلح البراديغم في كتابه " بنية الثورات العلمية" ظهرت منذ أواخر الستينات من القرن العشرين، وانتشر استعمالها أكثر من مفهوم آدائي إجرائي. فما مفهوم البراديغم أو النموذج؟

ج-مفهوم البراديغم(النموذج الإرشادي):

حسب توماس كون يرى أن مصطلح نموذج إرشادي يعني في الاستعمال العادي نموذجا أو نمطا مقبولا، وفي ضوء هذه الدلالة، أثر مصطلح نموذج إرشادي هنا نظرا لافتقاري إلى كلمة أفضل. ولكن سيبدو واضحا بعد قليل أن معنى كلمتي " نموذج" و "نمط"

الذي أجاز لي إيثار ذلك المصطلح ليس هو بالدقة ذات المعنى المألوف عند تحديد مصطلح نموذج إرشادي "[1]. ويعني أن معنى نمط ومثال ونموذج لا تنطبق مع المعنى الذي يريده توماس كون، وهي تخرج عن المألوف.

لقد استعار كون هذا المصطلح من قواعد اللغة والتي تتمثل بالنسبة إليه هو مجموعة من القوانين والنظريات التي من خلالها يتطور ويتقدم العلم من مرحلة إلى مرحلة أخرى.

ومثال عن ذلك المعنى هو فلك كوبرنيكوس، أو تحريك أرسطو أو نيوتن، التي هي أنماط متبعة تقدم نماذج تؤدي إلى تقليد متناغم في البحث العلمي. وتقدم الكتب أيضا نموذجا عن البراديغمات المتبعة. مثل ذلك الخاص بالفيزياء الأرسطو، والمجسطي لبطيلموس، والمبدأ لنيوتن ومثل هذه النصوص تفيد في تعريف القضايا الشرعية وطرائق ومجال بحثها"[2] أي أنها تمثل انجازات التي قام بها الباحثون والعلماء.

ربط كون النموذج الارشادي بالجانب الميتافيزيقي ونلخصه هنا:

- الربط بين فكرة النموذج الارشادي والاعتقاد.
- الربط بين فكرة النموذج والأسطورة.
- يربط بين النموذج والتأملات الميتافيزيقية الناجحة.
- النموذج مبدأ منظم يحطم عملية الإدراك.

وفي هذا المعنى فإن النموذج وعلاقته بالاعتقاد يرتبط بالعلماء وعلاقتهم بالمجتمع العلمي باعتبار هذا الأخير هو مسير لنشاط العلماء. بحيث يجب الأخذ بعين الاعتبار النماذج السابقة لكي تون دليل الذي يوجه نشاطهم العلمي.

من خلال النموذج الارشادي يعطي لنا أدوات لكي يسهل لنا حل المشكلات، ويظهر تقدم العلم بسرعة فائقة وذلك بإتباع تللك الأدوات، ومن خلال الأزمة التي تظهر في النموذج الإرشادي تعطي لنا إشارة لتغير الأدوات. ولقد حصر كون هذا المصطلح في دلالتان على

[1] كون توماس، بنية الثورات العلمية، مصدر سابق، ص53.

[2] باتريك هيلي، صور المعرفة مقدمة لفلسفة العلم المعاصر، تر نورالدين شيخ عبيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2008، ص 159.

الأقل في كتابه" بنية الثورات العلمية":" فهو من ناحية يعبر عن جماع المعتقدات والقيم المتعارف عليها والتقنيات المشتركة بين أعضاء مجتمع بذاته. ويشبر من ناحية أخرى إلى عنصر منفصل في هذا المركب الجامع وأعني به الحلول الواقعية للألغاز التي استخدمت كنماذج أو أمثلة يمكن أن تحل محل القواعد الصريحة كأساس الألغاز المتبقية في نطاق العلم القياسي"[1].

د-الشذوذ وظهور الأزمة في العلم السوي:

الشاذ ضد السوي وهو ما كان مخالفا للقياس، من غير نظر إلى قلة وجوده أو كثرته، والشاذ أيضا ما كان مخالفا للقاعدة، متفرقا عن الأسس السوي، مباينا لصورة للنوع الوسطى أو لصورته المثالية[2].

إن العلم السوي لا يهدف إلى اكتشاف إبداعات جديدة لا في مضمون النظريات ولا في الواقع، بل يهدف إلى توسيع المعرفة العلمية. ثم إن إدراك الشذوذ أو الخروج عن القياس هو إدراك ظواهر جديدة غير عادية لا تخضع لنظام النموذج القائم، وبالتالي يتعذر تفسيرها في إطاره، لأنه لا يتوفر على تقنيات مسبقة أو مخططات مهيئة لهذا النوع من الظواهر.

بظهور الشذوذ يحاول العلماء تطويعه أو ملائمته من النموذج الارشادي، لأنه أشبه لحكم قضائي أو قاعدة شرعية قياسية في القانون العام، ومن ثم يكون قابلا للتعديل والتحديد مرة أخرى بوجب ظروف جديدة أو ظروف أشد إلزاما[3]. وقد يكون الشذوذ عبارة عن خطأ عن سوء استعمال العمل و منه يعمل العلماء على تعديل بسيط في النموذج قصد استيعابه.

وإذا تعذر تطويع الشذوذ على ضوء النموذج الإرشادي القائم، فإنه يؤدي إلى أزمة، ولأن الأزمات قد يسببها الفشل المتكرر وجعل ما هو شاذ متسقا. فإن الأزمة تمثل فشل العلم السوي في إيجاد حل لشذوذ الطبيعة. وهذا ما يؤدي إلى ظهور نموذج ارشادي جديد قادر

[1] كون توماس، بنية الثورات العلمية، مصدر سابق، ص ص 221-222.

[2] جميل صليبا، المعجم الفلسفي ، ج 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 685.

[3] كون توماس، بنية الثورات العلمية، مصدر سابق، ص 54.

على فهم وحل الشذوذ أو الإحاطة بجوانب المشكلة التي أدت إلى الأزمة. تعبير الأزمة عن الانتقال غير منتظر إلى نموذج جديد، ويرى كون أن الأزمات تنتهي بإحدى الطرق الثلاثة:

-إما أن ينتهي العلم القياسي إلى إيجاد حل للمشكلة التي أثارت الأزمة.

-إما أن تستعصي المشكلة على إيجاد حل لها، وقد تنتهي الأزمة الى ظهور نموذج إرشادي جديد.

- وإما أن يفقد العلماء الأمل في ايجاد حل لها، وتقصى من مجال بحثهم، فالحالة الشاذة تكون خطيرة عندما يعجز النموذج الإرشادي القائم الاهتداء إلى حل لها، مما يجعلها تفوض الثقة في النموذج الذي كان سائدا من قبل.

فظهور الشذوذ في النظريات العلمية غالبا ما كان الدافع الأساس في اكتشاف وقائع جديدة والبحث عن تفسير لها. وبمعنى آخر، إن الحوادث الطبيعية قد ناقضت النموذج الإرشادي السائد وهو ما يتطلب البحث عن حل لها.

إذن فالشذوذ يعكس وجود مشكلة دون الاهتداء إلى حل لها، كما أن جميع القواعد والتجهيزات والتدابير الموجودة تخفق في معالجتها، فرغم محاولات أعضاء الفريق العلمي إيجاد حلول لهذه المشكلة لكن دون جدوى، وهو ما يعبر بطريقة أخرى عن فشل العلم السوي أو النموذج، وهنا تبدأ بحوث جديدة في الظهور مستندة إلى مجموعة جديدة من المعتقدات والقوانين والفرضيات، وهذا ما يوصف غالبا بالثورات العلمية.

2-مفهوم الثورة العلمية عند توماس كون:

يعتبر مصطلح الثورة من أهم المصطلحات التي تناولها توماس كون وغيره من الفلاسفة الذي عالجوا تقدم العلم. إذ نجدهم يختلفون في آرائهم حول هذا المصطلح وعلاقته بتطور العلم والمعرفة ومختلف المجالات، ومن خلال هذا نطرح التساؤلات التالية: ماهي طبيعة الثورات العلمية عند توماس كوهن؟ وهل يمكن اعتبارها أساس لتقدم العلم؟.

أ-معنى الثورة اصطلاحا:

تغيير جوهري في أوضاع المجتمع لا تتبع فيه طرق دستورية والفرق بين الثورة وقلب النظام الحكم يقوم به بعض رجال الدولة وثمة فرق أخر بين الأمرين، وهو أن هدف الثورة هو تغيير النظام السياسي أو الاقتصادي وهدف الانقلاب مجرد إعادة توزيع السلطة السياسية بين هيئات الحكم المختلفة[1].

إن الثورات التي ظهرت في تاريخ العلم، ما هي إلا عبارة عن سلسلة من التطورات الغير التراكمية من خلال الانتقال من نموذج معرفي قديم إلى نموذج معرفي جديد متعارض مع القديم. ولهذا يتألف تاريخ العلم عند كون:" من ثورات دورية أو تحولات في النماذج المعرفية، متقطعة بواسطة الأطول لأنشطة العلم العادي، ومن الأمثلة على التحولات في النماذج المعرفي الانتقال من فيزياء نيوتن إلى فيزياء أينشتاين..."[2].

ومنه نجد توماس كون يتساءل:" لماذا سمي التغيير في النماذج الارشادية ثورة: زمن هذا المنطلق قام كون بمقارنة بين الثورات العلمية والثورة السياسية ووضح على أوجه التوازي الدالة على الثورة:" فالثورات السياسية تبدأ مع تصاعد الإحساس الذي يكون في الغالب قاصرا على قطاع من المجتمع السياسي، بأن المؤسسات القديمة لم تعد تفي على نحو ملائم بحل المشكلات التي تفرضها بيئة كانت تللك المؤسسات طرفا في خلقها وبنفس الطريقة إلى حد كبير تسهل الثورات العلمية يتزايد الإحساس. ونقول ثانية إنه غالبا ما يكون قاصرا على فئة محدودة من المجتمع العلمي بأن أحد النماذج الإرشادية القائمة قد كف عن أداء دوره بصورة كافية"[3].

فالثورات العلمية تكون نتيجة عدم القدرة على حل مجموعة من المشكلات التي تظهر في المؤسسات السياسية لهذا يظهر القلق ومنه ينتج لنا ثورة، أما بالنسبة للثورات العلمية تحدث

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 301.

[2] كوريس هورنر وإمريس وسيتاكون، التفكير فلسفيا، تر ليلى طويل، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط1، 2011، ص ص 191-192.

[3] توماس كون، بنية الثورات العلمية، مصدر سابق، ص ص 131-132.

نتيجة تغييرات لاستيعاب ظاهرة من نوع جديد، ويكون بفعل الأزمة لأنها تنبثق النظرية العلمية الجديدة التي تغير تقاليد البحث. لقد ربط كون الجانب العلمي بالجانب السياسي في علاقة وطيدة إذ هناك من يرى أن المناخ السياسي الذي أسهم في ترويج لمذهب كون المسؤولية التي تلحق كون جراء صمته عما كان يحدث في كواليس المركب الصناعي العسكري في أمريكا الحرب الباردة.

المقصود بالثورة عن كون " سلسلة من الأحداث التطورية غير التراكمية التي يبدل فيها نموذج ارشادي قديم كليا أو جزئيا بنموذج ارشادي جديد متعارض معه"[1] وفيه يحل نموذج إرشادي جديد محل نموذج ارشادي قديم لأن هذا الأخير أصبح عاجزا عن إيجاد حلول للمشكلات القائمة. فالثورة العلمية هي مرحلة غير متراكمة من تطور العلم، والتي يعني الانتقال الحاصل من نموذج إلى نموذج آخر وما يصاحبه من تحولات في الممارسة العلمية، لأنه اثر انبثاق نموذج ارشادي جديد يحدث تغيير مفهومي شامل في شبكة العلاقات بين الأشياء وفي المشكلات المعالجة والأحكام والمعايير المشروعة. أو الحاضرة في تاريخ العلم ، يؤكد أن الكثير من المعارف العلمية السابقة تتناقض مع المعارف العلمية الجديدة سواء تعلق الأمر بالفلك أو الفيزياء أو الرياضيات... تحمل الثورة العلمية الدلالة على التخلي عن نموذج علمي معين[2]. وعندما يتحدث كون عن الثورات العلمية فإنه عادة ما يتكلم عما يحدث في مجالات البحث المتخصصة، كذلك فإن مفهوم العلم القياسي ومفهوم النموذج الإرشادي يتصلان عنده بتطور العلوم الخاصة، وليس بتطور المعرفة العامة، الثورة هنا لا تنفي استمرارية العلم، ذلك لأن لكل مجال بحث علمي خاص مسلماته التي ينطلق منها ويبني عليها.

ومنه يستعمل كون الثورة حسب شالمرز بمفهومها الإيجابي إذ تدل عن التخلي عن بنية نظرية لأجل إحلال بنية جديدة محلها. كما أنها تحدث انقلابا كبيرا في سلطة القواعد التي

[1] توماس كون، بنية الثورات العلمية، مصدر سابق، ص 143.

[2] توماس كون، بنية الثورات العلمية، تر حيدر حاج اسماعيل، دار النشر المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط3، 2007، ص 131.

تتحكم في سير الأبحاث، وتبني العلم على أسس جديدة وتوفر له الوسائل والتقنيات الأفضل قصد استيعاب أكبر قدر من الوقائع، خاصة تللك استعصت عن الحل بواسطة الوسائل التقليدية.

عندما يتحدث كون عن الثورة كقطيعة مع القديم، فهو يقول ذاك من منطلق أن كل نموذج هو فريد وخاص لعالم معين. لأن المشكلات التي يعالجها والتفسيرات التي يقدمها هي من خصوصياته التي لا يشترك فيها مع نماذج أخرى.

يمكن أن نستنتج من كل ما سبق مراحل تطور العلم وتقدم المعرفة العلمية عند توماس كون (ما قبل العلم– العلم السوي– أزمة– ثورة –علم سوي جديد) من خلال المخطط التالي:

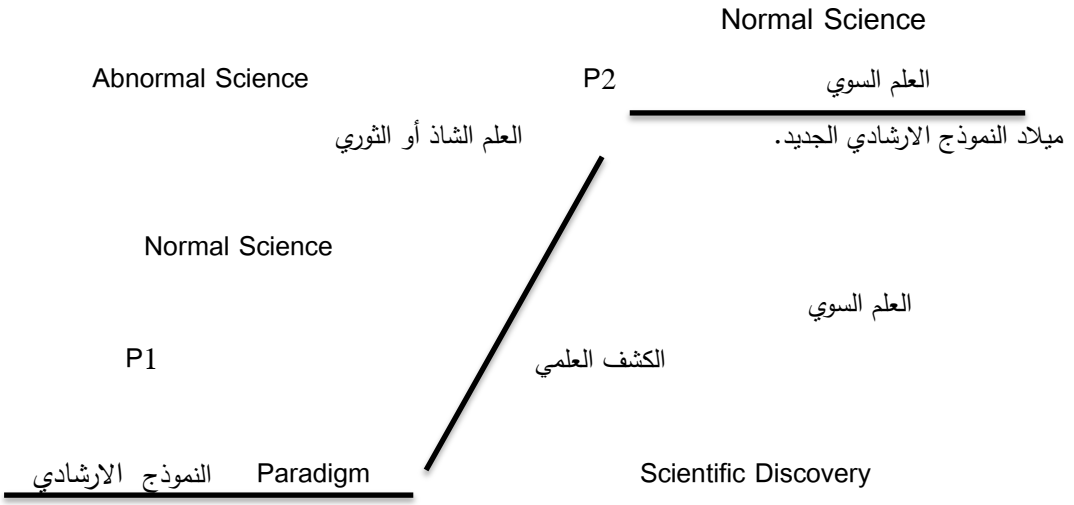

المصدر: ماهر عبد القادر محمد علي، فلسفة العلوم والمشكلات المعرفية، جزء2، مرجع سابق، ص 88.

ب–الثورات العلمية والتحول في النظرة إلى العالم:

إن تغير النماذج الإرشادية يعني آليات تغير الأدوات المعتمدة في فهم وقائع العالم، وأن الباحث العلمي أضحى يرى الأمور على نحو مختلف عما كان مألوفا من قبل ذلك.

وقد رأى توماس كون في تجارب الجشتالت أمثلة معبرة عن تحول نظرتنا للأشياء باختلاف أبعادها أو بتحول الصور الكلية البصرية الغنية بإيحائها، وأن كان العلماء يتعاملون مع عالم

الأشياء ووقائعه. لذلك لجأ كون" إلى تاريخ العلم ليقدم لنا شواهد وأمثلة على أن تغيير البراديغم تجعل نظرة العلماء تختلف.

ففي علم الفلك، نجد اكتشاف هيرشل لكوكب أورانوس شاهد عدد من الفلكيين، وفي مناسبات عديدة نجما في قطاعات معينة، لنفرض أنه كوكب أورانوس. وعندما شاهد هيشرل الشيء نفسه بعد اثنتي عشر سنة مستخدما منظارا متطورا فأمكنة أن يلاحظ أن لذلك الشيء حجم قرص غير معهود بالنسبة إلى النجوم، وبعد ملاحظاته الدقيقة كشف حركة أورانوس وأعلن أنه شاهد مذنبا جديدا، بضعة أشهر بعد ذلك وبعد أن جرت عدك محاولات فاشلة تجعل الحركة المشاهد تتوافق مع المدار المعتاد للمذنبات. اقترح ليكسل أن المدار المرصود قد يكون على الأرجح دار كوكبيا، وعندما قبل هذا الاقتراح أصبح عدد النجوم أقل وازداد عدد الكواكب في عالم الباحث وهكذا نرى الجسم الساموي الذي كان يشاهد لأكثر من قرن أصبح ينظر إليه الآن بطريقة جديدة:"... لم يعد بإمكانه مطابقته مع فئات الإدراك الحسي(نجم أو مذنب) التي حددها النموذج... الذي كان سائدا فيما سبق"[1].

كما نجد أيضا في الكيمياء تحول في النظرة إلى الطبيعة بعد اكتشاف الأوكسجين، وهذا ما كان سائدا عند لافوازيه، وكذلك التحول في النظرة إلى الأشياء بين التصور الأرسطي وتصور غاليليو. فقد كان الناس إذا شاهدو جسما ثقيل الوزن يتأرجح بين اليمين واليسار و هو معلق بخيط حتى يستقر في النهاية." فكان بالنسبة للنظرة الأرسطية أن الجسم يتحرك بحكم طبيعته الذاتية من وضع أعلى إلى حالة الاستقرار الطبيعي عند وضع أدنى، وأن الجسم المتأرجح إنما يهبط بصعوبة، ونظرا لأن الخيط أو السلسلة تقيد حركته فإنه لن يستقر إلا عند أدنى نقطة له، وبعد فترة من الزمن يتحرك خلالها حركات تموجية. أما غاليليو فقد ذهب على العكس من ذلك حين تطلع على الجسم المتأرجح إذا رأى فيه بندولا، أي جسما نجح في تكرار ذات الحركة مرات ومرات بلا نهاية".[2] وهذا يدل على تحول من

[1] كون توماس، بنية الثورات العلمية، مصدر سابق، ص 156.

[2] المصدر نفسه، ص 160.

نموذج ارشادي إلى نموذج ارشادي آخر والذي من خلاله تكون نظرة العلماء إلى نظام الطبيعة، فالتغير الحاصل في البراديغم تجعل نظرة المشتغلين بالعلم لميدان بحثهم تتغير تبعا لذلك.

بهذا، يرى كون أن اختلاف العلماء في رؤية حوادث الطبيعة يشبه إلى حد بعيد ذلك الشخص الذي يضع على عينيه عدسات عاكسة، أي أن العالم على الرغم من مصادفته نفس الظواهر التي رآها من قبل، إلا أنه يراها بشكل جديد ومغاير خاصة من حيث تفاصيلها، وبذلك يتأرجح العلم بين التغير والتأويل، يقول كون في ذلك:" وإني على يقين من أن قراء كثيرين سوف تحدهم الرغبة في القول أن ما يتغير نتيجة النموذج الإرشادي هو فقط تأويل رجل العلم للمشاهدات التي هي شيء ثابت وإلى الأبد بحكم طبيعة البيئة والجهاز الإدراكي الحسي، وحسب هذا الرأي فقد رأى كل من بريستلي ولافوازيه الأوكسجين، ولكن كل منهما فسر مشاهدته على نحو مغاير للآخر. وكذلك فعل أرسطو وغاليليو إذ رأى كل منهما البندول ولكنهما اختلفا في تفسير ما رآه منهما"[1].

المحاضرة الخامسة: تطور العلم عند ايمري لاكاتوس

تمهيد

تمكن لاكاتوس من تحديد بناءاته العقلانية في تاريخ العلم باستخدام قولا مأثورا لكانط " إن فلسفة العلوم بدون تاريخه خواء، وتاريخ العلم دون فلسفته عمياء"، تعتبر أعمال لاكاتوس جزءا من النقاش الذي جمع بين كارل بوبر وتوماس كون حول تفسير التقدم العلمي ففي الوقت الذي حافظ على الاقتداء بمنطق التراكمية عند عند بوبر، واصل لاكاتوس التعامل مع ماوراء النظرية غير أن بدل تقدم هذه الوحدات على شكل "برامج بحثية" بانتقال منطق التقدم العلمي من تعاقب البراديغمات إلى تعاقب "البرامج البحثية". بمشروعه هذا الفلسفي الجديد فقد زود الابستيمولوجيا بميتودولوجية جديدة قدمت صورة مغايرة عن العلم وتاريخه. انطلاقا

[1] كون توماس، بنية الثورات العلمية، ترجمة حيدر حاج اسماعيل، مصدر سابق، ص 163.

من هذا التصور نتساءل ما التصورات الجديدة التي تحملها نظرية لاكاتوس لتفسير الظاهرة العلمية؟ أو كيف ينمو العلم ويتواتر في ظل منهجية "برامج الأبحاث العلمية" اللاكاتوسية؟.

1- ميتودولوجية برامج الأبحاث العلمية عند لاكاتوس.

يستهدف لاكاتوس من خلال ميثودولوجيته إعادة بناء عقلاني" للمعرفة العلمية" وتهتم بإشكالية نمو العلم وبمشكلة التمييز بين العلم واللاعلم. ويرى أنها المنهجية الأصلح مقارنة مع المناهج السابقة كونها الأقل تعرضا للنقد وتبني المعرفة العلمية على أسس موضوعية. تتكون برامج البحث من سلسلة من النظريات العلمية الوثيقة الصلة التي تعمل على تفسير الواقع، والحكم عليها يكون من خلال السلسلة من النظريات المتداخلة والمتشابكة هي ما يطلق عليه " برنامج بحث متكامل" وعليه يقرر لاكاتوش مؤكدا أنه: "لا ينبغي أن تكون وحداتنا الأساسية للتقييم نظرية منعزلة أو حشدا من نظريات، وإنما يجب أن تكون بالأحرى "برنامج بحث" ممهور بنواة صلبة، مقبلا اصطلاحيا(وغير قابل للتفنيد بقرار مؤقت)، وأن تكون مساعدا على الكشف إيجابا، يحدد المشكلات، ويحمل بناء حزام الأمان لفروض مساعدة، يتنبأ بالشواذ ويحولها بنجاح إلى أمثلة، كل هذا طبقا لخطة سبق تصورها"[1].

وبالتالي، فإن ميثولوجية لاكاتوش تتناول بالدراسات القرارات التي يتخذها العلماء والاختبارات التي يعمدون إليها. هذه القرارات وتلك الاختبارات التي يلجأون إليها عن طريق تبنيهم لنواة صلبة يتم الاحتفاظ بها، دون أي تعديل ، باعتبارها تمثل جوهر البرنامج.

كما أنه مزج تاريخها بفلسفتها إلى حد يصعب بل يستحيل رفضه، تيمنا بمقولة كانط:" فلسفة العلم بدون تاريخ خواء، وتاريخ العلم بدون فلسفته عماء"[2]، وهذا مالم تستطيع أن تستوعبه لا النزعة الاستقرائية، ولا النزعة التكذيبية المركزة على التخمينات والتفنيدات لتفشلان معا في أن تبينا لنا، فيما يتعلق بالنظريات المعقدة بالفعل وفي الواقع، أصلها وتطوراتها. كما يبين لاكاتوش عن التقدم والتفسخ بالنسبة برامج متزاحمة بصفة عامة أو

[1] إيمري لاكاتوس، برامج الأبحاث العلمية، ترجمة ماهر عبد القادر محمد علي، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، ص 116.

[2] إمري لاكاتوش، تاريخ العلم وإعادة بناءاته العقلانية، في الثورات العلمية، مصدر سابق، ص 163.

برنامجين تحديدا في حالة تنافس، يتفوق أحدهما على الآخر الذي يحوزها، ومن ثمة:" ينبغي اجمالا الحكم على المزايا النسبية لبرامج البحث تبعا للدرجة التي تتقدم أو تتدهور. والبرنامج المتدهور، يترك للمكان للبرنامج المنافس الأكثر اتصافا بالتقدم، تماما كما تراجع علم الفلك البطليموسي أمام نظرية كوبرنيك"[1] .

2-مكونات برامج البحث العلمية:

إن نمو المعرفة في نظر لاكاتوس يكون من خلال تقدم أو تأخر سلسلة النظريات العلمية، وإن أكثر السلاسل تقدما هي التي تضمن الاستمرارية الناجمة عن برنامج بحث وهذا البرنامج بدوره يتكون من مجموعة مقومات وقواعد منهجية علمية تتمثل في الخطوات التالية:

أ- **النواة الصلبة (الجوهر الصلب):** فهي اللب أو الجوهر الذي ينمي ويطور برنامج البحث ويحدد القواعد المنهجية لطرق البحث. فالنواة الصلبة لا تقبل التفنيد ولا تخضع للدحض، وهي قاعدة غير قابلية للتكذيب، محددة بواسطة قرار ميتودولوجي مؤقت لمتبنيه[2]. فهي تقوم بدور حزام الأمان للنظرية العلمية وتدفع الباحثين إلى صياغة وابتكار فروض مساعدة تعارض التجارب الشاذة عن صحة النظرية.

إذن، فالنواة الصلبة لبرنامج بحث ماهي ما يحدد خصائصه المميزة بصورة أفضل فهذه النواة تتشكل من بعض الفرضيات العامة حدا، والتي تشكل القاعدة التي ينبغي أن ينمو البرنامج، ويتطور من خلالها " تتشكل النواة الصلبة في علم الفلك عند كوبرنيك من فرضيتين وهما أن الأرض والكواكب تدور حول الشمس مستقرة وأن الأرض تدور حول محورها في مدة يوم، وفي المادية التاريخية لدى ماركس هي فرضية أن التغيير الاجتماعي يجد تفسيره في صراع الطبقات وهذه الطبقات تحدد طبيعتها وتفاصيل الصراع بينها في نهاية التحليل بالبنية التحتية الاقتصادية"[3].

---

[1] آلان شالمرز، نظريات العلم، مرجع سابق، ص 91.

[2] إيمري لاكاتوس، برامج الأبحاث العلمية، مصدر سابق، ص 119.

[3] آلان شالمرز، نظريات العلم، مرجع سابق، ص 86.

إن النواة الصلبة ثابتة لا تقبل التفنيد، فأية محاولة لتعديلها هو خروج عن برنامج البحث ذاته، لذلك عند ظهور حالات شاذة مهددة لا نوجه النقد إلى النواة الصلبة، لأن في ذلك اقصاء وهدم للبرنامج القائم، وخاصة إذا كان هذا البرنامج فتي وفي طور التكوين ولم نكن قد منحناه الوقت الكافي ليحقق نضجه ويثبت وجوده. فبدلا من هدم النواة الصلبة وتحطيم الفرضيات المشكلة لها، يجب أن نوجه النقد إلى جزء آخر من مكونات البرنامج والذي يطلق عليه اسم حزام الأمان.

ب-حزام الأمان(الحزام الواقي):

هو ما يؤمن الحماية والوقاية للنواة الصلبة، وهو الذي يخضع للاختبارات التجريبية التكذيبية فهو يتحمل التفنيدات والتعديلات حتى أنه قد يستبدل بحزم واقي آخر لحماية النواة الصلبة لبرنامج البحث الذي يزداد قوة وصلابة، إذ يشكل الدرع التي تحمي النواة الصلبة من التكذيبات. فلا ينبغي للنواة الصلبة أن تفند أو تتعدل فبتعيين خطأ فيها تقصى ويقضى دورها. فمهام حزام الأمان هو إبعاد الخطر قدر الإمكان عن النواة الصلبة، لذلك نجده يتحمل أقوى وأعنف الضربات بدلا عنها، ويدافع عنها لضمان استمرار برنامجها.

مثلا غاليلي قام بتعديل بعض الفرضيات المساعدة في برنامج كوبرنيك عن طريق تعديل مدارات الكواكب حيث جعلها غاليلي اهليلجية عوض دائرية، كما أعاد تقدير المسافات بين النجوم والأرض لكن دون المساس بالنواة الصلبة لبرنامج كوبرنيك المتمثلة في حركة الأرض[1]. فأدى هذا التعديل إلى تطوير النسق الكوبرنيكي. لكن تعديل الحزام الواقي ليس أمرا عشوائيا بل يجري وفق استراتيجية يسميها لاكاتوس الموجه المساعد على الكشف.

[1] آلان شالمرز، نظريات العلم، مرجع سابق، ص87.

ج- المساعد على الكشف(الكشافة السلبية والكشافة الإيجابية):

ويعني القواعد المنهجية ورسم مسار العلماء، وكان وليام هيول قد استعمل مقولة الموجه المساعد على الكشف فيما أسماه فن الكشف الذي يعني قريب شيء الميثودولوجيا[1]، وفي مفهوم لاكاتوس فالمساعد على الكشف إنما هو نظرية للكشف وتوجيه وتوصية عن الكيفية التي تحل بها مشكلة ما.

أولا- المحاولة التجريبية السالبة(الكشافة السلبية):

هو التصميم العام لبرنامج البحث، يساعد العلماء على تحديد المشكلات التي ينبغي حلها والموضوعات المطروحة للبحث، والقواعد العامة والطرق المعتمدة فهي أحد مظاهر البحث التي تدل وتواجه إلى ما ينبغي أن يفعله. فأنجح برنامج بحث هو الذي يتمكن من تجديد حزامه الواقي بتعديل فرضياته المساعدة أو تغييرها من أجل استيعاب المستجدات العلمية، فيتسع بذلك مضمونه التجريبي فيكون أكثر تقدمًا من منافسيه. أي أن الكشافة السلبية هي التي تساعد برنامج بحث على الحفاظ على فرضياته الأساسية المتضمنة في نواته الصلبة لأنه إذا اراد باحث ما تعديل هذه الأخيرة فهو مجبر على الخروج من هذا البرنامج والانضمام إلى آخر.

وتتميز جميع برامج البحث العلمية:" بجوهرها الصلب، والمحاولة التجريبية السلبية للبحث تمنعنا من توجيه التفنيد إلى هذا الجوهر الصلب... لهذا يجب أن نعيد التفنيد إلى الفرضيات المساعدة المكونة لحزام الأمان"[2].

فقد وضح لاكاتوس فكرة الكشافة السلبية ودورها في حماية برامج البحث يعود إلى تاريخ العلوم ويستشهد ببرنامج نيوتن. إذ حوّلت الكشافة السلبية لهذا البرنامج جميع التفنيدات الموجهة لقوانين نيوتن في الجاذبية والديناميكا والتي تمثل نواته الصلبة إلى الفرضيات المساعدة لحزام الأمان[i]. فنظرية نيوتن واجهت الكثير من الأمثلة المضادة من بينها انحراف

[1] طريف الخولى يمنى، فلسفة العلم في القرن العشرين، مرجع سابق، ص 413.

[2] إيمري لاكاتوس، برامج الأبحاث العلمية، مصدر سابق، ص ص 116-117.

كوكب اورانوس عن مداره، وفسّره نيوتن بوجود كوكب اخر يعيق حركته. هذا التفسير آنذاك لقي معارضة، لكن أتباع نيوتن حوّلوا بذكاء الشواهد المضادة واحدا بعد الآخر إلى أدلة مؤيدة لنظريتهم، وتم فعلا اكتشاف هذا الكوكب الجديد وهو كوكب "نبتون" فحوّلوا كل صعوبة جديدة إلى نصر جديد لبرنامجهم. يعد هذا الاكتشاف نجاحا مذهلا لأنه أثبت ان برنامج البحث النيوتوني لا يزال تقدميا وواعدا[1].

ونخلص الى أن دور الكشافة السلبية يكمن في الحفاظ على النواة الصلبة، لذا تعمل على ارسال كل الصعوبات والمخاطر التي تهددها إلى حزام الأمان. إذا كان هذه هي مهام الكشافة السلبية فماذا عن الكشافة الإيجابية؟

ثانيا- المحاولة التجريبية الموجبة(الكشافة الموجبة):

وهو التصميم العام لبرنامج البحث، يساعد العلماء على تحديد المشكلات التي ينبغي حلها والموضوعات المطروحة للبحث والقواعد العامة، والطرق المعتمدة فهي أحد مظاهر البحث التي تدل وتواجه إلى ما ينبغي أن يفعله، ويعرفها لاكاتوس : " إن المحاولة الإيجابية[هي] ... مجموعة من التلميحات أو الاقتراحات مصوغة جزئيا عن طريق تغيير وتطوير أجزاء قابلة للتفنيد لبرنامج البحث، والطريقة التي يتم بها تعديل وإخفاء معالم حزام الأمان القابل للتفنيد"[2].

ولقد بين لاكاتوس أهميتها في تطور النظريات العلمية، لأنها تزود الباحثين بجملة من الاجراءات والتعليمات التي توجه مسارهم العلمي، وترشدهم على ما يجب أن يفعلوه بغرض المحافظة على برنامج البحث، وتحدد لهم الشروط الضرورية ليحقق هذا البرنامج نموه وتقدمه. ولقد فقد توصل هذا الأخير أولا إلى قانون المربع العكسي بالنسبة للجاذبية آخذا في اعتباره الحركة الإهليليجية لكوكب معين جعله مساويا لنقطة مادية متحركة حول الشمس جعلت هي أيضا متساوية لنقطة مادية مستقرة، ولكي تضيف نظرية الجاذبية على

[1] جون بولكين هورن، ماوراء العلم- السياق الإنساني الأرحب، ترجمة يمنى طريف الخولي، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2000، ص 21.

[2] إيمري لاكاتوس، برامج الأبحاث العلمية، مصدر سابق، ص 120.

الحركة الواقعية على الكوكب لا بد أن يخضع لنمو أو تطوير هذا النموذج المثالي فاتجه نحو نماذج أشد اقترابا من الواقع غير أن هذا التطور من يقتضي حل مشكلة نظرية فلم ينجز إلا بعد القيام بأعمال وقد تصدى نيوتن نفسه لهذا البرنامج المحدد[1] وبعبارة أخرى كانت توجه كشافة إيجابية واستطاع التقدم أشواط هائلة، فعندها يصل تطور برنامج ما إلى نقطة يتعين اخضاعه لاختبارات الملاحظة فإن الاثباتات هي التي تأخذ الأهمية الأولى وليس التكذيب فعلى كل برنامج بحث أن يأتي بتوقعات، وابتكارات جديدة يتم إثباتها فيما بعد.

يقوم منطق التقدم العلمي لدى لاكاتوس على افتراض مفاده أن البحث العلمي مهيكل في إطار برامج بحثية تتكون من نواة صلبة محصنة ضد التكذيب وحلقة من الافتراضات الاستكشافية الخاضعة لمقياس **الاختبار**

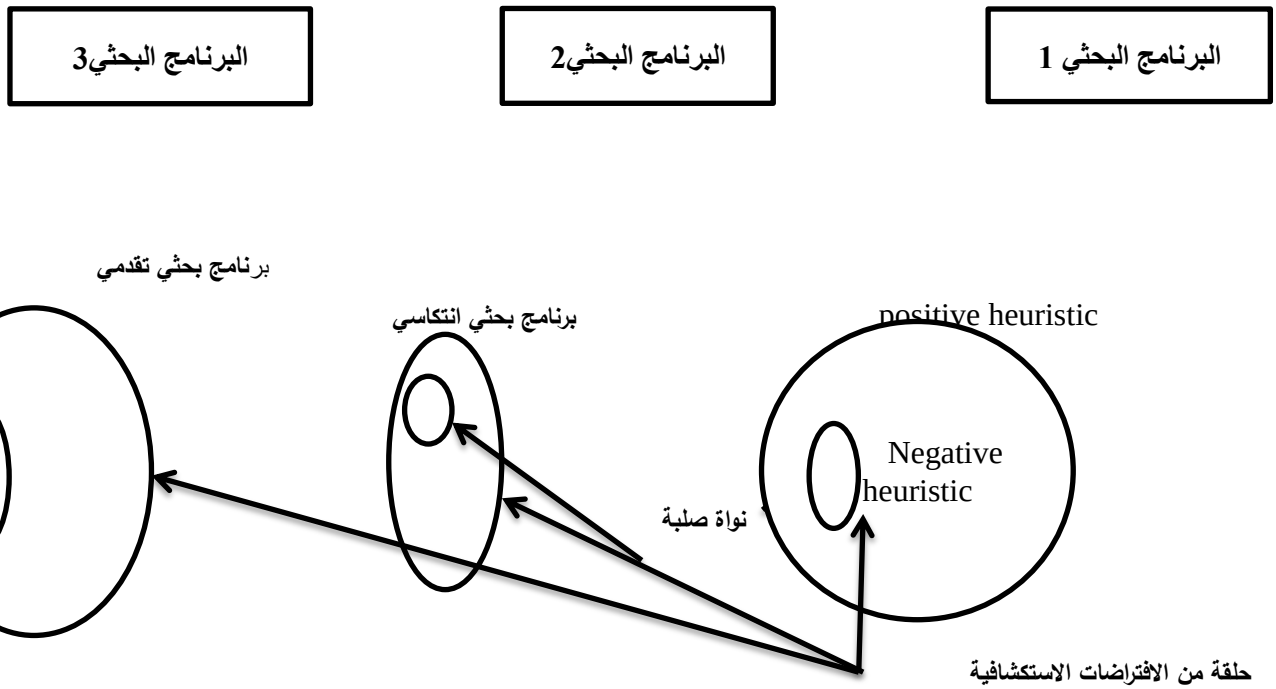

منطق التقدم العلمي لدي إمري لاكاتوس

[1] آلان شالمرز، نظريات العلم، مرجع سابق، ص 180.

4-التنافسية المفتوحة بين برامج الأبحاث العلمية ومآلها بين التقدم والتفسخ:

يعتبر لاكاتوش أن العلم هو ميدان المعركة لبرامج بحث علمية، وليس نظريات متفردة، وهكذا يمكننا استيعاب نمو العلم، وتمييز ناضج، عما هو ليس كذلك، اعتمادا دوما على البرامج كوحدة أساسية للتقييم التي تجد في نموذج المحاولة والخطأ البوبري بعيدا عن أن يرقى إلى مرتبة العلم الناضج خاصة . فقيمة برنامج بحث ما، تكمن بالأساس في قوة بنيته المفاهيمية وثراء تصوراته وديناميةالأفكار التي يحويها ويشتمل عليه، بما يدعم قوته الكشافة وقدرته التوجيهية، سواء في اكتشاف الأمثلة والحالات الداعمة بما يسهم أكثر في ارتقائه وتقدمه(الكشافة الإيجابية) أو بتجنب الشذوذات وتجاهلها(الكشافة السلبية) بما يواصل سيره. وما يهم لاكاتوش ليس وجود شذوذات تعترض سبيل البرنامج، بل ما يهم أكثر هو أن هناك أمثلة وحالات في الجانب الآخر، تتحقق وتدعم البرنامج بتصوراته وتنبؤاته، وهو ما يعني أن نموا للمعرفة، يتزايد من وقت إلى آخر.

فمنهجية برامج الأبحاث اللاكاتوسية لا تولي اهتماما كبيرا للتكذيب مثل كارل بوبر، ويوضح ذلك بقوله: "ليست التناقضات التي تثير القلق في النفس...أو هي التي تحدد أي المشاكل يمكن للعلماء أن يختاروها للعمل بواقعية في برامج البحث ...[بل] تستبعد التناقضات، وتوضع جانبا على أمل أنها ستتحول إلى تعزيزات للبرنامج في الوقت المناسب"[1]. لذا يرفض لاكاتوس فكرة التخلي عن النظرية بشكل سريع لمجرد ظهور مفندات لها، لأن تاريخ العلم يزخر بشواهد علمية تؤكد أن الكثير من النظريات العلمية قد ولد ونشأ وتطور في محيط مليء بحالات الشذوذ. فلا وجود لنظرية تنسجم مع كل الوقائع دون أن يعترض طريقها بعض العثرات، وأغلب النظريات قد نجحت في تجاوز الحالات التي تناقضها وحوّلتها من معيقات إلى عوامل تقدم، وتمكنت من استيعابها بعد تعديل بعض قواعد برنامجها، لذا فهو يشجع كل البرامج العلمية بدون استثناء، وهو ما يمنح الباحث أو جموع الباحثين حظوظا متكافئة، ويبعث فيهم حافزا نفسيا قويا ويبعدهم عن اليأس.

[1] إيمري لاكاتوس، برامج الأبحاث العلمية، مصدر سابق، ص ص 153-154.

يرى لاكاتوس أن كل برنامج بحث مسموح له ببعض الهزائم، ولكن حتى يعود إلى ساحة المنافسة فيحتاج الى إثبات صحة تنبؤاته. وإذا كانت هذه العودة دون إضافة في محتواه المعرفي أو قوته التنبؤية فإن الحرب ستكون خاسرة. ولكن البرنامج المهزوم بإمكانه المقاومة والعودة الى الواجهة إذا كان يشرف عليه " علماء ذوي خيال وموهبة. كما يمكن للمدافعين عن البرنامج المهزوم أن يقدّموا تفسيرات ذكية بغرض الإقلال من البرنامج المنتصر"[1]. اذ يستمر برنامج ما في الممارسة العلمية إذا كان قادرا على تحقيق انتصارات جديدة وذلك يكون بصياغة فروض مساعدة تعزز قوته التفسيرية. أما إذا كانت هذه الفروض تقلل من قدرته على استنباط تنبؤات مستقبلية، فيمكن القول هنا إن هذا البرنامج البحثي في تقهقر وتراجع.

كيف يقود هذا التنافس إلى استبعاد بعض البرامج عن الساحة العلمية؟ وهل يوجد سبب موضوعي لهذا الاستبعاد؟ يكون هذا السبب موضوعيا في نظر لاكاتوس اذا كان برنامج البحث المنتصر يفسّر كل ما نجح فيه منافسه وما عجز عن تفسيره، فيحل محله بفضل قوة محاولته التجريبية وكشافته الايجابية"، وقوة محاولته التجريبية تكمن في الطريقة التي يؤوّل بها الوقائع، فتفسيراته عليها أن تتضمن فروضا جديدة غير معروفة. ولكن جدة الفرض ترى غالبا بعد فترة طويلة، لأن برنامج البحث الجديد الذي دخل حديثا في المنافسة يمكن أن يأخذ وقتا ليثبت جدارته وينال تأييد المجتمع العلمي.

وهكذا، يميز لاكاتوس بين البرامج التقدمية القوية والبرامج المتراجعة الراكدة. أي أن كل برنامج بحث إما أن يكون متقدما وإما أن يكون متراجعا، بحيث "يكون برنامج بحث تقدميا إذا كان كل تعديل فيه يؤدي إلى تنبؤات جديدة غير منتظرة" يمكن إثبات صحتها تجريبيا، فتعزز برنامج البحث وتزيد من محتواه المعرفي وقدرته الكشفية. ويكون برنامج بحث متدهورا أو متراجعا إذا فشلت تنبؤاته المستقبلية في الإحاطة بالوقائع الموجودة. فنقطة الفصل بين برامج البحث هي القدرة على وضع تنبؤات مستقبلية يمكن اثباتها بالتجربة أو

[1] إيمري لاكاتوس، برامج الأبحاث العلمية، مصدر سابق، ص 159.

الرصد. فإذا كان برنامج البحث خصبا قادرا على وضع تنبؤات جديدة فهو متقدم، أما إذا كانت فرضياته لا تساعده على وضع تنبؤات مستقبلية واضحة، فيمكن القول إن هذا البرنامج البحثي متراجع وعليه أن يتجهز للرحيل ليحل مكانه برنامج بحث آخر

إن برنامج البحث الذي سينتصر حسب لاكاتوس هو الذي يمتلك القدرة المستمرة على. فمثلا تراجع البرنامج النيوتوني بعد مائتي عام من النجاح المتوالي وذلك حين فشلت تنبؤاته في تفسير ظاهرة شذوذ كوكب عطارد عن مداره، حيث كذبت الملاحظات الفلكية فرضه عن وجود كوكب آخر مجهول يعيق حركته، فأصبح برنامجا متدهورا، لذا حل محله برنامج آخر هو برنامج انشتاين الذي تمكّن من تفسير سلوك عطارد بفضل نظريته الجديدة في "مجالات الجاذبية "، فأحرز بذلك نجاحا مذهلا[1].

إن الإنجازات العلمية الكبرى ليست سوى برامج بحث يمكن تقييمها بحسب درجات التقدم والتراجع، حيث تنتج عن الثورات العلمية برامج بحث أكثر تقدما تحل محل برامج بالية استنفذت مقتضياتها. ويرى أن الانتقال من برنامج بحث إلى آخر ليس تحولا جشطالتيا لا علاقة له بالمنطق مثلما كان يتصوّر كون، وإنما عقلانيا.

هذه المقارنة بين البرامج المتنافسة وتقييمها جعلت لاكاتوس يضع معايير تحدد مدى تقدم أو ركود برنامج ما، حيث يعتبر أن برنامجا ما متقدم إذا كان نموه النظري متقدمًا عن نموه التجريبي ومحتفظ بقدرته على التنبؤ. ويكون راكدًا أو متفسخا إذا تخلف نموه النظري عن نموه التجريبي وبالتالي عليه أن يفسح المجال لبرنامج أفضل منه ليقود الممارسة العلمية. وهذا التنافس المتواصل بين برامج البحث هو الذي يدفع عجلة العلم دوما الى الأمام. إن التقدم الذي يحرزه العلم حسب لاكاتوس لا يكون إلاّ من خلال التنافس المفتوح

[1] مشاط حياة، الظاهرة العلمية في فلسفة إمري لا ماكوش، مجلة قطاع الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر، المجلد 25، العدد1، 2020، ص 259.

بين البرامج المختلفة، ويعتبر ميتودولوجية برامج الأبحاث العلمية أحسن أداة لفهم ميكانيزمات انتاج المعرفة العلمية[1].

المحاضرة السادسة: بول فايرابند والفوضوية المنهجية

تمهيد

من بين التنظيرات الابستمولوجية التي عرفها القرن العشرين وتعد مثابة نقلة نوعية في فلسفة العلوم تللك المقاربة الابستمولوجية التي قدمها كارل بول فيرابند، وتكمن هذه الجرأة وهذا التميز في بلورته لرؤية فكرية جديدة تثور ضد كل التصورات والتنظيرات المعروفة في مجال العلم وفلسفته، حتى لقب بالعديد من الألقاب، ووصف بالكثير من الصفات، فقد لقب "بفيلسوف العلم الثائر" وبـــ"العدو اللدود للعلم"، و"بالفوضوي" واللاعقلاني المتطرف"، وذلك لمناهضته لكل الأنساق الابستمولوجية والميتودولوجيات المتداولة، وانتقاداته الصارمة لجميع نظريات العقلانية الحديثة والمعاصرة، إذ يقف "فيرابند" ضد النزعة الاستقرائية، وضد العقلانية النقدية البوبرية، حيث يرفض كل محاولة ابستمولوجية وكل متودولوجيا تسعى إلى بناء نظرية تستهدف عقلنة الممارسة العلمية ويؤسس لمفاهيم جديدة لم تعرفها فلسفة العلم من قبل كمفهوم اللامقايسة ، الاستقراء المعاكس، الفوضوية الابيستمولوجية ، فما دلالات هذه المفاهيم ؟

1-الفوضوية الابيستمولوجية عند بول فييرابند :

بداية سوف نوضح معنى الفوضوية حسب بعض المعاجم، فهي مصطلح مشتق من الكلمة اليونانية[2] (avapxia) التي تعني بدون حاكم أو مللك أو رئيس وهذا المصطلح ترجمه للاتينية بكلمة أناركيا (Anarchia) وهي مكونة من ضقين (an) تعني الضد أو

[1] مشاط حياة، الظاهرة العلمية في فلسفة إمري لا ماكوش، مرجع سابق، ص 262.

[2] نوفي علي، قاموس عربي يوناني، مكتبة لبنان، بيروت، 1990، ص 276.

النفي، والثاني (Archia) يعني السلطة،، فالترجمة الحرفية للفظة هي: اللاسلطة أو اللانظام أو بمعنى الحكومة[1].

ويشير لالاند أن مفهوم الفوضى والفوضوية، استعمل للمرة الأولى مع برودن، تعرف الفوضوية في قامس لالاند بمعنيين:

-اختلال النظام بسبب غياب السلكة المنظمة.

- مذهب سياسي أو نظرية سياسية، تكمن سمتها المشتركة في رفض كل نظام دلة، بفرض نفسه على الفرد[2].

من التعريف السابق للمصطلح يتبين لنا البعد السياسي للمصطلح والمتداول في الأدبيات السياسية " لذا ففيرابند" أول من نقل مصطلح "الفوضوية" من هذا المجال إلى أدبيات فلسفة العلم المعاصرة فقد جعل منها (الفوضوية) عنوانا فرعيا لأهم وأول كتاب له: "ضد المنهج": مخطط لنظرية فوضوية في المعرفة" حيث وظف "فيرانبد" مصطلح الفوضوية في فلسفة العلم ليتوافق مع موقفه المناهض للعقلانية العلمية الكلاسيكية القائمة على القواعد والمعايير، والمنهج الثابت، ومن المنطلق أن العلم ذاته عمل فوضوي، حيث يقول:" العلم أساسا عمل فوضي، والفوضوية أكثر انسانية من العلم، لمرجح أنها تشجع التقدم أكثر من البدائل المنهجية المتمثلة في القانون والنظام"[3].

فالعلم عند " فيرانبد "في جوهره" مشروع فوضوي لا يعترف بأية سلطة تحد من نشاطه، فكل النظريات، وكل المناهج فيه مقبولة تبعا لشعاره المشهور "كل شيء حسن"، ويختلف مفهوم "الفوضوية الابستمولوجية" عن "الفوضوية السياسية" "والنسبية البروتاغورية"، وعن غيرها من الأنماط الفكرية والاجتماعية الأخرى.

فإذا كان الفوضوي السياسي يسعى لإلغاء نمط حياة معين واستبداله بآخر وتحسين صورة محددة للحياة، الأمر ذاته في نظر فيرابند ينطبق على المعرفة العلمية، فان

[1] بيلي فرانك، معجم بلاكويل للعلوم السياسية، ترجمة ونشر مركز الخليج للأبحاث، ط1، 2004، ص 25.

[2] أندري لالاند، مرجع سابق، ص 169.

[3] بول فيرابند، ثلاث محاورات في المعرفة، تر محمد أحمد السيد، منشأ الإسكندرية،(د.ط) (د.س)، ص11.

الفوضـوي الابستمولوجي يستـطيـع أن يـدافع عن أي تـوجــه، وعـن أية فـكـرة مهما بدت مبتذلة، كما يمكن أن ينقد أي تصور كيفما كان تأسيسه، طالما أنه لا توجد مشروعية دائمة.

وعلى هذا الأساس فإن الفوضوية الابستمولوجية هي اتجاه مضاد لكل ميتودولوجية معيارية تدعي أن هناك قواعد حصينة غير قابلة للتغيير تحكم سير العلم، وتتخذ كمعيار للتمييز بين الذاتية والموضوعية، وبين العقلانية واللاعقلانية، وبين العلم واللاعلم، كما نجد ذلك عند الوضعيين المنطقيين والتفنيديين الذين حاولوا حصر الثراء الكبير لتاريخ العلم في قوالب منهجية ومنطقية جامدة، فالقول بالفوضوية:" إن الفوضويين المحترفين يقفن ضد أي نوع من التقيد، ويطالبون بأن تتاح للفرد الفرصة لكي يتطور بحرية، وألا تعرقله أي قوانين أو واجبات أو تعهدات، وهم بذلك يستوعبون دون أن يرتبطوا بكل المعايير التي يفرضها العلماء..."[1].

إن الفوضوية الابستمولوجية فيما يرى " فيرابند " هي السبيل الأمثل لردم الهوة بين الابستمولوجيا وواقع العلم واحتواء العوامل المتعددة والمتشابكة التي تكوّن ظاهرة العلم، إن الفوضوية ربما ليست الفلسفة السياسية الأكثر جاذبية، لكنها بالتأكيد هي العلاج الفعال الابستمولوجيا ولفلسفة العلم.

ولا يعني مصطلح "الفوضوية" الفوضى أو العشوائية، وإنما المعنى الذي أراده " فيرابند" لهذا المصطلح هو عدم التقيد بقوانين العقل ومعايير العقلانية، والتفتح على كل الخيارات والبدائل المنهجية والنظرية غير العقلانية كالخيال والحدس والعاطفة والأساطير والسحر والتقاليد...، فالعلم كما يراه " فيرانبد " أكثر لا عقلانية وأكثر فوضى، وأكثر تعقد، مقارنة بصورته العقلانية القائمة على النظام والقانون.

يقول فيرانبد: "إن أطـروحـتي هي أن الفوضـوية تساهم في إحراز التقدم مهما كان المعـنى الذي تحــمله، وحتى العـلـم القائم على النظام والقانون لا يحقـق نجاحا، إلا إذا فسح المجال لحركات فوضـوية، وأن فكرة المنــهج الثابت والنظرية الثابتـة للعقلانيــة، تقوم

[1] خالد قطب، التعددية المنهجية، المكتبة الأكاديمية، ط1، القاهرة، 2008، ص ص 13-14.

على رؤية ساذجة جدا للإنسان، ولمحيطه الاجتماعي، وإلى هؤلاء الذين ينظرون إلى المادة الثرية التي يزخر بها تاريخ العلم دون محاولة تطويرها، من أجل نزعة عقلانية تقوم على مفاهيم من مثل: الوضوح، الدقة، الموضوعية، الحقيقة، الصدق ــ إلى هؤلاء ـ سوف يتضح أن هناك مبدأ واحدا فقط يمكن الدفاع عنه في كل الظروف، وكل مراحل التطور الإنساني وهو: "كل شيء حسن"[1]

فليست هناك ــ حسب فييرابند ـــ قواعد ثابتة، أو معايير قبلية تحدد مسيرة العلم، ولا توجد نظرية علمية بل نظريات متعددة ومتعارضة، وتقاليد ووجهات نظر مختلفة، تفسر وتؤول نفس الوقائع في صور أشكال وجودية متعددة، ولا وجود لحدود عقلانية لهذه التأويلات، فكل نظرية وكل تقليد وكل فكرة وكل منهج مقبول ويمكن أن يساهم في فهم الطبيعة، وفي فهم مسيرة العلم المعقدة، فإذا أردنا أن نفهم حقيقة العلم يجب علينا استعمال جميع الأفكار، جميع المناهج، وليست انتقاء البعض منها فقط فكل شيء جائز وكل منهج مقبول ما دام يفي بالغرض.

2- ضد المنهج:

ارتبط مفهوم العقلانية في فلسفة العلم الكلاسيكية بالمعايير والقواعد التي تحكم وتوجه الفكر أو الفعل، حيث يوصف الفكر أو الفعل بأنه عقلاني، متى كان يسير وفقا لأفضل المعايير المتاحة، ويوصف التفكير بأنه عقلاني إذا كان مطابقا لمجموعة من القواعد الواضحة، وهذا ما يفسر ارتباط العقلانية بالميتودولوجيا باعتبار أن المنهج هو ما يوفر منطقا أو معيارا عقلانيا من شأنه أن يبرر قبول أو رفض القضايا أو العبارات.

والعلم في جوهره ليس شيئا غير البحث المنهجي عن المعرفة، وصفة المنهجية صفة أساسية في العلم، حتى أنه في وسعنا أن نعرف العلم عن طريقه، فنقول إن العلم في صميمه معرفة منهجية، وبذلك نميزه بوضوح عن أنواع المعرفة الأخرى التي تفتقر إلى هذه

[1] أحمد أنور، ضد المنهج، إطلالة على أزمة العقلانية الغربية المعاصرة ، سلسلة الفلسفة والعلم،

الصفة. ويرجع ارتباط العقلانية بالمنهج إلى الفكرة الجوهرية التي يتأسس عليها مفهوم العقلانية، ونعني بها فكرة " النظام"، "فالنظام" هو أحد مفاهيم العقل الأساسية، ويشمل الترتيب الزماني، والترتيب المكاني، والعلل، والقوانين ... والنظام الطبيعي هو اطراد لوقوع الحوادث، وفقا لقوانين معينة".[1]

وعلى هذا الأساس فان مهمة العلم هو إيجاد تفسير منظم (عقلاني) للعالم، وذلك بوضع طريقة أو منهج محدد يقوم على مجموعة من القواعد والمعايير الثابتة لتنظيم تفكيرنا وممارستنا العقلية، وفي الوقت نفسه تنظيم العالم الخارجي، فتقدم العلم والبحث العلمي رهين بالمنهج، ويدور معه وجودا وعدما، دقة وتخلخلا، خصبا وعمقا، صدقا وبطلانا، وأن انتكاسة العلم تعود إلى النقص في تطبيق قواعد المنهج العلمي."[2]

ينتقد فيرابند هذا التصور العقلاني للمنهج ويدعو إلى التساؤل عما إذا كان هنالك حقا منهجا كليا، ثابتا، يتوجب إتباعه، والالتزام بقواعده لفهم ودراسة هذا الواقع العلمي المعقد، ليس ثمة ـــ حسب"فيرابند" ـــ "منهج علمي، ولا توجد مجموعة من الإجراءات أو مجموعة من القواعد تشكل أساسا لكل نموذج بحث علمي وضمانا له، فعلى الرغم من وجود أنماط للنجاح في العلوم، إلا أنه ليس هناك منهج ثابت، ولا يمكن أن يكون ثمة منهج كلي، فالانجازات التي تمت في مجال العلوم لا يمكن أن تعزى لوجود مبادئ عامة، تغطي كل المجالات، فلا توجد حقيقة كلية، ولا معايير محددة للمعرفة والعقل، وحتى وإن كانت المعايير والقواعد الميتودولوجية مطلوبة من أجل السير العقلاني والمنطقي للبحث (وخاصة البحث العلمي) فانه يتوجب ألا نجعل من تلك المعايير والقواعد، المعايير الثابتة والوحيدة، لأن ذلك سيكبح مسيرة العلم، خاصة إذا كانت تلك القواعد والمعايير تعبر عن تصورات مذهبية.

[1] لالاند أندري، الموسوعة الفلسفية ، مرجع سابق، ص 720.

[2] عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1968، ص 10.

كما أن الالتزام الصارم بقواعد المنهج، يؤدي إلى خنق القدرات العقلية، وكبح قوة الخيال، والحد من القدرات الإبداعية، يقول فييرابند "فالفكرة القائلة بأن العلم يمكن له، وينبغي له أن ينتظم وفقا لقواعد ثابتة وكلية، هي فكرة مثالية وذات بريق خادع، فهي مثالية لأنها تتضمن تصورا مفرطا في البساطة حول ما يملكه الإنسان من استعدادات وقدرات، وحول

الظروف التي تشجعها على النمو، وهي براقة خادعة من حيث أن محاولة فرض مثل هذه القواعد لا تخلو من جعل الزيادة في كفاءتنا المهنية لا يكون إلا على حساب إنسانيتنا، فضلا عن أن هذه الفكرة مضرة بالعلم، لأنها تهمل الشروط الفيزيائية والتاريخية المعقدة التي تؤثر في عملية التحول العلمي، إنها تجعل مشروعنا العلمي أقل مرونة، وأكثر دوغماتية

إن فكرة الالتزام بقواعد المنهج التي ميزت معظم الميتودولوجيات في فلسفة العلم الكلاسيكية والمعاصرة تقوم حسب "فيرابند" على مسلمة خاطئة، وهي الاعتقاد بوجود منهج وحيد ينبغي الالتزام به في الممارسة العلمية، وأن هذا المنهج هو السبيل الوحيد لتحصيل المعرفة واكتشاف الحقيقة. ويستند "فيرابند" إلى تاريخ العلم للبرهنة على بطلان هذا الاعتقاد حيث إن فكرة وجود منهج ينطوي على مبادئ صارمة وثابتة تحكم مسيرة العلم، تواجهها صعوبات جمة عند مجابهتها بنتائج البحث التاريخي، إذ أنه ليس ثمة قاعدة واحدة مهما كانت مؤسسة وراسخة في حقل الابستمولوجيا، لم يتم انتهاكها ولو لمرة واحدة، وهذه الانتهاكات لقواعد المنهج، ليس حوادث عرضة، وليست ناتجة عن نقص في معارفنا، أو عن عدم وعي يمكن تداركه، بل هي على العكس ضرورية للتقدم العلمي.

وعلى هذا الأساس يعارض "فيرابند" كل الميتودولوجيات التي عرفتها فلسفة العلم التي تفترض وجود معايير وقواعد ثابتة كلية، ولا تاريخية، ولا يجب أن نفهم من دعوة "فيرابند" إلى "ضد المنهج"، أو "اللامنهج"non-méthode أن البحث العلمي يسير خبط عشواء، ودون أية قواعد أو إجراءات عملية، أو أنه بنفي المنهج مطلقا، وإنما يعني "اللامنهج": لا يوجد

منهج علمي محدد، كلي ولا تاريخي، وليست هناك مبادئ وقواعد أو شروط مسبقة ثابتة ونهائية تحدد منهج العلم ومسيرته، كما هو الشأن عند التجريبية المنطقية والتكذيبية البوبرية، فدعوى فيرابند ضد المنهج تدخل في معركة ضد الميتودولوجيا المفروض فيها أن تقدم قواعد العمل أو السلوك للمشتغلين بالعلم [1]

فاللامنهج هو إجراء فوضوي، في مقابل الالتزام المتزمت بالقواعد والمعايير العقلانية، والغرض منه تحرير العلم من سلطة المنهج ،كما أن "اللامنهج" يعني عدم فرض منهج معين، أو طريقة بحث معينة، ثم العمل على قولبة موضوع الدراسة أو البحث داخل ذلك الإطار المنهجي، لأن ذلك لا يناسب الوضع الحقيقي للعلم فقواعد وإجراءات البحث العلمي تتحدد بظروف وأهلية البحث ذاته ومعايير الحكم عليها، وتعديلها أو تغييرها لابد أن تكون متكيفة مع العمليات والمواضيع التي يبحث فيها[2]،

3-التعددية المنهجية:

أقام فيرابند مشروعة على رؤى علمية يقينية مطلقة تستوعب كل المعارف، إلى السؤال: ما إذا مان للعلم منهجا كليا واحدا، والدارس لفلسفة المناهج يجد أن الفكر الإنساني قد عرف العديد من الفلسفات والاتجاهات التي حاولت بناء مناهج للوصول إلى المعرفة.

تتأسس فكرة التعددية المنهجية عند فيرابند من خلال فكرة الفوضوية واللامنهج، الذي جعله يسخر من السؤال عن المنهج المناسب للعلم، حيث اعتبره سؤالا زائفا لا يعبر عن حقيقة المعرفة العلمية أو العلم، وهو ما وقعت فيه الابستمولوجيا الكلاسيكية تمركزت حول الواحدية المنهجية، فنظريته الميتودولوجية هي " التعددية المنهجية" التي هي ذاتها فوضوية أو اللاسلطوية المعرفية، فهي ترفض بشدة تنصيب السلطة المعرفية لمنهج محدد، ترفض أيضا تنصيب السلطة المعرفية للعلم بالذات[3]. لأن تقدم العلم ليس تقدما خطيا نحو الحقيقة

[1] ألان شالمرز، نظريات العلم، مرجع سابق، ص 135.

[2] باول فيرابند، العلم في مجتمع حر، تر السيد نفادى ومراجعة سمير حنا صادق، المجلس الاعلى للثقافة، 1985، ص 117.

[3] يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، سلسلة عالم المعرفة، 1978، ص422.

أو عملية اجتماع نحو وجهة نظر مثالية، بل هو محيط متوسع من البدائل، كل منها يدفع الأخريات إلى مزيد من الوضوح في التفاصيل.

فالعلم ليس له منهج خاص به يميزه عن أي نشاط فكري أخر أو يجعله يستحق درجة أكبر من الاحترام، حيث تواجه فكرة وجود منهج علمي يتضمن مبادئ صارمة لا تتغير وملزمة إلزاما مطلقا صعوبات جمة عند مقارنتها بنتائج البحث التاريخي، إذ لا توجد قاعدة واحدة مهما بدت ممكنة، أو مستندة إلى أسس ابستمولوجية راسخة إلا وتم تجاوزها في وقت من الأوقات[1]. وعلى هذا الأساس فإنه يرفض الثبات والمطلقية في مشروعه، لأن تيار التاريخ البحث العلمي يثبت التغير والتعدد.

فالتعددية صفة جوهرية في المعرفة العلمية أو العلم لأنها تجعل المعرف العلمية تتوسع، لتشمل كل المعارف الإنسانية سواء كانت علمية أو لا علمية حسب المفهوم القديم خصوصا التصور التجريبي والوضعي لأنه مهما بدت لنا قواعد المنهج التي يعتبرها فلاسفة العلم ضرورية وأساسية، فهناك دائما ظروف تستدعي ليس فقط تجاهل هذه القواعد، وإنما تبني عكسها[2] لتكون عبارة " كل شيء يصلح في العلم" هي المعبرة عن حقيقة العلم، فلا وجود لأفضلية منهجية أو معرفية، فالمبدأ الأساسي الذي يجب أن يعترف به العلم هو التعددية العلمية التقدمية في مقابل الواحدية السكونية.

4- نقد فيرابند لأسطورة تفوق العلم وامتيازه عن باقي النشاطات المعرفية:

تعد وجهة نظر"فيرابند" حول العلم واحدة من أكثر وجهات النظر جرأة واستفزازا، ويندرج تصوّره للعلم في إطار مشروعه الابستيمولوجي والسياسي الرامي، إلى مناهضة العقلانية العلمية الغربيي، القائمة على مسلمة مفادها أنّ العلم الغربي هو وحده دون غيره القادر على اكتشاف الطبيعة والسيطرة عليها، وأنّه المقيّم أو المعيار الوحيد للحضارات والمعارف الأخرى غير الغربية.

[1] بول بيرابند، طغيان العلم، تر مركز دلائل، مراجعة وتحقيق عبد الله الشهري، مركز دلائل، الرياض، السعودية، ط1، 1438 م ، ص 23.

[2] بول فيرابند، ثلاث محاورات في المعرفة، مصدر سابق، ص 12.

ينطلق "فيرابند" في معرض مناقشته لموضوع العلم من تساؤلين رئيسيين، الأول: ما هو العلم؟ وهل تختلف معاييره ونتائجه عن معايير وحقول النشاطات الإنسانية الأخرى؟ والسؤال الثاني: ما هو الشيء العظيم في العلم الذي يجعل منه مفضلا، وأرقى من النشاطات المعرفية الأخرى ؟ هل بسبب عقلانية معاييره أو بسبب نتائجه المهمّة؟ [1]

إنّ الإجابة عن السؤال الأول متعدّدة، فكل مدرسة من مدارس العلم تقدّم تصّورا مختلفا عن ماهية العلم وكيف يؤدي عمله، ويجمل بول فيرابند إجابته عن السؤال الأوّل بقوله: "إن طبيعة العلم مازالت مغلّفة بحجب من الظلام، ولا يزال الموضوع قيد المناقشة، وثمة فرصة سانحة لمعرفة ما متواضعة عن العلم سوف تنشأ ذات يوم".[2] أمّا بالنسبة لامتياز العلم وتفوّقه عن باقي النشاطات المعرفية الإنسانية الأخرى، فإن المدافعين عن هذا الرأي يبنون موقفهم على دعامتين أساسيتين:

-**تتمثل الدعامة الأولى:** في الاعتقاد بأن نتائج العلم مستقلة بذاتها ولا تدين بشيء لأي فعاليات غير علمية.

-**وتتمثل الثانية:** في القول بامتلاك العلم لمنهج علمي ثابت قائم على مجموعة من القواعد الصارمة.

ويعلّق "فيرابند" بسخرية على ما هو شائع في المجتمع، إذ من النادر أن نجد شخصا يسأل ويشكك في أفضلية وتفوّقه على باقي المجالات،" إذ تجد العلماء وفلاسفة العلم يدافعون عن العلم مثلما يتصرف المدافعون عن الكنيسة الرومانية الواحدة، فالمذهب الكنسي صحيح، وكلّ ما عاداه وثني وبلا معنى، وكان هذا التوجّه ذات يوم كنوزا للخطابة الدينية، وقد وجدت لها الآن موطنا جديدا في العلم ".[3]

إن ما يجعل تفوّق العلم عن باقي المجالات المعرفية الأخرى أمرا بديهيا، مبعثه خطأ فادح يتمثّل في أنّنا نفاضل بين العلم، وبين غيره من المجالات على أساس معايير العلم

[1] باول فيرابند، العلم في مجتمع حر، مصدر سابق، ص91.

[2] مصدر نفسه، ص 92

[3] مصدر نفسه، ص 92.

ذاته (الموضوعية، الصدق، اليقين، المنهج العلمي) لكن تاريخ العلم نفسه يؤكّد أنّ العلم لم يتفوّق بسبب نتائجه، ولا بسبب منهجه، فنحن نعلم ما يؤدّيه العلم لكن ليست لدينا أدنى فكرة عمّا إذا كان في مقدور تقاليد أخرى ـ غير علمية ــ أن تؤدّي أفضل منه بكثير أم لا ولذا يتعيّن علينا أن نبحث عن ذلك.[1]

فالنتائج التي حقّقها العلم في جميع مجالاته، لا تعطيه الأفضلية والامتياز، ذلك لأنها تدين بشكل كبير إلى معارف غير علمية هي من نتاج معارف إنسانية قديمة لا تنتمي إلى مضمار العلم، والمثال المحبّب لفيرابند في هذا الصّدد هو "الثورة الكوبرنيكية"، فقد استقى "كوبرنيك" أفكاره من الفيثاغوري "فيلولاوس"حيث تبنى أفكاره ودافع عنها بعد أن خرق قواعد العقلانية السائدة ، وقواعد الحس المشترك، وكان "فيلولاوس" فيثاغوريا صوفيا مشوش الذهن، ومثلما انتفع علم الفلك من المذهب الفيثاغوري ، نجد أن الميكانيكا والبصريات تدينان كثيرا لحرفة الصّناع، ويدين الطب للقابلات والعرّافين وبائعي الأدوية المتجولين[2].

فلا وجود إذن لحجّة قطعية ونهائية يمكن اعتمادها لتأييد الدور الاستثنائي للعلم وامتيازه عن باقي المعارف الأخرى، بل ليست للعلم ـ على حدّ تعبير فيرابند ــ أيّ سمة تجعله أسمى أو مختلف عن السّحر والشعوذة أو التنجيم، فالعلم ليس إلاّ تقليدا من بين التقاليد الأخرى الموجودة في المجتمع.

إن العلم حسب فيرابند ليس نظاما معرفيا مقدّسا يستلزم الكفر بكلّ ما عداه أو خالفه، انّه نظام عقلاني وجب أن ينمو ويزدهر وسط الأنظمة المعرفية الأخرى، وإذا كان العلم الذي ساد في القرنين السابع والثامن عشر قد اعتبر أداة للتنوير والتحرّر، فمن غير الملزم أنّ يظلّ دائما أداة للتحرر أو التنوير، فالعلم شأنه في ذلك شأن أيّة إيديولوجية أخرى،

[1]– بول فيرابند، العلم في مجتمع حر، مصدر سابق، ص 121.

[2]–المصدر نفسه، ص92.

قد يؤدّي إلى الخراب والدمار، بل إنّ العلم اليوم أصبح يماثل في استبداده الإيديولوجيات التي جاء أصلا ليحاربها ويخلّص الإنسان منها .

لقد أسس "فيرابند" لنظرية جديدة في المعرفة، وهي "الفوضوية الابستمولوجية" ولا تعني "الفوضوية": الفوضى أو العشوائية، وإنما المعنى الذي أراده "فيرابند" لهذا المصطلح الجديد في فلسفة العلم، هو عدم التقيد بقوانين العقل ومعايير العقلانية، والتفتح على كل الخيارات والبدائل النظرية والمنهجية، فالعلم كما يراه "فيرابند" هو أكثر لا عقلانية.

وبهذا كانت الفوضوية الابستمولوجية اتجاه مضاد لكل ميتودولوجيا معيارية تدعي أن هناك قواعد ومعايير تحكم مسيرة العلم، وتتخذ كمعيار للتمييز بين الذاتية والموضوعية، وبين العقلانية واللاعقلانية، وهي تصور جديد في فلسفة العلم، يسعى إلى ردم الهوة بين الابستيمولوجيا وواقع العلم، واحتواء العوامل المتعددة والمتشابكة التي تكون ظاهرة العلم.

إلى جانب ذلك، فيرابند ليس ضد العلم، وإنما ضد سيطرة العلم وسيادته، وضد مقولة أنه وجهة النظر الواحدة والوحيدة للنظر إلى العالم وتفسيره. كما أن دعوته الى "اللامنهج" لا تعني أنه ينفي المنهج مطلقا، وإنما يعني "اللامنهج": عدم وجود منهج علمي محدد كلي ولا تاريخي، وعدم وجود مبادئ وقواعد أو شروط مسبقة ثابتة ونهائية تحدد مسيرة العلم فقواعد وإجراءات البحث العلمي تتحدد بظروف وأهلية البحث ذاته.

المحاضرة السابعة: جون بياجي والإبستيمولوجيا التكوينية

تمهيد

تشتمل الابستمولوجيا على دراسة المعرفة وبشكل اسئلة، كيف تتكون معارفنا؟ كيف تنمو؟ فهذه المسألة قديمة طالما شغلت الفكر الفلسفي ولم يعد إلى حلها بطرق التفكير الشخصي. لقد وضع بياجيه هذه المسألة على بساط التجربة العلمية مبينا أولا أن هناك عدة اشكال من المعرفة، وكل شكل منها يثير عددا من المسائل الخاصة. إلى جانب ذلك، أعاد صياغة السؤال كيف تنمو المعرفة؟ إلى صيغة الجمع: كيف تنمو المعارف؟ على أي

مستوى التكويني والعودة إلى الينابيع وضبط تكوين المعرفة من منطلق عدم وجود معرفة مسبقا لا في بنيات الفرد لأنها نتيجة بناء فعلي ومستمر، ولا في مميزات الشيء المسبق.

كما أن استعانة الابستمولوجيا بعلم النفس التكويني فرضته الضرورة المعرفية والمنهجية في عملية البحث عن شروط تكوين المعرفة ونموها المرحلي، لذا فلأسئلة الجوهرية التي تطرح في هذا المجال هي: كيف تتكون المعارف؟ وكيف تنمو؟ توحي هذه التساؤلات المعرفية التحول المعرفي في الدراسات من البحث الوصفي الفلسفي إلى البحث التجريبي الاختباري، هذا ما دفع بياجيه إلى نقد المعرفة الفلسفية من ناحية الموضوع و المنهج بغرض الوصول إلى فصل موضوع المعرفة عامة من الفلسفة، وتأسيسها كعلم جديد مستقل أطلق عليه الابستمولوجيا التكوينية، وعليه هل استطاع بياجيه تكوين معرفة علمية سيكولوجية وفق الابستمولوجيا التكوينية؟ وكيف تنمو المعارف؟

1/-مفهوم الإبستمولوجيا التكوينية عند بياجيه:

الإبستمولوجيا (Epistemology) هي مبحث نقدي في مبادئ العلوم وفي الأصول المنطقية لهذه المبادئ[1]. أو هي نظرية العلوم أو فلسفة العلوم أو دراسة مبادئ العلوم وفرضياتها ونتائجها دراسة نقدية تؤدي إلى إبراز أساسها المنطقي وقيمتها الموضوعية. وعليه فإن الإبستمولوجيا تختلف عن دراسة مناهج العلوم وطرق تدريسها من جهة، وعن دراسة ترطيب القوانين العلمية من جهة أخرى، لأن الدراسة الأولى من المنطق التطبيقي، في حين ان الثانية قسم من الفلسفة الوصفية أو فلسفة التطور.

تتكون كلمة الإبستمولوجيا من مقطعين الأول هو Epistemo وهو مشتق من الكلمة الإغريقية Episteme بمعنى المعرفة، أما المقطع الثانيLogy فيعني العلم بوجه عام. ومن ثم فقد اطلق الكثيرون على الإبستمولوجيا(علم المعرفة)[2].

[1] مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ط3، دار الثقافة الجدية، القاهرة، 1979، ص 2.

[2] فؤاد كامل، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مراجعة زكي نجيب محمود، دار القلم، بيروت،(د.ت)، ص 475.

أما كلمة تكوين Genetic، فهي نسبة إلى تكوين، أي ما يتعلق بتكون كائن أو ظاهرة أو نظام، والنهج التكويني دراسة علم من العلوم عن طريق تبين تكوينه. ويعرف جميل صليبا التكوين " هو الفعل الذي أحدث به الشيء حتى وصل إلى حالته الحاضرة، ونعني به التصيير والتخليق والاختراع والصنع والتصوير، ويقال الطريقة التكوينية وهي أن تدرس موضوعات العلوم من جهة تكوينها أي تعريفها التكويني كأن يعرف الشيء بالفعل المولد عنه[1].

أما (التكوين) عند بياجيه فيرتبط ارتباطا وثيقا بمفهوم البنية Structure الذي يخضع بدره لمبادئ التحول والتطور: فالتكوين هو انتقال من الحالة(أ) إلى الحالة (ب)، الذي ينبغي أن تكون أكثر تطورا وثباتا من الحالة(ا)، أي انه يشكل مجموعة نظم تحددها التحولات والتطورات الحاصلة خلال مرحلة الانتقال من (أ) إلى (ب). وعلى هذا الأساس بالذات يحصل تطور الطفل فتتم عملية التكوين والبناء بشكل متداخل ومستمر إلى أن ينتقل الطفل من حالة البنية المترجرجة إلى حالة البنية المستقرة والثابتة[2].

والبنية عند بياجيه نسق من التحويلات ومن حيث كونها نسق، وليست مجرد تجميع لعناصر وخواصها، فإن هذه التحويلات تتضمن قوانين، وتحفظ البنية وتثرى بواسطة تفاعل قوانين تحويلاتها، والتي لا تثمر أبدا نتائج خارج النسق، كما لا تستخدم عناصر من خارجها. وبالاختصار فإن فكرة البنية عند بياجيه تشتمل على ثلاث افكار رئيسية:

1-فكرة الكمال.

2-فكرة التحويل.

3- فكرة التنظيم الذاتي.

ومن كل هذا، فإن بياجيه يعرف الابستمولوجيا التكوينية "بوصفها دراسة المعرفة وبوصفها محاولة لتوضيح المعرفة العلمية استنادا إلى تاريخها، وإلى تكوينها الاجتماعي، وفي

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، 1982، ص ص 333-334.

[2] موريس شربل، التطور المعرفي عند بياجيه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1986، ص 176.

الأصول السيكولوجية للأفكار والعمليات التي تعتمد عليها بصفة خاصة"[1]. إن الابستمولوجيا عند بياجيه من نشأتها وهي تدرس المعرفة دراسة نقدية في أصولها، وفي مراحل تكوينها، وأيضا بوصفها محاولة توضيح المعرفة العلمية، ذلك لأن الابستمولوجيا بمفهومها هي معرفة علمية استنادا إلى تاريخها وتكوينها الاجتماعي، ولذلك لا بد من تتبع هذه المراحل التكوينية، يقول بخصوص ذلك:" ليس علينا أن نتساءل عما في المعرفة العلمية ككل، بل علينا أن نصنع السؤال: كيف تتم المعارف وتتزايد ناظرين إلى تلك المعارف في تعددها"[2].

2-أقسام الابستمولوجيا التكوينية:

تنقسم إبستمولوجيا بياجيه التكوينية إلى فرعين:

- الأول يبحث في مبادئ العلوم بهدف تقويمها "بغية تفسير التطور الفكري للإنسان أو وضع رؤيا مستقبلية لهذا التطور"[3]. ويسمى هذا الفرع (علم تاريخ المعرفة) رغم كونه أقرب إلى الفلسفة منه إلى العلم في مفهومنا الحديث. وفي هذا المجال يعتبر غاستون باشلارد بمؤلفاته المتعددة سيدا مطلقا في القرن العشرين في هذا الميدان.

- أما الفرع الثاني فيبحث في تطور المعارف عند الإنسان الفرد منذ الولادة وحتى بلوغه سن الرشد، وغايته تحقيق أمرين هما:

- الأول: تفسير الظواهر المعرفية، فإذا استخدم منهج العلوم التجريبية اندرج تحت عنوان علم النفس المعرفي، أما إذا استخدم نتائج التشريح الدماغي والعصبي فإنه يسمى عندئذ علم نفس الأعصاب.

- والثاني: يبحث في تحليل كيفية توصل الطفل إلى المعرفة وتفسير عملية النماء الفكري ويسمى في هذه الحالة الإبستمولوجية التكوينية[4].

---

[1] جان بياجيه، الابستمولوجيا التكوينية، ترجمة السيد نفادي، دار التكوين، بيروت، ط1، 2004، ص13.

[2] Jean Piaget, épistémologie, Gouthière, Denoël, Paris, 1970, p120.

[3] مريم سليم، علم تكوين المعرفة، ابستمولوجيا بياجي، دار النهضة العربية، بيروت،2002، ط1، ص59.

[4] المرجع نفسه، ص 59.

إن البحث في الكيفية التي ينمو بها المعارف وتتكون في مجال علم النفس يعطي للدراسة طابعا ديناميا بالابتعاد عن تناول المعرفة في صورتها المكتملة والجاهزة وهذا هو جوهر الإبستمولوجيا التكوينية، وعليه فما طبيعة المنهج المعتمد في هذا البحث؟

3-مناهج الابستمولوجيا التكوينية:

بفضل تطبيق المنهج التكويني الذي يهتم بدراسة ونشأة وتكوين المعارف مكن بياجيه من ايجاد معيار علمي للمعرفة والذي من خلاله يتم قياس مدى تجاوز الأطروحات الفلسفية الميتافيزيقية، ولا يتحقق ذلك إلا بتحديد الموضوع ومن ثم إتباع منهج علمي خاص، وبالتالي:" فتحديد الكيفية التي تنمو بها المعارف يستلزم أن نعتبر بمنهجية كل معرفة تحت زاوية نموها في الزمن، يعني كسياق نتصل حيث لا يمكننا بلوغ الانطلاقة الأولى، ولا النهاية، بعبارة أخرى: كل معرفة يمكن دائما تصورها منهجيا، وذلك في علاقتها بحالة سابقة لها أقل معرفة منها مع افتراض أن تؤسس هي نفسها حالة سابقة لها بالنسبة إلى معرفة أكثر تقدما منها"[1]، وهذا ما يستلزم الاعتماد على منهجين أساسيين هما:

1-المنهج التاريخي النقدي: فيتمثل في متابعة تسلسل ومقاربة هذه المراحل كما يقوم بمتابعة نمو المفاهيم المستخدمة من طرف علم ما عبر تاريخه، وينظر بياجيه أنه لابد من تفسير سيكولوجي حيث المنهج التكويني ينظر إلى المعرفة من مراحل تطورها وتكونها في الزمان. فالمنهج التاريخي النقدي "بروز ونمو ثم تطور مفهوم علمي ما أو مشكلة ما في تاريخ العلوم بغرض البحث عن مراحل والسياقات الأولى بمختلف الأطوار، والتي مر بها هذا المفهوم أو تلك المشكلة وصولا إلى مرحلة الراهنة "[2]. بهذا المنظور تكون كل معرفة هي عملية تطورية ونمو متصلة حيث تكون مرت بمراحل في كل مرحلة تزداد قوة وصحة، وتكون كل معرفة حاضرة هي نتيجة لمعرفة سبقتها.

[1] زواوي بغورة، مدخل جديد إلى فلسفة العلوم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص164.

[2] المرجع نفسه، ص165.

2-**المنهج السيكو-تكويني:** وفيه حاول بياجيه أن يبرز ذلك التماثل بين تفكير الإنسان البدائي والطفل الذي يعد أقرب نموذج معرفي من بدايات التفكير الإنساني، لوجود صعوبة التعرف المباشر على نمط التفكير في تللك الحقب التاريخية المبكرة، وهذا ما يجعل بياجيه يضع نوعا من المقاربة بينهما لأن" الشيء المثير لدى الطفل هو بالضبط إيجاد دوما أمامك فرد ينطلق من الصفر ورؤية كيف يحدث"[1].

وهكذا فإن الدراسة في هذا المجال تتم من خلال اعتماد تجارب واختبارات واقعية باستخدام المنهج السيكو-تكويني الذي يرتكز على دراسة النمو العقلي والمعرفي عند الطفل، بدءا من الرضاعة إلى مرحلة الرشد متبعا في ذلك تقريبا خطوات المنهج التجريبي. فهذه الابستمولوجيا تعتمد منهجا جديدا، وهي بهذا تتميز عن المناهج التقليدية التي اتبعت في طرق مشكلة المعرفة، هذا المنهج يحاول أن يبلغ آليات المعرفة في منبعها ونموها.

4-مراحل النمو العقلي والمعرفي عند الطفل:

يحدد بياجيه خمس مراحل رئيسية من مراحل التطور المعرفي عند الطفل، وكل مرحلة مستقلة على الأخرى التي تليها، من حيث بنيتها ، وخصائصها المعرفية الممهدة للمرحلة التي تليها، وهي كالتالي:

1-مرحلة السلوك الحسي الحركي: تبدأ هذه المرحلة من الميلاد حتى سن الثانية، وفي الحالة يكون سلوك الطفل عبارة عن أفعال منعكسة أي أنه يسلك في حدود ما يحس به فقط، وتنتهي هذه المرحلة عندما يبدأ الطفل في استخدام اللغة وتعلم الكلام، وغيره من الأساليب التي يرمز بها إلى ما يريد. وفي هذه المرحلة هي الأساس في تقدم الطفل في المعرفة والفهم في مستقبل حياته، لهذا كان لطريقة التعامل معه، وكذلك البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الطفل أثر في حياته، فما يعرفه الطفل إنما ينجم جزئيا عما يتعلمه من عالم الناس والأشياء[2]. ومن أهم خصائصها:

[1] زواوي بغورة، مدخل جديد إلى فلسفة العلوم، مرجع سابق، ص 166.

[2] جان بياجيه، علم التربية وسيكولوجية الطفل، ترجمة عبد العالي الجسماني، دار العربية للعلوم، لبنان، 1994، ص 48.

- يحدث التفكير بصورة رئيسية عبر الأفعال.
- يتطور الوعي تدريجيا بالذات.
- تبدأ عملية اكتساب اللغة.

2-**مرحلة ما قبل العمليات:** تبدأ هذه المرحلة من نهاية الثانية حتى السنة السادسة أو السابعة، وهي مرحلة الانتقال من السلوك الحسي الحركي إلى مرحلة التفكير الذي يعتمد على إجراءات أو حركات معينة، وتساعد اللغة الطفل على سرعة التفكير، ولكن هذا الأخير ما زال يعتمد على الأداءات والأفعال فقط، ولا يزال غير قادر على تكوين مفاهيم عامة عن نفسه وعن غيره وغير قادر على جمع عدة أشياء متجانسة مما يراه أو يشعر به تحت معنى أو كلمة واحدة أو مفهوم يشملها جميعا.

3-**مرحلة النمو الحدسي:** تبدأ من أربع سنوات إلى سبع سنوات، ويقوم الطفل في هذا الطور ببعض التصنيفات الأكثر صعوبة حدسيا أي بدون قاعدة يعرفها، وفي هذه المرحلة يبدأ الوعي التدريجي بثبات الخصائص أو ما يسمى بالاحتفاظ. يمكن إيجاز خصائص النمو المعرفي في هذه المرحلة:

- سيادة حالة التمركز حول الذات.
- بدء تكوين مفاهيم وتصنيف الأشياء.
- يتقدم الإدراك البصري على التفكير المنطقي.

4-مرحلة العمليات الحسية المباشرة: تبدأ هذه المرحلة (بين سن 7 و12) يبدأ الطفل لإدراك العالم عن طريق تكوين فئات أو سلاسل تجمع على نحو محدود في مفهوم أو معنى عقلي واحد. ويصبح بإمكانه ان يدرك الأشياء في نظام، كما يشرع الطفل في استيعاب وفهم العلاقات المكانية والزمانية[1].

5- مرحلة العمليات الصورية: تبدأ هذه المرحلة من السن (12-15) إلى نهاية العمر، وتبدو هذه المرحلة مختلفة أشد الاختلاف بين الأفراد يظهر تمايز القدرات العقلية في هذه

[1] جان بياجيه، الابستمولوجيا التكوينية، مصدر سابق، ص 28.

المرحلة، وهي مرحلة استقلال عقل الإنسان، وتفتحه. ففي هذه المرحلة يمكن للمراهق التعامل مع العمليات المجردة، ويستطيع أيضا الكشف عن مبادئ والقواعد العامة من خلال عدد من الوقائع، والأحداث النوعية، وإنها تمر بمرحلتين:

أولا: استخدام المراهق التفكير الاستدلالي في حل المشكلات.

ثانيا: أن المراهق تزداد قدراته على استخدام التفكير الاستقرائي أي يستطيع استنتاج من العام إلى الخاص[1].

يرى بياجيه في هذه المرحلة أن الطفل يمارس الكثير من العمليات المعرفية بعيد عن الأشياء المادية الملموسة فالأشياء لم تعد موجودة في العالم الخارجي فقط، بل موجودة في عقله أيضا فهو يفكر، ويصل إلى النتائج المنطقية دون الرجوع إلى الأشياء المادية، وقادر أيضا على ايجاد الحلول الممكنة ليبني عليها النظريات.

المحاضرة الثامنة: جورج كانغليهم إبستيمولوجيا البيولوجيا

تمهيد

لقد عالج كانغلام ميدان علم الأحياء بطابع ابستمولوجي، إذ جمع بين مقولة ذات حمولة فلسفية، وأبحاث علمية عملت على فهم طبيعتها، أين يكون فيها البحث جهويا لازما من حيث طبيعة المفاهيم المستخدمة، وتخص علم البيولوجيا المتسم بالتعقيد، لذا اتجه كانغليم إلى هذا الميدان البحثي من أجل الحديث بلغة المتخصص في هذا الحقل العلمي وبميدان ابستمولوجيا الطب والبيولوجيا.

1-من الابستمولوجيا العامة إلى الابستمولوجيا الجهوية:

إن السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان كيف لميدان الطب له مكالب ابستمولوجية وفلسفية؟ لأن الفكرة الراسخة لدى عامة الناس، بل وكثير من المثقفين وحتى المتخصصين

[1] كامل محمد، محمد عويضة، علم النفس النمو، دار الطليعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص 88.

في الطب ممارسة فن لا علاقة له بالفلسفة، لذلك فإن السؤال يبقى يفرض نفسه بإلحاح: لماذا اختار كانغلهم الطب بالذات؟

أراد كانغلهم أن يؤسس فلسفة علمية أحيانا مستلهمة من وضعية " كونت"، وأحيانا أخرى مناوئة لها ومتحررة لها. في حين نجد هذا الجيل الذي ينتمي إليه كانغليهم تخصص كل واحد منهم في علم معين. فمثلا نجد " باشلارد" في الفيزياء الرياضية و" كافياس" في الرياضيات. إن الفلسفة في نظر كانغليهم تفكير يحول كل مادة إلى شيء غريب[1].

أما عن الطب فإن كانغليهم يعتبره العلم الأقرب إلى الفلسفة من أي علم آخر، حيث أن الوضع الطبيعي يقتضي الاعتراف أن الباطولوجيا هي أساس الفيزيولوجيا وليس العكس، فالمرض هو الذي يجلب الانتباه للوظائف الفيزيولوجية وقت اختلالها، ويلزم بمراجعة مسلمات ومسائل سابقة بحثا عن طرق جديدة وعلاقات جديدة.

يركز كانغليهم على مرحلة القرن 19 لعدة اعتبارات منها: أنها المؤسس الحقيقي لطب علمي تجريبي، وذلك حسب النظرية الطبية الوضعية في السوي و المرضي، وقد باشر دراسته للطب سنوات قليلة من دراسة الفلسفة، وبموازاة مه ذلك كان يدرس الفلسفة، وهذا التوجه نحو دراسة الطب ليس من أجل معرفة أفضل للأمراض، ولا من أجل التمرس على الفرع من فروع المعرفة، بل كان ينتظر من الطب أن يكون مدخلا لدراسة مشكلات إنسانية ملموسة" فقد كان الطب يظهر على أنه تقنية أو فن يقوم في ملتقى علوم عديدة، بدلا أن يكون هو علم بالمعنى الدقيق، فمشكلتان كانتا تشغلان بالنا، مشكلة العلاقات بين العلوم والتقنيات، ومشكلة المعياري والسوي"[2].

[1] جورج كانغليهم، دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها، ترجمة محمد ساسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2007، ص 187.

[2] علي عبود المحمداوي، البيوتيقا والمهمة الفلسفية أخلاق البيولوجيا ورهانات التقنية، بن ولهة توفيق، ط1، دار الأمان، الرباط، 2014، ص 290.

ولقد اختار أن يتأمل في هذه الإشكاليات انطلاق من القيم السلبية للحياة البيولوجية مثل المرض، التشوه، العاهة... فهو ينطلق من التجربة الذاتية للمريض ويعتبرها المعيار الأساسي ونقطة ارتكاز جوهرية لتحديد السوي والمرضي.

رغم أن هذه التجربة الذاتية تتعارض مع الموضوعية العلمية سواء الطبية أو الفيزيولوجية والتي تعتبرها عوائق أمام الكشف العلمي. فالمعقولية الحيوية تبحث جاهدة لتحقيق غايتها الأساسية وهي تسوية الحياة عن طريق ادخالها ضمن معايير وقيم كمية وإحصائية محدد مسبقا. إن وجهة نظر كانغليهم هذه تقلب التصور الكلاسيكي القائم بين الحياة والقيم.

أن التركيبة الايبستمولوجية المعقدة هو فضح الهيمنة السلطوية للطب الحديث، والكشف عن نفاق المؤسسة الطبية التي تستمد شرعيتها من المريض، في حين تتنكر له خلسة وتفضل خدمة إبعاد سلطوية سياسية وايديولوجية. وهنا بالذات ما ينته من خلال تحليل الفعل الممارسة الطبيتين، حيث يفضح على المباشر الهيمنة البيروقراطية للمؤسسة الطبية سواء كانت علمية أو إدارية، وابتعادها المفرط عن الأسس المعرفية التي لأجلها وجد الطب[1].

فالابستمولوجيا عند كانغليهم وابستمولوجيا الطب على وجه التحديد ليست سوى مرحلة نظرية أولى، لن تكون لها قيمة في ذاتها إلا إذا تخطت بنا إلى مرحلة جديدة تلج بنا من خلالها إلى عمق المعاناة والاشكاليات الإنسانية الحقيقية. ومن ثمة تقترح إعادة تأسيس ونقد عصر الحداثة الغربية برمته، ومعه كذلك الفكر العلمي، والفلسفات المعاصرة القاطبة[2].

يؤكد كانغلام أن موضوع الطب هو المرض والذي يتعذر على المناهج البيولوجية الإحاطة به إحاطة كاملة، لأن له جانب ذاتي يتعلق بالتجربة الذاتية للمريض، هذا المرض ليس مجرد عارض بل هو بعد أساسي ومكون أساسي للحياة. فالمقاربة العلمية الموضوعية للمرض حادثة مفصلية في حياة المريض. وبذلك فهي تتجاهل أهم شيء في الكائن الحي،

[1] رشيد دحدوح، تاريخ وفلسفة العلوم البيولوجية والطبية عند جورج كانغليهم، رسالة دوكتوراه، جامعة قسنطينة، 2005، ص 119.

[2] جورج كانغليهم، دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها، مرجع سابق، ص 182.

لاسيما الإنسان وطبيعته المعيارية التي تؤهله لأن يكون شريدا خارج المعايير والقوانين في حالة الصحة والمرض.

إن الطب والممارسة الطبية أهل لاستقلالية تجعل من الضروري قيام ابستمولوجيا طبية أو فلسفة طبية. إن تركيز كانغليهم على الطب ومشكلاته المعرفية كإبستمولوجية جهوية، ليس هدفه منها الوقوف عند حد الطب والمؤسسات الطبية فقط، بل هدفه أبعد وأعمق، فهو يريد معالجة إشكالات البحث العلمي في علوم الحياة خصوصا وفي الطب والبيولوجيا والفيريولوجيا. إن كانغليهم لا يريد معالجة الإشكاليات المعقدة، وإنما يريد دراسة علمية تتطرق من فحص عينة ثم محاولة إقامة فلسفة ذاتية انطلاقا من دراسة علمية للطب تأخذ بعين الاعتبار تفرد الكائن الحي.

إن اختيار كانغليهم لمبحث الطب يبرره كون الفلسفة في نظره تبحث دوما عن إثارة وتسليط الضوء على مشكلات جديدة، أو إعادة طرح قديمة بناءا على المعارف الجديدة.

2-المنهج الابستمولوجي للمعارف الطبية:

لقد وظف كانغلام المنهج الابستمولوجي بتحليل ونقد ونشأة المفاهيم والمعرف الطبية. وعمد إلى تطعيمه بمنهجية أخرى تستهدف الكشف عن المعاني والماهيات، يقول أحد الباحثين بخصوص هذه المنهجية:" إن كانغلام وحتى يضرب بقوة لا يهاجم تلك المؤسسات الطبية مباشرة كما يفعل عالم اجتماع التنظيمات، أو كما يفعل عالم النفس المختص في الاختلالات الوظيفية للجماعات إنه يقوم بتأمل فينومينولوجي خالص، ثم يرتقي إلى المشكلة الأساسية التي تؤسس هذا المركب، مصنع العلاجات"[1]. فهم لم يكتف بمنهجية تاريخية، فسارع إلى تتويجها وتدعيمها بمنهجية فينومينولوجية، وعيا منه بأن العلم والممارسة العلمية هي قيم بشرية أساسية لكنها ليست الوحيدة ولا الأخيرة. وإن المنهج الفينومينولوجي يأتي بعد

[1] F.Dagognet, Georges Canguilhem , philosophe de la vie, institut Synthélabo pour le progre de la connaissance, le plessis Robinson,1997,pp 13-14.

أن يؤدي المنهج الابستمولوجي التاريخي مهمته والتي تتمثل في البحث عن المفاهيم الحيوية وظروف تشكيلها.

بهذه الكيفية النظرية والمنهجية هاجم كانغليهم الطابوهات في تاريخ العلوم، واخترقها، كما أتى على الأحكام والمعارف القبلية المسبقة والراسخة في لا شعور المجتمع الكمي ففككها وتجاوزها خصوصا تللك المتعلقة بتاريخ العلوم الحيوية، والطب، والبيولوجية. فالعلم كلما تقدم ازدادت المباحث العلمية عددا، ومساحة كلما أصبح التساؤل عن مصداقية وأساسه مشروعا وملحا. ولهذا الغرض لم تنشأ الإبستمولوجية كنظرية للمعرفة العلمية، ووعي لمسار ومشكلات الفكر العلمي.

وعلى ذلك، فإن تركيز كانغليهم على الطب ومشكلاته المعرفية كإبستمولوجية محلية أو جهوية ليس هدفه منها الوقوف عند حد الطب، والمؤسسات الطبية فقط، بل هدفه أعمق وبعد. فهو يريد من وراء ذلك معالجة إشكالات البحث العلمي في علوم الحياة خصوصا في الطب والبيولوجيا والفيزيولوجيا. بهذا التوجه فهو يريد معالجة الإشكالات العامة، المتداخلة، والغنية بالمضامين المعقدة بل دراسة علمية تنطلق من فحص عينة أو عينات من المشكل العام، ثم بعد ذلك محاولة إقامة فلسفة ذاتية انطلاقا من دراسة علمية للطب تأخذ بعين الاعتبار تتفرد وفردانية الكائن الحي وخصوصا الإنسان.

المحاضرة التاسعة: ابستمولوجيا العلوم الإنسانية

تمهيد

إن الابستمولوجيا علم حديث أسسه الفلاسفة الغربيون منذ القرن 19م، وأولوه الاهتمام الخاص، وكان الفيلسوف الألماني كانط أول من أسس لهذا العلم، وذلك بتبيين ما يعود إلى المعرفة وأدواتها ومصادرها، ومراد هذا العلم هو إدراك حقيقة المعرفة وحدودها ومناهج تطور العقل البشري.

وقد استفادت العلوم الطبيعية بالدرجة الأولى من هذه الدراسات النقدية التطويرية للعلم، ونتيجة للنجاح الباهر الذي حدث في هذه العلوم، أصبحت دعوى العلوم الانسانية إلى مماثلتها، تلوح في الأفق فكان على العلوم الإنسانية أن تعتمد على ما يمكن أن يرفع من مستواها إلى درجة ن تصير موضوعا للإبستمولوجيا. فهل يمكن للعلوم الإنسانية أن تكون موضوعا للإبستمولوجيا بهدف تطوير دراستها؟ وإن كان ذلك ممكننا فإلى أي مدى نستطيع الحديث عن إبستمولوجيا العلوم الإنسانية؟

1-مفهوم العلوم الإنسانية:

إن البحث عن مفهوم دقيق وموحد للعلوم الإنسانية غير ممكن نظرا لطابعها الإشكالي وتعقد موضوعاتها، وتعدد مجالات البحث فيها لارتباطها بالإنسان ككائن متعدد الأبعاد، تناوله العديد من الدراسات من زوايا معرفية مختلفة بالنظر للتوجهات والإيديولوجيا، واصطلاح العلوم الإنسانية" مفهوم حديث لكنه يعم أكثر فأكثر ليدل على ما كان متفقا على تسميته العلوم الأخلاقية يزداد تشديد هذا التعبير على السمات الممكن رصدها خارجيا، لطريقة تصرف البشر وسلوكهم فرديا أو جماعيا"[1].الإنسانية تدل على ما اختص به الإنسان من صفات وبالتالي المعنى الكلي الدال على الخصائص المشتركة بين جميع الناس كالحيوانية والحياة والنطق[2] أما مصطلح العلوم الإنسانية فهو يطلق بالأساس على تلك العلوم التي تتخذ من الإنسان موضوعا للدراسة العلمية، وبما أن الإنسان يتميز بثلاثة أبعاد بعد تاريخي، نفسي، اجتماعي... فإن العلوم الإنسانية جاءت كنتيجة لهذه الأبعاد، ومن ثمة جاز لنا القول بأن هناك علم التاريخ- علم النفس- علم الاجتماع على سبيل الحصر لا على سبيل التفصيل، لأن دراسة الإنسان تتطلب في الحقيقة مجالا أوسع وأشمل ولعل هذا ما يجعل العلوم الإنسانية تختلف عن غيرها من العلوم كالعلوم المعيارية التي تهتم بوضع

[1] اندري لالاند، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص1254.

[2] ابراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الامبرية، القاهرة ، مصر، 1983، ص 195

المعايير– الحق– الجمال– الخير– ومنها ظهر علم الجمال– علم المنطق– علم الأخلاق، وبالمثل فهي تختلف عن العلوم الطبيعية التي تتخذ من الظواهر الطبيعية موضوعا لها[1].

وقد اعتبر لالاند في معجمه الفلسفي بأن العلوم الإنسانية تعبير حديث يدل على ما كان متفق على تسميته بالعلوم الأخلاقية، ويمكن رصد ذلك من خلال سلوك الأفراد و تصرفاتهم فرديا وجماعيا[2]. وهذا يعني أن كلمة علوم إنسانية تنطبق على العلوم المعنوية عند البعض نظرا لاهتمامها بالجانب الأخلاقي في مقابل مادي.

ويذكر كلود ليفي ستراوس في كتابه " الأنتربولوجية البنيوية" أن جون جاك روسو يعد مؤسس علوم الإنسان أو ما يسمى بالأنتروبولوجيا يقول:" إذ يمكن الجزم أيضا بدون خوف من التكذيب بأن تصور هذه الأنتربولوجيا التي لم تكن موجودة بعده قبل قرن من ظهورها وأرادها وتنبأ بها واضعا إياها دفعة واحدة"[3]. غير أن هذه التسمية الأخيرة " علوم الإنسان" في نظر بول موري تستحوذ بالأساس على جانب أخص نظرا لاهتمامها بمعالجة مشكلة الأجناس" التركيب" التي فقدت قيمتها في الوقت الراهن"[4].

2–المجال المعرفي للعلوم الإنسانية:

تهتم العلوم الإنسانية بدراسة الإنسان، من جانبه الفيزيولوجي التشريحي، وإنما من جانبه السلوكي بأنواعه المختلفة، ويزداد تشديد هذا التعبير على السمات الممكن رصدها خارجيا، لطريقة نصرف البشر وسلوكهم، فرديا أو جماعيا[5].

وبذلك يكون المجال المعرفي الذي تدور فيه العلوم الإنسانية هو الإنسان، كما يشير هذا العلم إلى الدراسات التي تستهدف الإحاطة المنهجية الوصفية والتعبيرية بالظواهر الإنسانية

---

[1] ابراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 127.

[2] اندري لالاند، 2001 المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 1254.

[3] كلود ليفي ستراوس، الأنتربولوجيا البنيوية، 1983 ترجمة مصطفى صالح، مراجعة وحيد اسعد ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، 1983، ص 53.

[4] بول موي، المنطق وفلسفة العلوم، ترجمة فؤاد زكريا، دار الوفاء للطباعة والنئر، الإسكندرية، بدون سنة، ص 273.

[5] أحمد مسعود، نظرية المعرفة، دار الغرب للنشر و التوزيع الجزائر، 2002، ص 8.

كعلوم اجتماع والاقتصاد والنفس والتاريخ... بفروعها العديدة"[1] العلوم الإنسانية ليست واحدة، بل متعددة ويرجع سبب هذا التعدد هو معالجته موضوع الإنسان من زوايا مختلفة وبأساليب متنوعة يمكن دراسة الإنسان باعتباره كائنا عضويا أو شخصية محركة للتاريخ أو تغيير قيم مجتمع ما[2].

وبالتالي، تهتم العلوم الإنسانية بكل التغيرات والتحولات التي يفرضها البحث والذي هو الإنسان، فتدرس تغيره في التاريخ، وتبدل الأنظمة السياسية والاجتماعية التي يعيش فيها، وتدرس الأزمات والاضطرابات النفسية التي يمكن أن يتعرض إليها الإنسان، وطيف يمكن التخفيف من حدتها. كل هذه العناصر التي تجتمع في الإنسان، يتم تناولها منفردة كمواضيع تدرس بمنهج منسجم معها، ونظريات خاصة بها. وبذلك يختلف كل علم عن الآخر من حيث العنصر اذي ينفرد بدراسته والوسائل التي يعتمد عليها في ذلك، لكن رغم اختلاف الجوانب التي تتناولها العلوم الإنسانية، يبقى الإنسان هو المحور الرئيسي الذي تدور عليها دراستها. وبالتالي، تصبح هذه العلوم بناءا على ذلك، بكل الخصائص الميزات التي نشاهدها في الإنسان، وهذه ما يعطي تميزا للعلوم الإنسانية عن العلوم الطبيعية.

3-مشكلات العلوم الإنسانية:

لا شك أن العلوم الإنسانية في العصر الحديث استطاعت أن تجد لها موضعا في المنظومة العلمية مستفيدة من فرصة التحولات المعرفية في تاريخ العلم، لاسيما الثورة العلمية في مجال الفيزياء ومراجعة الكثير من مفاهيم العلم ومناهجه كمفهوم الحتمية والمنهج التجريبي بتجاوز التصور الدوغمائي لمفهوم علمية المعرفة وحصرها في النموذج الفيزيائي، فبالرغم ما حققته العلوم الإنسانية من تقدم نسبي موضوعا ومنهجا إلا أنها ظلت تحت مرمى انتقادات بعض العلماء والإبستمولوجيين بالاعتراض على علميتها مقارنة بالنموذج المنهجي في العلوم الطبيعية وتخلفها النسبي عنه" حتى قيل إن وجود علوم طبيعية على أساس

[1] يمنى طريف الخوري، مشكلة العلوم الإنسانية وإمكانية حلها، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990، ص 9.

[2] بول موي، المنطق وفلسفة العلوم، مرجع سابق، ص 273.

منطقي مقن ن ومنهجي راسخ، مثل بالنسبة لباحثي العلوم الإنسانية التحدي الذي ينبغي عليهم مواجهته للوصول بعلومهم إلى مستوى يقارب مستوى العلوم الطبيعية[1]

إن هذه المقارنة غير عادلة بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية بالنظر لطبيعة كل منهما، فمشروعية علمية المعرفة تُبحث من داخل المجال المعرفي لا من خارجه، لذا فهذه العلوم تعمل من داخلها محاولة تجاوز عوائقها الإبستمولوجية تدريجيا.

4-خصائص الظاهرة الإنسانية: لقد قيل الكثير في حيثيات مشكلة العلوم الإنسانية، لتجول الصعوبات السحيقة بها بين عدة خصائص تتميز بها الظاهرة الإنسانية دونا عن الطبيعة، وهي كالتالي:

1-تعقيدات الإنسانية وتغيرها:

من المسلم به أن الظاهرة الإنسانية غير ثابتة ومستقرة ما دامت تتصل بالإنسان[2]، كون أن هذا الأخير أحواله تتغير من حالة لأخرى ومن زمان لآخر وكذلك المكان الذي يعيش فيه، لذلك من المنطقي أن تتعقد هذه الظواهر ما دامت غير مستقرة على حال، كما أن تشابهها سوف يؤدي إلى صعوبة تحديد الموقف من هذه الظواهر، والحكم عليها، مما يضفي في الكثير من الأحيان إلى نتائج جد سلبية لا يمكن الاعتماد عليها في تصنيف الظواهر وضبطها، لاسيما أنها تتأثر بالسلوك الإنساني المعقد[3]. كما أن الظواهر الإنسانية تتغير بشكل سريع نسبيا، فالثبات نسبي، وهذا يقلل من فرصة تكرار التجربة في ظروف مماثلة تماما.

[1] يمنى طريف الخوري، مشكلة العلوم الإنسانية وإمكانية حلها، مرجع سابق، ص ص 47-48.

[2] جان بياجيه، وضع علوم الإنسان في منظومة العلوم في اليونسكو، الاتجاهات الرئيسية للبحث في العلوم الاجتماعية، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، المجلد الأول، دمشق، 1976، ص 88.

[3] أحمد إبراهيم الشلبي، تدريس الدراسات الاجتماعية بين النظرية والتطبيق، المركز المصري للكتاب، القاهرة، 1998، ص 123.

إذن يمكن القول أن تعقيد الظواهر الإنسانية يعود إلى الإنسان في حد ذاته، فهو محور العلوم والدراسات الاجتماعية، وهو أكثر الكائنات تعقيدا كفرد أو كعضو في الجماعة، فالسلوك الإنساني يتأثر بعوامل عدة مزاجية ونفسية لدرجة تربك الباحث الاجتماعي.

2-تفرد الظواهر الإنسانية:

إضافة إلى تفرد هذا الموضوع من علم إنساني إلى آخر، فالموضوع النفسي يختلف عن الاجتماعي، وهكذا بالنسبة لكل التخصصات عكس سهولة المطابقة بين الأجسام المادية في الطبيعة، بالإضافة إلى أن موضوع العلوم الإنسانية متعدد الأبعاد فلا يجب إغفال أي منها لفهم الظاهرة ودراستها موضوعيا.

3- وحدة الدارس والمدروس: ما يتعلق بالباحث فالإنسان هو الدارس والمدروس فالباحث جزء لا يتجزأ من الظاهرة التي يبحثها، فلا بد أن يشعر تجاهها بميول وأهواء معينة، وهنا تطرح مشكلة الموضوعية بحدة لصعوبة التخلص من الأحكام المسبقة وأحكام القيمة والإيديولوجيا ففصل ذات الباحث عن موضوعات البحث تبدو متعسرة، وهو النقد الموجه للعلوم الإنسانية من حيث أنها لا تتسم بالموضوعية وهي سمة أساسية من سمات التفكير العلمي، طالما أن الإنسان الذي يدرس، يكون نفسه موضوع الدراسة، أو أن الذات العارفة تكون هي نفسها موضوع المعرفة [1]

4- عامل الحرية الإنسانية: الكثيرون يقيمون الهوة بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية على أساس حرية الإنسان، دونا عن أي موضوع من موضوعات العلم في الاختيار، وتحديد المسير والمصير تحديدا يند عن سيطرة القوانين. وهذا ما يفسر من منظور" ميشال فوكو" صعوبتها وعدم ثباتها وعدم دقتها كعلوم، هو ألفتها الخطيرة مع الفلسفة واستنادها بشكل غير محد د تماما إلى مجالات معرفية أخرى[2] .

[1] سالم محمد عزيز نظمي، تاريخ الفلسفة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د ت، ص 305.

[2] ميشال فوكو، الكلمات والأشياء، ترجمة جورج أبي صالح كمال إسطفان، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990، ص 286.

5-صعوبة إخضاع الظواهر الإنسانية للمنهج التجريبي:

إذا كانت العلوم الطبيعية والتجريبية (الفيزياء –الفلك –الكيمياء–علم الأحياء إلخ)، تشتغل بدراسة الظواهر الطبيعية متخذة إياها كمواضيع أو أشياء يمكن إخضاعها لكل إجراءات الملاحظة والقياس والتجريب، فإن قيام العلوم الإنسانية والاجتماعية كمجالات تتناول البحث والدراسة في كل الظواهر الإنسانية جعلها تعتبر الإنسان موضوعا أو شيئا يقبل تطبيق نفس تلك الإجراءات التي ثبتت أهميتها المنهجية على مستوى العلوم الطبيعية، ومن هنا يطرح الإشكال التالي: هل يمكن بالفعل أن يدرس الإنسان (بما هو ذات واعية وحرة) كما تدرس الأشياء الطبيعية ؟

إن عدم القدرة على استعمال الطريقة المخبرية في العلوم الإنسانية والاجتماعية ناتج أساسا عن صعوبة وضع الظواهر الاجتماعية تحت ظروف قابلة للضبط والرقابة، كما في العلوم الطبيعية، فالباحث الاجتماعي يجب أن يدرس ويلاحظ الظاهرة قيد البحث في العالم الواسع، وأن ينتظر حدوثها، لأنه ليس بإمكانه خلق ظروف حصولها، وضبط تلك الظروف بشكل مطابق تماما إذن من هذا المنطلق، لا يمكن وضع الظواهر الإنسانية والاجتماعية تحت التجربة وذلك يعود للأسباب التالية[1]:

– صعوبة الضبط التجريبي وعزل المتغيرات المتداخلة للظاهرة الاجتماعية والإنسانية.

–تأثر الوضع التجريبي بالمراقبة والملاحظة التي يقوم بها الباحث، مما يؤدي في بعض الأحيان إلى تغيير في السلوك لدى الأفراد والمجتمعات موضوع الدراسة والبحث ، وصعوبة الملاحظة أحيانا.

– تغير الظواهر الاجتماعية والإنسانية بشكل سريع نسبيا، وهذا يقلل من فرصة تكرار التجربة في ظروف مماثلة تماما.

[1] جابر الحديثي، أزمة العلوم الإنسانية، الفكر العربي، مجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية، 1985، ص 16.

– الطبيعة المجردة لبعض المفاهيم الاجتماعية والإنسانية وعدم الاتفاق على تعريفات محددة لها ، وخضوع بعض المشكلات الاجتماعية والإنسانية لمعايير أخلاقية.

– صعوبة القياس بشكل دقيق للظواهر الاجتماعية والإنسانية[1] لعدم وجود أدوات قياس دقيقة لها أحيانا

لكن وبالرغم من هذه الإشكالات إلا أن العلوم الإنسانية استطاعت أن تنشئ لنفسها مجالا إبستمولوجيا خاصا بها باعتماد مناهج نوعية خاصة تراعي طبيعة موضوعها في تفاعل بين علومها والعلوم الأخرى، وإن كان المنهج بذاته في دراسة الظواهر الإنسانية ما زال يطرح إشكالات عديدة، ودلالة ذلك تعدد المناهج في علم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ وما إلى ذلك من تخصصاتها، وفقا للعلاقات البينية وانعكاسها على وتيرة تقدمها وتجاوزها لإشكالاتها بحسب الإمكانات المعرفية والمنهجية التي تتاح لها في كل مرحلة بحسب التحديات المطروحة.

محاضرة العاشرة: لاكان وعلم النفس

تمهيد

يعود اهتمام الفكر الإنساني بمسائل علم النفس والطبيعة البشرية إلى العصور الفلسفية اليونانية، فقد أثر سقراط البحث في النفس على الطبيعيات والرياضيات و"حول النظر من الفلك والعناصر إلى النفس"[2] وقد كان لآراء أفلاطون في ماهية النفس وعلاقتها بالجسم وخلودها الأثر البالغ على الفلاسفة وعلماء النفس من بعده. ويعد كتاب " النفس" من أهم كتب أرسطو، إنه ظل عماد علم النفس القديم حتى القرن التاسع عشر، لأنه يبسط فيه المنهج الواجب اتباعه في علم النفس. كما يعرض خلاصة العام في المادة والصورة.

[1] شكري حامد نزال، مناهج الدراسات وأصول تدريسها، دار الكتاب الجامعي، العين، ط1، 2003، ص 140.

[2] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012، ص 70.

ثم انتقل التراث التأملي الفلسفي اليوناني إلى العلماء المسلمين و" التحم هذا التراث في غالب كتاباتهم بالتراث الديني والأخلاقي...وبالرغم من هذا فقد كان هناك بعض ممن حاولوا أن يفهموا بعض المشكلات السلوكية بطريقة علمية دلت على فهم واحترام للروح العلمية"[1] ولعل ابرز هؤلاء ابن سينا.

أما المرحلة الثانية الكبرى في تطور علم النفس فبدأت بانفكاكه الفعلي من الفلسفة واللاهوت وارتباطه بدراسة وظائف الأعضاء والطب التجريبي منذ منتصف القرن الثامن عشر.

1-مفهوم علم النفس:

ومن تعريفات التي وضعت لعلم النفس نذكر:

-" إنه العلم الذي يدرس الحالات النفسية وما تتضمنه من إحساسات ومشاعر وميول ورغبات وذكريات وانفعالات"

-" إنه العلم الذي يدرس سلوك الإنسان، بأوسع معنى مصطلح السلوك، بحيث يشمل نشاط الإنسان في تفاعله مع بيئته تعديلا حتى تصبح أكثر ملاءمة له، أو تكيفا ذاتيا معها حتى يحقق لنفسه أكبر توافق معها. والسلوك بهذا المعنى الشامل الواسع يتضمن ما هو ظاهر يمكن إدراكه إلى ذلك من انفعالات قد لا تصاحبها مظاهر مكشوفة[2].

وعموما يهتم علم النفس بدراسة السلوك الإنساني وتفسير هذا السلوك، والتنبؤ به وضبطه. وكان لمدارس علم النفس الأثر الكبير في تحديد موضوعات علم النفس، ومن هذه المدارس[3]:

علم النفس الاجتماعي: والذي يعنى بدراسة سلوك الجماعات والتأثير الذي تمارسه الجماعة على نمو الشخصية.

---

[1] عبد الستار ابراهيم، الإنسان وعلم النفس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، كويت، 1985، ص 32.

[2] ألفت محمد حقي، المدخل إلى علم النفس، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1992، ص ص 21-22.

[3] أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، مرجع سابق، ص ص 20-23.

علم النفس الاستبطاني: وهو فرع من علم النفس تقوم مبادئه على تأمل النفس باطنيا، وإعطاء وصف للحالات الداخلية كما تظهر للشخص.

علن النفس النمو: ويدرس هذا الفرع عملية نمو الإنسان منذ المرحلة الجنينية حتى يصبح كهلا أو شيخا ومن موضوعاته: مراحل النمو، الوظائف النفسية والعقلية المختلفة.

علم النفس التربوي: هذا النوع من علم النفس يهتم بدراسة وتطبيق المعارف النفسية في مجال التربية والتعليم. ومن موضوعات هذا الفرع: نظريات التعلم وطرق وأساليب تطبيقها.

2-أهداف علم النفس:

فتتمحور في ثلاث أشياء هي:

1-فهم السلوك وتفسيره: لتحقيق هذا الهدف لا بد من إتباع المنهج العلمي الذي يستند إلى الملاحظة العلمية والتجربة، مستخدما أدوات لجمع المعلومات من أجل فهم السلوك وتفسيره.

1-محاولة التنبؤ بالسلوك: إذا فهمنا السلوك واستفدنا من هذا الفهم بمسايرة القوانين التي نتوصل إليها عن هذا السلوك: فإنه يمكن التنبؤ بما سيكون عليه هذا السلوك في المستقبل.

2-العمل على ضبط السلوك والتحكم فيه: وذلك من خلال تعديله وتفسيره يؤدي بالتالي إلى ضبطه والتحكم فيه ، ومن ثم التنبؤ به مستقبلا.

3-مناهج علم النفس:

يعتمد علم النفس على ثلاث مناهج رئيسية:

1-**الاستبطان:** وهو نظر الإنسان في نفسه والتأمل فيها وهو ملاحظة حقيقية لوقائع نفسية داخلية ويطلق عليه (بالتأمل الباطني).

2-**المنهج التجريبي:** إذا كان الاستبطان يعتمد على الملاحظة الداخلية للفرد، فإن المنهج التجريبي يعتمد على الملاحظة الخارجية أو الموضوعية. وخطوات المنهج التجريبي: الملاحظة، الفرض، التجربة.

3-**التحليل النفسي:** هو المنهج الذي يقوم بتحليل الظواهر النفسية بناء على الأساليب التالية: التداعي الحر، الإيحاء التنويمي، التنويم المغناطيسي، الكبت[1].

4-الابستمولوجيا والتحليل النفسي عند جاك لاكان:

لقد اقترح جاك لاكان ابستمولوجيا غير مسبوقة تأسس تناغما بين العلم واللغة، نصل بفضلها إلى أغوار النفس الإنسانية لكشف مكوناتها ومكبوتاتها، أعاد لاكان إلى التحليل النفسي من زاوية ابستمولوجية مفتوحة تكون كافية لفهم الواقع الاجتماعي المعقد على العكس من الابستمولوجيا المعرقة في العقلانية المميتة فكانت نظريته في التحليل النفسي بمثابة التجاوز للعوائق الإبستمولوجية.

أ-البعد الإبستمولوجي لأزمة التحليل النفسي:

إن السؤال الذي يطرح نفسه في مقاربة الإبستمولوجيا بالتحليل النفسي عن مكانة علم النفس ضمن قائمة العلوم الأخرى. إن قراءة التحليل النفسي من زاوية إبستمولوجية يمكن أن تساهم في تطويره بل وفهمه بشكل يسمح بتحديد منطلقاته وخلفياته النظرية، ومن ثمة أبعاده وأهدافه.

وأول من تطرق إلى هذه المقاربة غاستون باشلارد إذ أقام في تأسيسه لهذه الجدلية التي أقامها بين التحليل النفسي والإبستمولوجيا في كون أن التحليل النفسي هو بحث في تاريخ المريض، كما أن الإبستمولوجيا هي بحث في تاريخ العلوم، فهي بمثابة تحليل نفسي للمعرفة الموضوعية، فهي تتجه إلى المعرفة العلمية بهدف البحث عن أخطائها، وسبب نكوصها وتوقف سيرورتها[2].

يماثل باشلارد بين الباحث في تاريخ العلم والمعرفة، وبين المحلل النفسي. فالباحث لا يواجه موضوع معرفته كذات لها غرائز وأهواء فحسب "بل ينطلق بصفته يريد ملاحظة الظواهر

[1] أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، مرجع سابق، ص ص 33-35.

[2] محمد وقيدي، ماهي الابستمولوجيا، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1983، ص 190.

الأكثر إثارة للاهتمام والدهشة بكل غرائزه وبكل أهوائه"[1]. إلا أن التحليل النفسي الذي اعتمده باشلارد في فهم طبيعة وتطور أو نمو المعرفة العلمية في سيرورتها التاريخية باعتماده على فرويد، وأدوات التحليل النفسي للحقل الإبستمولوجي للكشف عن كيفية تطور المعرفة.

إلى جانب باشلارد نجد بياجي باهتمامه بعلم النفس المنبثق في أساسه من السؤال حول كيفية تطور المعرفة العلمية عموما" أن علم النفس يتعقب تطور السيرورة المعرفية للفرد أي الاهتمام بالجانب العقلاني المعرفي"[2]، ومن جهة أخرى، إفضاء كل ما هو لاعقلاني في معرفة الإنسان بالموضوع المدروس. كما تعتمد الابستمولوجيا التكوينية عند بياجي على علم النفس وعلى علم النفس الطفل بصفة خاصة لمعرفة كيف تنمو المفاهيم العقلية. هناك حاجة للتحليل الابستمولوجي المفتوح على كل المقاربات التي تتعايش لكي تقدم شكلا متكاملا للحقيقة في التحليل النفسي لتخطي الأزمة، التي سقط فيها بعد وفاة سيجموند فرويد.

لقد عاد لاكان إلى فرويد واختراقه لطريق الابستمولوجيا المنفتحة التي تبحث عن الفجوة ، والتي حاول العلم المعاصر الحديث إلى مزاولتها من خلال اعتماد نموذج وحيد للنظريات المعرفية، وتحيد كل ما هو إنساني وتهميش ذلك الخطاب الذي يكشف عن لاوعي المعرفة. فالعودة إلى فرويد هو عودة إلى الانسانيات التي أهملها العلم الحديث.إن ما يميز تصور لاكان الابستمولوجي هو ضرورة رد الاعتبار للإنسانيات من خلال طرحها على مستوى ابستمولوجي، واستنطاق مضمرات ومسكوتات العمل الفرويد لمنطوقه افتراضاته، ويلخص الحصيلة اللاكانية قاشلا إذا كان لاكان شديد الحزن لمصير التحليل النفسي لدى الأمريكيين فإن محاولة انتشاله جعلت من تعليم لاكان نتشويا مجددا للفرويدية بتعابير لسانية بنيوية

[1] محمد وقيدي، ماهي الابستمولوجيا، مرجع سابق، ص 195.

[2] خديجة وادي، مدخل إلى الابستمولوجيا صيغة مفترضة لإبستمولوجيا علم النفس، مرجع سابق، ص 146.

مقنعة بفلسفة الاختلاف قبل أن تعرف تسميتها تلك يرجع لاكان التحليل النفسي إلى حضن السؤال الفلسفي بعد أن سعت الفرويدية الأوروبية غلى طرح نفسها بديلة عن الفلسفة مؤقتا[1].

ب-جذور الأزمة في التحليل النفسي:

يلخص إريك فروم أزمة في التحليل النفسي بين المحللين الأمريكيين ونظائرهم الفرنسيين ولاكان بصفة خاصة. وفي كتابه " أزمة التحليل النفسي" يؤكد أن هناك أسباب سطحية تمثلت في جانبين ثقافي و اجتماعي مثل نفور الطلبة من الاقبال على دراسة التحليل النفسي، وسبب ثقافي و هو ظهور علاج أقل تكلفة و هو ما سماه اريك فروم بالسبب السطحي أما العميق يتمثل في " تحول التحليل النفسي من نظرية جذرية إلى نظرية إمتثالية"[2] هذا التحول الذي صاحبه صعود المد العقلاني ومحاولة المحللين النفسانيين في إخضاع النظرية الفرويدية إلى صرامة العلم الأمر الذي أدى بها إلى الجمود هذا ما أشار إليه لاكان في طرحه للمشروع أو استثماره المفتوح لنظرية التحليل النفسي.

كما يواصل فروم في استعراضه للأزمة الفرويدية، إلى:

-انقسام الاتباع مما أدى به إلى طرحه لجملة من التساؤلات من شأنها تفسر الأزمة.

- تأسيس جمعية التحليل النفسي التي كانت مسؤولة عن بيروقراطية التحليل النفسي الذي سيؤدي إلى تحجر داخل المنظمة تمنح من تشاء لقب المحلل وتطرد من تريد أمثال لاكان وإريك فروم.

-تكون محللين رادكاليين باعتبار أنه ليس من الضروري أن يكون محللا لكي يفهم نظرية فرويد من أمثالهم هربرت ماركوز الذي يمثل الانحراف والانعطاف الكبير الذي أصاب التحليل النفسي وأخرجه من مجاله التقني إلى النظام النظري بمعنى أكثر شمولية، وإخراج التحليل النفسي من العيادة إلى النظام الاجتماعي.

---

[1] أزوال ابراهيم، حضور التحليل النفسي في متت بارتيwww.aljabria bed.net/n15 04zarwa.htm 12جوان، 2019،

[2] إريك فروم، أزمة التحليل النفسي، تر طلاع عتريسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، (د ب) (د س) ، ص11.

إن ما اهتم به ماركوز عند فرويد ليس التحليل النفسي " إنما فلسفة التحليل النفسي"[1] وما استلهمه منه ينتمي إلى المجال النظري ولا علاقة له بالتحليل النفسي كمنهج للتطبيق وهذا ما عمق الأزمة التي تحدث عنها إريك فروم، في حين يرى جاك لاكان أن التحليل النفسي لم يقترب بعد من رسم حدوده وأن مايسمى بالأزمة لا يعدو من قبيل الثرثرة و أن هناك الكثير مما يجب كشفه بالممارسة والمجال المعرفي، وذلك من خلال مقاربة ابستمولوجية يتم عبرها العودة إلى مكتشفات فرويد ، وإعادة صياغتها بنيويا لتكتسي طابع علمي صارم وفقا لكوجيطو اللاكاني " أنا أرغب إذن أنا موجود".

ج-نظرية جاك لاكان في التحليل النفسي:

إن مشروع عودة جاك لاكان لدراسة وقراءة أعمال فرويد من زاوية ابستمولوجية، تحمل في نواتها البوادر الأولى لتأسيس مشروع فلسفي جديد، وليس من الغرابة نجد لاكان يعود إلى أعمال فرويد فهي" الطريقة نفسها التي يقرأ بها أفلوطين لأفلاطون وابن ميمون يقرأ بها أرسطو ابن رشد يقرأ الاثنين وماركس الشاب يقرأ هيجل..."[2].

لقد حول لاكان تقديم قراءة ابستمولوجية هي أولى من نوعها، فهي شبيهة بقراءة أفلوطين لأفلاطون و لا هي مثيلة بشروحات ابن رشد على أرسطو إذ تقوم على رؤية نقدية لأولئك الذين سمو أنفسهم مابعد فرويد، أو المدارس الأمريكية في التحليل النفس والتي مارست التجريب على التحليل النفسي. إن عودة لاكان إلى فريد هي عودة إلى فرويد بواسطة فرويد، وذلك بإعادة البناء على أفكار فرويد مما يجعلها أكثر كلية ونسقية وفهمه على طريقته التي تبدو له جلي، حيث يقول لاكان:" إن هدفي الرئيسي قراءة جديدة وفهمه بوضوح..."[3]

[1] إريك فروم، أزمة التحليل النفسي، مرجع سابق، ص 20.

[2] جاك لاكان، اغواء التحليل النفسي، تر عبد المقصود عبد الكريم، دار المجلس الأعلى للثقافة، الإسكندرية، مصر ، ط1، 1999، ص 95.

[3] المصدر نفسه، ص 78.

ومن بين المواضع التي أعاد لاكان قراءتها قراءة ابستمولوجية نجد: عقدة أوديب، البعد الرمزي لعقدة الخصاء، النظام الواقعي، البنية الثلاثية للجهاز النفسي، النظام الواقعي...

1-البنية النفسية لعقدة أوديب:

2- إن اهتمام فرويد بعقدة أوديب من خلال دراسته للأحلام حيث كان يخضع ذاته للدراسة وهذا ما كان واضح في كلامه عن هذه العقدة حيث أشار إلى غيرتهمن أبيه،" تمثل العقدة الأوديبية المحور الذي يدور حوله كل تحليل نفسي، فمن هذه العقدة تتفرع الأعراض العصابية، ومن خلالها تبدأ الحياة السوية و هي محور الذي تتكون حوله البنية النفسية في كل مشتقاتها سواء كانت مسلكية اجتماعية أو حساسات نفسية داخلية، وبهذا توكن النقطة الحاسمة في تطور نمو الإنسان وفي تركيبته الحضارية"[1].

إن الاكتشاف الذي قدمه جاك لاكان عن بنية اللاشعور هو بمثابة اكتشاف اكلينيكي بحيث أن اللاشعور بنية رمزية بإعطائه لصيغة أوديب نموذج الفرق بين الذكر والأنثى باعتبارها فروقات موجودة فقط على مستوى النظام الخيالي والنظام الرمزي، ودخول الأب كطرف ثالث في العلاقة الثنائية بين الطفل وأمه، سواء أكان هذا الطفل ذكرا أم أنثى فهو الموقف الذي يتدخل فيه القانون عبر الأوامر الكلامية، والتي تتميز بمقدرتها على نقل الطفل كم مستوى التخيل وعلاقات الحب والكراهية إلى مستوى الرمزي. فالأب في هذا المستوى يكون تحت اسم القانون من خلال أوامره ونواهيه التي يصدرها الأب للصبي وهذه الأوامر تساهم بدورها بانتقال الطفل من المستوى التخيلي المرآوي إلى المستوى اللغوي الرمزي.

"... من خلال رغبة الصبي في أن يحب أمه، سيصطدم بأبيه، و هذا الأخير سيجبره بفرض قانونه أن ينتقل من علاقة ثنائية إلى علاقة ثلاثية، وسينتقل الطفل على هذا النحو من

[1] عدنان حب الله، التحليل النفسي من فرويد إلى لاكان، دار الفرابي للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1994، ص ص 75-77.

المتخيل إلى الرمزي الموسوم بسمة القانون والثقافة و اللغة، وستفرض اللعبة على الصبي أن يكبت رغباته المتجهة إلى أمه وأن يصعد الصورة الأبوية..."[1].

إن المرحلة الأوديبية تتزامن مع دخول الطفل إلى عالم اللغة، ولها أهمية كبرى عند لاكان، لأنه نظام رمزي يقوم مقام الأشياء أو يستبدل بها، وهو من جهة أساس الاستعارة إن أوديب حسب لاكان ليس أسطورة وإنما هو بنية نفسية تتأسس عليها الذات عن طريق الرموز منها ينتقل الطفل إلى البنية النفسية التي أساسها الأنا اللاشعوري.

إن أوديب حسب لاكان يمر بثلاثة مراحل أساسية، والتي أشار إليها في الحلقة الدراسية عام 1956-1957 تشكيلات اللاشعور، حيث قسم المركب الأوديبي إلى ثلاث فترات زمنية:

الفترة الأولى: " تقوم على العلاقة الثنائية بين الطفل وأمه، حيث يرفض الطفل الانفصال عن أمه ورعايتها له، لذلك فهو يرغب في أن يكون المكمل لمل تفتقر إليه و ينقصها ز هو القضيب حيث ينصهر مع موضوع رغبة الآخر الأم، وبهذا يكون محروما من الفردية والذاتية ولذلك تعد الفترة ممثلة للنرجسية الأولى".[2]

الفترة الثانية: "... تتميز هذه الفترة بدخول الأب الخيالي الدي يفرض القانون على رغبة الأم باستنكار محاولاتها في الحصول على الموضوع القضيبي، وبالمثل يستنكر محاولة ذات الطفل في الحصول على الأم، وكثيرا ما كان لاكان يشير إلى هذا التدخل باعتباره خصاء الأب الواقعي وفلرض قانونه في هذه الفترة و منه يجب على الأم احترام هذا القانون وذلك يظهر عبر كلامها وأفعالها، وبهذا يرى الطفل الذات كمنافس على رغبة الأم..."[3].

الفترة الثالثة: "... هذه الفترة تتميز بدخوا الأب الواقعي بوصف مالك القضيب، ويقوم الأب الواقعي بخصاء الطفل وذلك لأنه لا مجال للتنافس مع الأب فهو دائما يفوز، وعبر

---

[1] فريق من الباحثين، علم النفس وميادينه من فرويد إلى لاكان، تر وجيه أسعد، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1996، ص139.

[2] محمد فتحي محمد، بنية النظام الرمزي لدى اللقطاء دراسة استكشافية في ضوء المفاهيم التحليل النفسي اللاكاني، رسالة ماجستير في الأدب، جامعة الزقازيق، مصر، 2004، ص124.

[3] المرجع نفسه، ص 126.

توصل الطفل لإدراك ذلك ينتج عن ذلك تعيين الذات، ويمكن هذا التعيين الثانوي الرمزي للذات من تجاوز عدوانيتها المرتبطة بالتعيين الذاتي الأولى الخيالي..."[1]

يفسر لاكان أن العقدة الأوديبية لها بعد رمزي في تشكيل الهوية لدى الفرد، وذلك من خلال إدراك أن الأب الواقعي الذي يمتلك القضيب سد وكابح لرغبة الطفل وإشباع لرغبة الأم. لهذا تنفصل الذات بشكل متفرد من العلاقة الأوديبية وتنعكس في الوجود الاجتماعي مع الآخرين، كونهم مصدر للرغبة على مستوى الفعالية اللغوية الرمزية.

3/-البنية النفسية للمجاز الأبوي:

استخدم لاكان مصطلح الاستعارة الأبوية موضحا أن الاستعارة التي تشما استبدال إحدى الدوال(اسم الأب) بدال أخر هو (رغبة الأم)، كذلك أن هذه الاستعارة الأبوية تشير إلى الخاصية المجازية لعقدة أوديب وهي التي تقوم عليها الدلالة. يكشف لاكان أن الأب باعتباره حاملا للقانون وباعتباره مالكا للقضيب هو الدال الأساسي الذي ينبغي أن يتمفصل ضمن جدل الرغبة، و يشير إلى الاستيلاب ة الاغتراب فهي أساس بنية الرمزي في عملية استبدال الدال القضيب أو رغبة الأم بدال مجازي وهو اسم الأب أو القضيب الرمزي، ليصبح مدلولا للرغبة، كل هذا تشكل عند الطفل الانتقال من الطبيعة إلى الثقافة التي يسيرها القانون وسلطة اللغة والقضيب، هو الذي يعطي الكينونة والملكية والهوية ويكون هذا الاتساق المجازي بين بنية الملكية وكينونة القضيب لدى الطفل فيتحول إلى حرف دال، أو وجود دال يعمل ضمن الهوية الثقافية[2].

وتمثل حسب لاكان الوظيفة الرمزية للاسم الأب على أنها الركيزة الأساسية للعقدة الأوديبية من حيث التكوين والتبلور.

[1] محمد فتحي محمد، مرجع سابق، ص 100.

[2] محمد فتحي محمد، بنية النظام الرمزي لدى اللقطاء دراسة استكشافية في ضوء المفاهيم التحليل النفسي اللاكاتي، مرجع سابق، ص 49.

3-البعد الرمزي لعقدة الخصاء:

يعتمد لاكان في تبيين موضوع الرغبة بين الام والطفل على جدلية العبيد والسيد من منظور ألكسندر كوجيف، حيث تغدو الام موضوعا للرغبة وهي أول من يستقبل الصراخ البدائي للرضيع وتكون بمثابة الآخر الذي يحاول السيطرة عليه، وهنا تتكون عقدة الخصاء، عندما يكتشف الطفل أن هذا الآخر ليس كاملا أو لا يملك القضيب أي أن الحصول على الاعتراف ليس له قيمة من ذات ناقصة.

ويقسم لاكان عقدة الخصاء إلى ثلاثة مراحل:

النوبة الأولى: وهي حين يدرك الطفل أن أمه تريد شيئا آخر غيره، وهذا الشيء هو الفالوس التخيلي.

النوبة الثانية: وهي تتم حين يتدخل الأب الخيالي فيحرم الأم من موضوع رغبتها بإعلان عن تحريم نكاح المحارم.

النوبة الثالثة: وهي التي يتحقق فيها الخصاء وتصل إلى حل عقدة أوديب وذلك من خلال تدخل الأب الفعلي الموجود في الواقع ويتبين للطفل أنه المالك للفانوس[1].

يتضح أن كلا من البنية النفسية لعقدة أوديب وعقدة الخصاء، في نظر لاكان يمثلان ركيزتين أساسيتين ضمن التحليل النفسي في المرحلة التي تؤسس فيهل لكل رغبة لذات الإنسان، وهي بمثابة حل لكل المشكلات النفسية والاجتماعية.

5-النظام الواقعي:

إن الواقع لا يستسلم للتعريف مباشرة شأنه في ذلك شأن اللاشعور في المعجم الفرويدي والذي يعتبره مماثلا له "... ذلك أنه له عملية إضفاء الطابع الرمزي الأولية تسبق المتخيل، فإن الواقعي يسبق الرمزي ولقد كان موجودا دوما من قبل أن نستشهد بنص لاكان الذي يظهر العلاقة القائمة بينم الواقع والدافع، وأن الواقعي لا ينتظر الذات بالخصوص مادام لا

[1] منار منصور شحاتة، المتخيل الثقافي في النظرية والتحليل النفسي معاصر، مركز الحضارة العربية، مصر، ط1، 2005، ص 51.

ينتظر من الكلام شيء، بل أنه وجد هذا مطابق لوجوده، كضوضاء يمكن لنا أن نسمه فيها كل شيء وهو قادر أن يعمل ببريقه ما أرساه فيه مبدأ الواقع تحت اسم العالم الخارجي..."[1] يعتبر هذا المفهوم (الواقعي) أكثر المفاهيم غموض مقارنة بالخيالي والرمزي، وهو خارج أطار الادراك.

كان لاكان بقراءته ونقده الابستمولوجي لفرويد كان من أبرز المحللين النفسانيين، كونها تعد نظرية جديدة ابستمولوجية تجمع بين ما تقدمه النظريات اللغوية و النظريات السيكولوجية الجديدة، وتتفرد بطابع الوضوح والأصالة لما يظهر لها وتحمل في شعارها صريح العبارة " العودة إلى فرويد"، وهنا أيضا تتجلى روح المقاربة الابستمولوجية في كونها تكشف عن أعماق النفس الإنسانية.

المحاضرة الحادية عشر: بورديو وعلم الاجتماع

تمهيد

إن البحث في مقاربات جديدة ابستمولوجية اجتماعية معاصرة يلح عليها التغيرات السريعة التي عرفها المجتمع. إلى جانب ذلك، لم يعد بالإمكان معرفتها وفق الاطروحات التقليدية التي لا تساير نسق الحياة الاجتماعية المعاصرة، لذا لا بد من ايجاد ابستمولوجية عقلانية تتلاءم مع طبيعة هذه التجاذبات. من هنا تأتي المقاربة الجديدة التي قدمها عالم الاجتماع الفرنسي بيار بورديو، لتكون بمثابة شبكة جديدة هدفها فهم العلاقات الاجتماعية لإنسان النصف الثاني من القرن العشرين وفق معايير وبراديغم ابستمولوجي جديد يقوم على مبدأ القطيعة الرمزية والمفاهيمية مع الأسس الكلاسيكية للعلوم الاجتماعية.

1-مفهوم علم الاجتماع عند بيير بورديو:

حدد "بيار بورديو" في كتابه مهنة علم الاجتماع وطرح الأسئلة التالية ليجيب عليها:

-ما هو علم الاجتماع؟

[1] عدنان حب الله، التحليل النفسي من فرويد إلى لاكان، مرجع سابق، ص 25.

– لمن نسب علم الاجتماع؟

–ماهي الأعمال التي يقوم بها علماء الاجتماع؟

ويجيب " بورديو" أن السوسيولوجيا هي سوسيولوجيا علمية انتقادية. إن أهم السمات التي تتميز بها السوسيولوجيا كما يفهمها بورديو:" هي ؟أن جميع القضايا التي يقررها هذا العلم يمكن، ويجب أن تصدق على الذات التي تصنع العلم. فعندما يعجز عالم الاجتماع عن خلق تللك المسافة التي تتشيء الموضوعية، أي المسافة النقدية، يعطي كامل الحق لأولئك الذين ينظرون إليه كأنه مفتش مرعب قادر على الممارسة الرمزية لجميع أعمال الشرطة"[1].

وبذلك تسعى السوسيولوجيا حسب بورديو إلى تعرية الواقع والهيمنة والنفوذ والقوة، وانتقاد المجتمع اللبرالي المعاصر الذي يتميز بالظلم واللامساواة وصراع الحقول والطبقات الاجتماعية. فتصبح السوسيولوجيا أداة فعالة للنقد الجذري، واستنطاق المسكوت عنه، وفضح لعبة التنافس والهيمنة.

2–موضوع علم الاجتماع عند بورديو:

يرى بورديو أن موضوع السوسيولوجيا هو دراسة حقول التنافس والصراع والهيمنة ليس على صعيد الطبقات فقط، بل حتى في المجال العلمي نفسه:" إن الذي يعتبر أن الانتماء الاجتماعي للعالم عقبة كأداء يجد علاجا ضد التحديدات الاجتماعية في العلم تصبح بفضله تللك التحديدات جلية واعية. إن سوسيولوجيا السوسيولوجيا التي تسمح بتسخير مكتسبات العلم الجاهز ضد العلم الناشئ أداة لا مندوحة عنها في يد المنهج السوسيولوجي"[2].

كما أن علم الاجتماع يمكن أن يكون موضوعا لتمايز حسب الوظائف الاجتماعية التي يؤديها، لذا يمكن أن نميز بين علم الاجتماع محافظ مهمته تكمن في إبقاء وضمان النظام الاجتماعي وعلم اجتماع الذي يمكن أن نصفه بأنه تحرري. يشرح بورديو أن علم الاجتماع كان سياسيا أكثر منه علميا، لأنه لا يمكن من رؤية ما يخفيه العالم الاجتماعي، ويقول في

[1] بيير بورديو، الرمز والسلطة، تر عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2007، ص 8.

[2] بيير بورديو، الرمز والسلطة، مصدر سابق، ص 8.

هذا الصدد:" من المفهوم أن علم الاجتماع كان مرتبطا جزئيا بالقوى التاريخية التي كانت تحدد طبيعة العلاقات القوى التي يجب الكشف عنها في كل حقبة من حقب التاريخ"[1]. وعلى هذا الأساس فعلم الاجتماع عنده علم " لا معياري" يهتم بما هو كائن، فسوسيولوجيا علمية تسعى إلى تعرية واقع الهيمنة وأداة فعالة للنقد، لأن الحقل الاجتماعي يبدو كفضاء صراعي يهدف فيه الأعوان المهيمنون ‘لى إعادة إنتاج هيمنتهم، وبوصفه لهذه الآليات فإن عالم الاجتماع يتعاطى عمله العلمي وفي هذا السياق ليس بمناضل ولا بفيلسوف اجتماعي، ولكن في ذات الوقت، فهو يصطدم بكل الأعوان الاجتماعيين الذين بصفة واعية أو غير واعية يساهمون في إبقاء الوضع القائم من مثقفون ووسائل إعلام وهيئات دولة[2].

3-منهج علم الاجتماع عند بيير بورديو:

يعتد بيير في أبحاثة السوسيولوجية المقاربة الماركسية ذات الأساس الجدلي، على أن التنافس والصراع وظيفتان أساسيتان في المجتمع. ومن ثم، يرتبط بورديو بالمقاربة الصراعية التي تستند إلى التحليلات الماركسية، لكن هذا الصراع و التنافس يتشكلان في مختلف الحقول والفضاءات المجتمعية الفرعية الأصيلة، قبل أن يتحدد كل منهما على صعيد المجتمع الماكروسوسيولوجي. ومن ثم، تتركز هذه الحقول بوجود تفاوت طبقي اجتماعي خاص، ووجود مسيطرين ومسيطر عليهم. معنى ذلك، إذا كان المجتمع حسب المقاربة الماركسية قائما على صراع الطبقات الاجتماعية، فإن هذا الصراع حسب بورديو يتشكل أولا ضمن حقول وفضاءات مجتمعية فرعية، قبل أن يتحول إلى ظاهرة اجتماعية عامة.

كما اعتمد في منهجه أيضا على البنيوية التكوينية في تحليلاته السوسيولوجية، والتي يعرفها كما يلي: "أقول إنني أحاول صياغة بنائية تكوينية لا يمكن عزل تحليل البنى الموضوعية- بنى الحقول المختلفة- عن تحليل نشوء البنى الذهنية عند الأفراد البيولوجيين،

[1] بيير بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، تر درويش الحلوجي، ط1، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، دمشق،2004، ص 14.

[2] عبد الكريم بزاز، علم الاجتماع، بيار بورديو، مرجع سابق، ص 51.

التي هي إنتاج لاندماج البنى الاجتماعية ولتحليل نشوء هذه البنى ذاتها"[1]. وهنا يجمع بورديو بين الفعل و البنية، أو يجمع بين دور الفاعل المجتمعي وبنية المجتمع، فكل واحد من هذين العنصرين يؤثر في الآخر. مما يعني أن هناك تفاعا وتماثلا بين الفاعل والمجتمع، أو تفاعلا بين الفهم والتفسير، بين الضرورة والحرية.

كما وفق بين التصور الدوركايمي التفسيري والتصور الإنساني عند ماكس فيبر، فهو لا ينكر أهمية المجتمع في التأثير في الأفراد سلبا أو ايجابا، لأن ثمة ضرورة أو حتمية مجتمعية تمارس تأثيرها على الفاعلين المجتمعيين.

4-الإبستمولوجية السوسيولوجية عند بورديو:

يعرض بورديو في كتابه " حرفة عالم الاجتماع" 1968م المبادئ الأساسية " للعقلانية التطبيقية " في العلوم الاجتماعية، ويوضح لمراحل يعتبرها على خط " غاستون باشلار " ضرورية لإنتاج المعرفة في علم الاجتماع، ويلخصها في صورة موجزة " الوقائع تنتزع وتبنى وتعاين.

إن عملية البناء هذه أي بناء الموضوع في علم الاجتماع التي يركز عليها " بورديو " لا تخلو كما لا تتم خارج مجموعة من العوائق التي تعترض عملية البنـاء أو تعمل على تهديمها لهذا نجده يستعمل كما يدعو إلى استعمال الإبستمولوجيا في تناول القضايا السوسيولوجية، ويستلهم خصوصا خطاطة باشلار والقول بالقطيعة مع المعارف السابقة، وفي نظر بورديو يتفق مع باشلارد في ضرورة التخلي عن الموضوعات والأفكار المسبقة عند بناء حقيقة لأي موضوع. وهذا ما عبر عنه في القسم الأول المعنون ب " القطع المنهجي " يدعوا إلى استخدام مجموعة من تقنيات القطع. الكفيلة بتأمين عملية بناء الموضوع مؤكدا على أهميتها الخاصة في ميدان العلوم الإنسانية.

[1] Pier Bourdieu , choses dites, édition minuit, Paris 1987, p 24.

1-مراحل بناء الموضوع السوسيولوجي:

أ-المعرفة الاجتماعية العفوية وسلطان اللغة:

هناك صعوبة تواجه علم الاجتماع تعود بالأساس حسب "بورديو" إلى التجربة العلمية والتجربة الساذجة، والتعبيرات الساذجة والتعبيرات العلمية لهاتين التجريبتين، ولهذا يرى أن علم الاجتماع لا يستطيع ان يتشكل كعلم بالفعل، طالما أن الخبر الاجتماعي العفوي لم يتلق ضربة مباشرة في صميم فلسفة معرفة الفعل الإنساني التي تستند إليها.

وبعبارة أخرى، مالم يقابل المعرفة الاجتماعية العفوية أو الخبر الاجتماعي العفوي بمقاومة منتظمة عن نظرية في المعرفة الاجتماعية تواجه انطلاقا من مبادئها افتراءات فلسفة الاجتماع البديهية[1]. لان المعرفة الاجتماعية العفوية وهو أي أنه انعكاسية مرتبطة بالمشاعر والاحاسيس، والعواطف، والغرائز، وغير مرتبطة بالعقل، والتحليل العقلي أو أنها ليست نتيجة للبحث، والنقد، والتجربة والملاحظة، والمقارنة، والتحليل المنطقي أو نتيجة لاستخدام مفاهيم أو طرق، ومناهج علمية، وهي نظرا لذلك لا تعبي عن حقيقة الأشياء ولا تعتبر علمية.

لهذا السبب نجد بورديو يحذر من المعرفة العفوية في العلوم الإنسانية و يؤكد خطرها في هذه العلوم هو أكبر منه في العلوم الأخرى. ونظرا للفصل غير الواضح بين الرأي المتداول المشترك والحديث العلمي، وعلى هذا الأساس يرى بورديو أن الفصل غير الواضح في العلوم الإنسانية هو أكبر منه مثلا في العلوم الطبيعيــة، الفيزيائية ، وهذا راجع إلى السبب الذي يجول الافتراضات المسبقة، وتبقى التحذيرات من عدوى المعرفة الاجتماعية العفوية مجرد تعاويذ إذا لم تترافق مع جهد يؤمن للتنبه المنهجي سلاحا يتفادى به عدوى المفردات الخام التي تصيب المفاهيم وللتخلص من المفاهيم العفوية لذا على عالم الاجتماع أن يقوم بنقد دائم ولا هوادة فيه للبديهيات المضللة والعمياء التي تمدنا من دون عناء بوهم

[1] بورديو بيير وآخرون، حرفة عالم الاجتماع، تر نظير جاهل، دار الحقيقة، بيروت، 1993، ص 19.

المعرفة المباشرة التي توهم بأهمية المعطيات التي تقدمها إليه نظرا لكثرتها وغنائها وتشعبها"[1]

فالوقائع الاجتماعية هي نتاج الإنسان أو من صنعه أو هي بعبارة أخرى ذات صفة إنسانية بعكس عالم الاجتماع فعالم الفيزياء يتناول موضوعا غير متورط فيه مباشرة أو هو من طبيعة مختلفة وهو لذلك يمكن أن يكون أكثر حيادية و علمية منه ، وأقل تأثيرا بالمفاهيم العامية المشركة بالتالي يعتمد أسلوبا أقرب إلى العلم من الأسلوب الذي يعتمد عالم الاجتماع . لذا يرى بورديو أنه كما أن العلوم الفيزيائية قد اضطرت إلى أن تقطع بحزم صلتها بالتصورات الإيحائية للمادة وللتأثر بها ، فلابد للعلوم الاجتماعية من إجراء قطيعة منهجية أصولية قادرة على التميز بين التأويل العلمي و التأويلات المصطنعة، وبعبارة أخرى فإن عالم الاجتماع لا يتخلص أبدا من الفكر الاجتماعي العفوي إلا بالإطراح النهجي لهذا النوع من المعرفة على محك النقد المنطقي.

ونظرا لأن تاريخ العلوم الإنسانية لا يمكن فصله عن الإيديولوجيا لطبيعة العلاقة بين العلم وموضوعه فإن عالم الاجتماع لن يجد في إرثه النظري الوسائل و المفاهيم التي قد تسمح له بأن يرفض جذريا اللغة المتداولة الشائعة بما تحتويه من مفردات عامة مشتركة ، وبعبارة أخرى بسبب هذا الإرث الإيديولوجي في الكلمات، وفي الأفكار ولتجنب المفردات الخام أو المفاهيم المسبقة ، مدعو عالم الاجتماع إلى تطبيق تقنيات القطع (النقد المنطقي) على المفردات الخام والآراء الأولية على اعتبار أن هذه المفردات تستمد بداهتها وسلطانها كما يلحظ ذلك دوركايم من الوظائف الاجتماعية التي تقوم بها .

وبالتالي فسلطان هذه المفردات بالغ القوة لهذا يجب الاستعانة بكل تقنيات القطع الممكنة لإنجاز عملية القطع المنهجي التي يدعو إليها بورديو، وهذا ما دعا إليه سلفه دوركايم من خلال دعوته إلى استبعاد المفاهيم المسبقة أي البناءات المسبقة الخاصة

[1] بورديو بيير وآخرون، حرفة عالم الاجتماع، مصدر سابق، ص 28.

بالمعرفة الاجتماعية العفوية . وذلك ببناء نظام من العلاقات تحدد ماهية الواقعة العلمية وهذا يعتبر بمثابة بناء نظري مؤقت يهدف قبل كل شيء إلى استبدال مفردات الفهم الشائع بمفهوم عملي أولي. [1]

يعتبر بورديو أن الاستخدامات العلمية للغة العادية تشكل المسرب الرئيسي للتصورات الشائعة في المجتمع وعلى هذا الأساس فإن النقد المنطقي المعجمي للغة هو الذي يؤمن الشرط المسبق، والضروري لصياغة المفاهيم العلمية صياغة محكمة ، فالنقد المنطقي أداة لا بديل لها بالنسبة لعالم الاجتماع لأنه وسيلة يزيل بها الغشاوة الدلالية كما يقول " وليام جيمس " التي تحيط التي تحيط بالكلمات الأكثر شيوعا ويمكن عالم الاجتماع من كشف حقيقتها[2] فيحدد المعاني السطحية التي قد تشوه حديثه أو صياغته، ويعمل على إبعادها، وفي حالة عدم إخضاع اللغة العادية لمحك النقد.

إن الحذر الإبستمولوجي الذي يتطلبه بورديو من عالم الاجتماع من أجل استخدام مفاهيم واضحة لا لبس فيها يفترض كذلك ألا يلجأ هذا الأخير إلى استخدام بعض المفاهيم و الصور ذات المصدر البيولوجي أو الميكانيكي أو الفيزيائي[3] . أي لا يستعير المفاهيم من مدار خارج الاجتماعي هنا يستحضر بورديو باشلار الذي بين كيف أن آلة الخياطة لم تخترع إلا حين توقف مبتكرها عن تقليد الحركات التي تقوم بها الخياطة.

المهم بالنسبة لبورديو هو أن يستخدم عالم الاجتماع مفاهيم علمية تنتج عن تحليل علمي لها بحيث يتوضح مهناها، وتتوضح الوظائف التي تقوم بها ولا يعتبر بورديو أول من دعا إلى مواجهة المعرفة المباشرة . فهناك علماء آخرون سبقوه إلى ذلك أمثال " أوكست كونت " و" إميل دوركايم " و" كارل ماركس " دوركايم الذي يرى أن للوقائع الاجتماعية ثباتا مخصوصا و طبيعة مستقلة عن أهواء الفرد تتفرع عنها روابط ضرورية ، وكذلك ماركس

[1] بورديو بيير وآخرون، حرفة عالم الاجتماع، مصدر سابق، ص 28.

[2] سعيد الكواكبي، سعيد الكواكبي، بيير بورديو، بناء الموضوع في علم الاجتماع، مقال منشور على شبكة الأنترنت في موقع الحوار المتمدن، العدد 4853، 2015، ص154.

[3] المرجع نفسه، ص156 .

الذي لم يقصد شيئا مغايرا حين قال بأن البشر يعقد خلال الإنتاج الاجتماعي لوجودهم علاقات مقدرة ضرورية مستقلة عن آرائهم . كما أن موقف بورديو بخصوص فهم الظواهر الاجتماعية لا يتمثل في دعوته إلى استخدام مفاهيم تتوافق مع طبيعتها بقدر ما يتمثل في إخضاع المفاهيم الشائعة للنقد المنطقي.

ب- إغواءات النبوءة في علم الاجتماع:

يذهب بورديو إلى أن علم الاجتماع على الرغم من أشواط التقدم التي قطعها فهو لا يزال يعاني من عدة مشاكل تحول بينه وبين ترسخه كعلم قائم بذاته ، ويتمثل هذا العائق الأساسي أو الخطر الرئيسي الذي يواجهه في الاتجاه نحو النبوة . كأن يجعل عالم الاجتماع من علم الاجتماع نظاما من الأجوبة الشاملة عن الأسئلة الكبرى حول الإنسان ومصيره أو الإجابة على أمهات القضايا الخاصة بالحضارة ومستقبلها منصبا نفسه " نبيا " يستجيب وكأنه العليم الحكيم لتساؤلات طلابه في مجال الخلاص الثقـافي، والحضاري، والسياسي[1] ذلك بتوحيد مملكة صغيرة من المفاهيم التي يريد بسط ملكه عليها موهما الجمهور بأن كنوز علوم الإنسان وأخر ما توصلت إليه من أسرار سوف تتكشف على يده.

على هذا الأساس، يعتبر بورديو، أن العلم لا يفترض به التعبير عن عقائد أو مذاهب، لأن ذلك لا يكشف الواقع أو الظواهر الاجتماعية فيه، وإنما يعمل على تغطيته وتشويهه وإبرازه على غير ما هو عليه، وعلى عالم الاجتماع ألا تتحول غايته العلمية إلى غاية ايديولوجية، أو تخطي الأهداف العلمية، وذلك عندما يتوجه إلى جمهور غير الاختصاصي بعلمه بغية تحقيق مصالح ومطامح شخصية[2].

فالعلاقة التي على عالم الاجتماع إقامتها مع جمهوره يفترض أن تكون مبنية على أساس كشف الحقائق، لا على أساس تغليفها بغشاء من الشفافية الخداعة، بعد ذلك ينتقل بورديو إلى إدانة موقف غير الاختصاصيين من علماء الاجتماع الذين لا يركزون في

[1] بورديو بيير وآخرون، حرفة عالم الاجتماع، مصدر سابق، ص 32.

[2] المصدر نفسه، ص 32.

أحكامهم على حقيقة التحليلات أو على ما هو علمي فيها. كما أن آرائهم غير علمية ولهذا حسب دوركايم ألا تتشكل المعرفة المشتركة أو المفاهيم المسبقة موضوعا لعلم الاجتماع، وهذا ما يؤكده بورديو فعلى كل عالم اجتماع أن يقاوم النبى الاجتماعي المطالب تجسيده من قبل جمهوره، ومحاربة الاتجاه التنبؤ الذي لا يتماشى مع المقتضيات العلمية.

ج- بناء الوقائع عند بيير بورديو:

بعد التوصيات الأخيرة التي عرضنا لها والمتعلقة بتطبيق تقنيات القطع مع كل العوائق الإبستمولوجية لتأمين عملية البناء . ينتقل بورديو إلى التذكير:

بمبدأ إبستمولوجي أساسي يتمثل في التذكير الدائم بأن الواقع لا يأخذ المبادرة أبدا كونه لا يجيب إلا حين يسأل، وعلى هذا الأساس يستحضر" بورديو" "باشلار" ، الذي كان قد أرسى بتعبير أخر : "... كون السهم المنهجي يتجه من المدرك العقلي نحو الواقع و ليس بالاتجاه المعاكس" [1].

ويعتبر بورديو أن في حالة تجاهل هذا المبدأ من طرف عالم الاجتماع سوف يدفع به إلى القيام بمقارنات غير صحيحة ، فيماثل بين وقائع أو بين عناصر لا يمكن المماثلة بينها ويظهر تناقضات واختلافات الأولى به أن يظهرها كتمثلات ويظن أن معالجته موضوعية ، وأن الخصائص التي يتكلم عنها خارجية قائمة بذاتها ، وينفي أن تكون لمعالجته هذه صفة ذاتية[2].

وبعد ذلك ينتقل بورديو إلى التشكيك في المنهج الموضوعي لفهم الوقائع، وفي الأسئلة الحيادية، على اعتبار أن ذلك ليس باستطاعته إخفاء ما هو ذاتي، لأن إقامة البراهين تفترض بناء مفاهيم معينة، وهذا العدم المقصود بعدم الانطلاق من مفاهيم محددة، يخفى في الحقيقة محاولة من قبل الباحث لبناء المفاهيم[3].

---

[1] بورديو بيير وآخرون، حرفة عالم الاجتماع، مصدر سابق، ص 45.

[2] سعيد الكواكبي، بيير بورديو، بناء الموضوع في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص112.

[3] بورديو بيير وآخرون، حرفة عالم الاجتماع، مصدر سابق، ص ص 47-48.

يرى بورديو أن الأحاديث " اللاحقيقية " التي يحصل عليها عالم الاجتماع عن طريق الأبحاث السوسيولوجية الحديثة التي تعتمد المقابلات، والاستمارات والتي تتصف بأسئلتها الاصطناعية أو بحيلة غياب الأسئلة لا تشرح سوى أحد مظاهر الحقيقة أي تبقى عاجزة عن إعطاء شرح علمي لها.

وبخصوص موقف بورديو من الطرق الحديثة يبدو أن وضع المستجوبين في المقابلات أو في الاستمارات هو وضع اصطناعي لأنه يختلف عن وضعهم الحقيقي في الواقع الاجتماعي، وبسبب ذلك فأحاديثهم أمام الباحث سوف تكون اصطناعية أيضا وغير متشابهة للواقع وحتى إن كانت تعبر عن وجهات نظرهم ، فهي ليست بالضرورة أحاديث علمية ، لأن المفاهيم العلمية لا تكون نتيجة للحياة العادية أو لتجارب شخصية بل لتجارب علمية يمكن التحقق منها[1].

وأخيرا يصل بورديو إلى نقد حالة التأرجح التي يوجد فيها علم الاجتماع بين النظرية الاجتماعية دون ركائز تجريبية أو التجربة دون توجه نظري، هذا يعني أن موقفه من هذه المسألة لا يتمثل بالتجربة أو النظرية فحسب، وإنما بالعلاقة الجدلية بينهما فلا تجريب بدون نظرية ولا نظرية أو بناء مفاهيم بدون تجارب، ولا يمكن تجاهل أي عنصر منهما على اعتبار أن ما معاينة او تجربة إلا وتحرك فرضيات معينة.

إن مساهمة بورديو في إرساء وتأكيد علمية علم الاجتماع لا يمكن أن تقاس على غرار مساهمة أسلافه (كونت ودوركايم) ، اللذان مثلا اتجاها أساسيا في الفكر الغربي ، فمساهمتهما رغم كونها تدخل في الجانب المنهجي أو الميتودولوجي . إلا أنها ركزت على مسألة التأسيس ووضع الأساس، إلا أن مساهمة بورديو رغم كونها لم تغفل الجوانب النظري فإنها انصرفت إلى القضايا المنهجية . هذه القضايا التي إذا ما أخذنا التصنيفات الحديثة لعلوم المعرفة فإنها تدخل ضمن ميدان الابستيمولوجية ونظرية المعرفة و فلسفة العلوم ، والتي شكلت منذ ميلاد علم الاجتماع ذاته موضوع نقاش بين المفكرين في الأوساط الفكرية

[1] بورديو بيير وآخرون، حرفة عالم الاجتماع، مصدر سابق، ص 47.

الغربية ، وسيطرت على جانب مهم من كتاباتهم التي حاولوا من خلالها صياغة وجهات نظر مختلفة . ولعل النقاش أو السجال الذي هز وقعه مدرجات الجامعة الألمانية في نهاية ق 19 عشر ظهور أعمال فيبر خصوصا " محاولات في نظرية العلم " ومسألة التأريخ لمناهج العلوم . لشاهد أمين على ذلك ، وهذه الموضوعاتما تزال تثير التساؤلات في جوانب عديدة على الرغم من تطور العلم، الذي يظهر باستمرار معارف ومكتشفات جديدة تساهم في حل مشكلات معرفية عديدة وتظهر بشكل دائم في الوقت الحاضر، موضوعات جديدة في المنهـج ، ونقاشات جديدة حولها. وفي هذا الإطار نفهم المحاولة التي قام بها بورديو والتي تعتبر من المحاولات الخلاقة التي سعت إلى إرساء فهم مغاير تدشين طرائق جديدة في العمل، وذلك بتشييده لصرح سوسيولوجي متين ضمن منظور يرفض كل الأزواج الضدية ، ويخلخل الثنائيات المستديمة ، ويعمل على تقويض طريقتها في إدراك وفهم الحقيقة الاجتماعية، وذلك بإتباع منهجه المتميز الذي يقوم على الربط بين الموضوعي والذاتي، وعدم الفصل بينهما إذ لا وجود لذاتية مستقلة في فهم الواقع . كما لا وجود لموضوعية قائمة بذاتها فالحقيقة الاجتماعية تبعا لذلك في حالة من الصراع ، وبالتالي من التغير الدائم والحقيقة الذاتية لا تفسر ذاتيا بل على أساس ارتباطها بالحقيقة الاجتماعية أي على أساس أنها جزء منها. وما يتميز به فكر بورديو هو أن الذاتية التي يعيد إليها الأهمية لا تشكل عنصرا من الحقيقة الاجتماعية فقط وإنما تتصف بقدرتها على إعطاء معنى جديد للواقع وخلق مفاهيم جديدة . يقترب بورديو من فيبر حين يعيد الاعتبار للعنصر الذاتي الفردي ، ويبتعد عنه حين يربطه بالحقيقة الاجتماعية والظروف الاجتماعية ، ويقترب من ماركس حين يربط الذاتي بالموضوعي على أساس جدلي ، ويبتعد عنه حين لا يقر بوجود حقيقة موضوعية قائمة بذاتها لذلك لا تعتبر مقاربته توفيقية بقدر ما تعتبر جديدة ، تدعوا لمناقشات، وأبحاث، وأراء جديدة. لم يقف بورديو على الربط بين الموضوعي والذاتي بل انتقادهما والدعوة إلى مجاوزتهما كتحقيق علمي تلغي عن طريقه السوسيولوجيا كل هذا التشويه القسري المتمثل في ثنائية الذاتية والموضوعية ، واختزالهما في الأنتروبولوجيا الكلية.

5-المفاهيم السوسيولوجية عند بيار:

1-الهابتوس:

مفهوم الهابيتوس هو واحد من ثلاثة مفاهيم نجدها في الجهاز التحليلي لبورديو في إطار ما يسميه نظرية الممارسة، تتمثل هذه المفاهيم في مفهوم "الحقل" "رأس المال"[1] و" الهابيتوس".

الهابيتوس هو كلمة يونانية مشتقة من الفعل اللاتينيHabere ويعني فعل الملكية/ التملك. استعمله أرسطو الذي أعطاه معنى طريقة الوجود الثابتة. كما استعمله توما الإكويني والذي أعطاه معنى العادة، وفي الميدان الطبي يستعمل بمعنى العرض كآبيتوس السل أو آبيتوس البلورات لوصف شكلها الهندسي مثلا.

أما في الحقل السوسيولوجي فقد استعمله إميل دوركايم بمعنى الطبع واستخدمه مارسيل موس في حديثه عن تقنيات الجسد ضمن مؤلفاته " الأنثربولوجيا والسوسيولوجيا" بمعنى العادة وعادة الاكتساب[2].

طور بورديو مفهوما أصبح من قواعد علم الاجتماع وهو التّطبّع (Habitus). يساعد التّطبّع في فهم الطريقة التي تؤثر بها ضغوط المؤسسات على الفرد. فالفرد يحاول إدماج هذه الضغوط ليتمكن من التفاعل في اللعبة الاجتماعية. وإدماج هذه الضغوط يساهم في بناء الحقل الاجتماعي وفي تشكل الفرد في ذات الوقت. فالتّطبّع إذا هو الطريقة التي ترسخ بها البني الاجتماعية في وعينا وأجسادنا. ولأصولنا الاجتماعية وتجاربنا الحياتية المبكرة ولمسارنا الاجتماعي تأثير في تشكّل اتجاهات بعينها للتفكير ولتحسس الأشياء وللتصرف في

[1] جاسم محمد أفراح، سعيد محمد علي حميد، الهابتوس رأس المال في فكر بيير بورديو، مجلة الأستاذ، العدد 21، المجلد الثاني، 2014، ص 429.

[2] حساين المأمون، بيير بورديو نحو سوسيولوجيا الكشف عن الهيمنة (الحقل التربوي نموذجا)، مجلة دليل الكتاب: 2014 24 www.dalilakitab.net/id

مواقف محددة. كل هذه، تتحول في اللاوعي الفردي إلى نوع من أنواع السلوك يحتفظ بها الفرد على المدى الطويل. والتّطبّع هنا عنوان لكل ما يمتلكه الفرد ولما يجعل منه كائنا.

بالنهاية، التّطبّع هو مجموعة السلوكيات المشتركة لمجموعة من الأفراد المنحدرين من نفس الأصول الاجتماعية والمتضمنة لطرق التفكير والتصرف والتفاعل والناتجة للإدماج اللاواعي للنظم والأعراف التي تحددها مجموعة الانتماء.

2-رأس المال:

إذا كان رأس المال بمعنى الرأس مال الاقتصادي كامتلاك ثروات مادية أو مالية، عنصرا مهما في التكوين الاجتماعي، والعلاقات الاجتماعية إلى حد أنه يضع بالقوة الأغنياء، مقابل الفقراء، فإن غيره من أنواع رأس المال تلعب دورا مهما أيضا في الديناميكية الاجتماعية. وضدا عن رؤية اقتصادية مفرطة، يطرح بيير بورديو لهذه الأنواع الأخرى من رأس المال التحليل الماركسي الذي يؤسس الروابط الاجتماعية، والنزاعات الناتجة عنها[1].

أن مفهوم رأس المال يمثل مفهوما مركزيا في المشروع النظري ل بورديو، والمفهوم مستمد أساسا من علم الاقتصاد الكلاسيكي، ويعني الثروة المتراكمة، ويستخدم في النظرية الماركسية للإشارة إلى العلاقة بين مالكي وسائل الانتاج وبائعي قوة العمل، أما بورديو فقد وسع فكرة رأس المال المطروحة في علم الاقتصاد وفي النظرية الماركسية، حيث أصبح يتضمن رأس المال النقدي وغير النقدي، كما يشتمل على الصور المادية أو الصور اللامادية غير الملموسة[2].

أن استخدام بورديو لمفهوم رأس المال لا يقتصر فقط على البعد الاقتصادي فقط وإنما تجاوزه إلى أبعاد أخرى متنوعة فهناك عدة صور لرأس المال مصل رأس المال الثقافي

[1] ستيفان شوفالييه، كريستيان شوفيري، معجم بورديو، ترجمة :الزهرة إبراهيم، دار الجزاير للنشر، 2013 ، ص 162.

[2] حسني إبراهيم عبد العظيم، حسام جابر أحمد، دور العمل التطوعي في تنمية رأس المال الاجتماعي للمرأة ، مجلة كلية الآداب، .جامعة بني سويف، ع(27) ، مصر، أبريل-يونيو 2013 ، ص،560

والاجتماعي والرمزي، وتعكس تللك الرؤية لرأس المال تفسيرا متعدد الأبعاد للظواهر الاجتماعية.

ويذهب بيير بورديو إلى أن رأس المال هو كل طاقة يمتلكها الفرد ويعتمد عليها في التمييز والمنافسة، وفي سياق توصيفه للأنواع المختلفة من رأس المال، يذكر أن هناك أربعة أنواع من رأس المال هي:

أ-رأس المال الاقتصادي: فهو الرأس المال المادي وهو العدد والآلات والمعدات والمصانع التي توفي البنى التحتية والسعة التشغيلية لإنتاج البضائع وتقديم الخدمات[1]. فيقصد به الأموال والمواد والأدوات اللازمة لإنشاء نشاط اقتصادي أو تجاري ويكون الهدف من المشروع الربح أو الإعلام أو الأعمال الإنسانية، وهو المحرك الرئيسي لانعقاد أي مشروع ونجاحه، ويتكون من مجموعات أساسية غير متجانسة يتفرع من كل منها أشكال فرعية من المستخدمات القادرة على الإنتاج مثل الأدوات والمواد الخام، وربما القدرات البشرية النادرة، والمواد المساعدة في الإنتاج.

ب-رأس المال الثقافي :يقسمه بيير بورديو إلى نوعين أحدهما موروث وهو كل ما يناله الفرد خلال عملية التنشئة الاجتماعية، مثل عناصر البنية العقلية ومفردات اللغة، والآخر مكتسب، وهو كل ما يكتسبه الفرد من مؤهلات تعليمية. ولغالب فهو يتشكل مما يمنحه التعليم والتدريب من مهارات ومعرفة وامتيازات وتوقعات، فلم ينظر بيير بورديو للمدارس والجامعات باعتبارها مواقع لتوزيع رأس المال الثقافي، بقدر ما رأى فيها مواقع لمنح شرعية لرأس المال الثقافي للطبقتين الوسطى والعليا[2].

[1] جيريمي ريفكين، عصر الوصول، ترجمة صباح صدّيق الدملوجي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2009 ، ص93.

[2] حسني إبراهيم عبد العظيم، حسام جابر أحمد، دور العمل التطوعي في تنمية رأس المال الاجتماعي للمرأة، مجلة كلية الآداب، جامعة بني سويف، مصر، 2013، ص 560.

ب-رأس المال الرمزي :

ويقصد به الموارد المتاحة للفرد نتيجة امتلاكه سمات محددة كالشرف والهيبة والسمعة الطيبة والسيرة الحسنة والتي يتم إدراكها وتقييمها من جانب أفراد المجتمع، ويعد رأس المال الرمزي مصدر السلطة، حيث يمنح صاحبه مكانة اجتماعية في الجماعة التي ينتمي إليها، ويصبح للشخص كلمة أو رأيا مسموعا، ويتوزع رأس المال الرمزي على رؤوس الأموال الأخرى[1].

لا يدخر بيير بورديو جهدا في العودة إلى ماكس فيبر لتعريف رأس المال الرمزي .لقد وجد في مفهوم الكاريزما قرابة تجعله يتقرب في أحيان كثيرة منه ثم يتباين عنه .القرابة تكمن في أن رأس المال الرمزي ليس سوى صورة أخرى لما أسماه ماكس فيبر الكاريزما .أما التباين فإن سببه أن ماكس فيبر جعل من مفهوم الكاريزما شكلا خصوصيا للسلطة بدلا من أن يجعله بعدا لكل سلطة .لذلك يقترب رأس المال الرمزي من مفهوم الشرعية أكثر من أي مفهوم آخر لكونه حالا في كل السلط أو هو ذات السلطة التي تمارس بها الهيمنة[2].

وعليه فإن رأس المال الرمزي يشير إلى درجات المكانة التي يكتسبها الفرد ويتم التعبير عن هذه المكانة أو القوة الرمزية من خلال علامات التمييز داخل كل حقل، تلك العلامات التي تعمل على إبراز و تأكيد المكانة الاجتماعية.

ج-رأس المال الاجتماعي :

يعرفه بيير بورديو بأنه مجموع الموارد، الفعلية أو المفترضة، التي يجنيها فرد أو مجموعة بحكم امتلاك شبكة مستديمة من العلاقات المؤسسة – بسيطة أو معقدة – للتعارف والاعتراف المتبادل ، وذلك في إطار الانضواء تحت لواء جماعة معينة، فالانتماء لجماعة

[1] حسني إبراهيم عبد العظيم، حسام جابر أحمد، دور العمل التطوعي في تنمية رأس المال الاجتماعي للمرأة، مرجع نفسه، ص 561.

[2] بيير بورديو، جان-كلود باسرون، إعادة الإنتاج، ترجمة ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ، لبنان،2007، ص56.

ما يمنح كل عضو من أعضائها سنداً من الثقة والأمان الجماعي، وهذا ما نطلق عليه في لغتنا العادية أو لهجتنا" عنده علاقات."

ويرى بيير بورديو أن رأس المال الاجتماعي يعد شكلا مهما من رأس المال يمتلكه أعضاء الشبكة الاجتماعية أو الجماعة، ومن خلال الصلات بين الأعضاء يمكن أن يستخدم رأس المال الاجتماعي كنوع من الائتمان، بهذا المعنى يعد رأس المال الاجتماعي دعما جمعيًا يمنح الأعضاء شكلا إئتمانيا، ويتم المحافظة عليه وتعزيزه لفائدته عندما يستمر الأفراد في الاستثمار في العلاقات الاجتماعية[1].

ولذلك يقرر بيير بورديو أن رأس المال الاجتماعي هو رأس مال من العلاقات القوية الذي يمنح الأفراد دعما مهما وقت الحاجة، إن العلاقات القوية تخلق السمعة الطيبة والشرف بين أعضاء الجماعة، ومن ثم تكون أكثر فاعلية في بناء الثقة واستدامتها، إن أعضاء الجماعة يمنحون الأمن لبعضهم البعض، ويتم الحفاظ على العلاقات الاجتماعية بين أعضاء الجماعة من وحفاوة كل شخص بالآخر عندما يلتقيا في الشارع(، وتدعم هذه العمليات خلال عمليات التبادل المادي والرمزي .) العلاقات الموجودة بالفعل، كما تعمل على اعتمادها ومأسستها اجتماعية.

3 –الحقل أو الفضاء:

الحقل هو مستوى من الحياة الاجتماعية أصبح مستقلا عبر التاريخ. وفي الواقع، هو نمط من المؤسسات بشرط ألا نعتبر المؤسسات "أشياء" وإنما شكل من أشكال العلاقات بين عوامل اجتماعية فردية كانت أو جماعية. ويعتبر الحجر الأساس في البناء الاجتماعي لإبستمولوجيا بورديو، والمفتاح الأهم الذي يمكنك من خلاله الدخول إلى مختلف الحقول التي تشكل الفكر الفلسفي والإبستمولوجي عنده، حيث أن العالم الاجتماعي يتكون من مجموعة متعددة من الحقول فيمكننا مثلا أن نتحدث عن الحقل الاقتصادي والحقل الفني

[1] ستيفان شوفالييه، كريستيان شوفيري، المرجع السابق، ص166.

والحقل الصحفي الخ... وكل حقل يتميز بميزان قوى بين مجموعة مسيطرة ومجموعة مسيطر عليها ومحاولات مستمرة لكل طرف للحفاظ على ميزان القوى كما هو أو لتغييره.

فالنشاط الاجتماعي الإنساني ككل نشاط عام يشكل مجال النشاط العام للحقل، هذا النشاط ينحل إلى مجموعة نشاطات صغرى كثيرة ومتعددة تسمى حقول وبعبارة أخرى أن العالم الاجتماعي يتجزأ إلى عدد كبير من العوالم الصغرى إنها الحقول حيث يمللك كل واحد رهانات ومواضيع، ومصالح خاص[1].

4-العنف والسلطة الرمزيين.

لكي نفهم بشكل واضح استعمال هذين المفهومين عند بورديو لا بد من الوقوف أولا عند التصور الماركسي للعنف والسلطة، وهنا سنأخذ أحد النماذج الواضحة في علم الاجتماع الألماني والتي تعتبر محطة أساسية في قلب التنظير السياسي، إنه عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر، يذهب هذا الأخير في نفس تصور ماركس للعنف، فيعتبر أن العنف المادي أو بتعبير بورديو العنف البوليسي- تربطه علاقة حميمية بالدولة فمنذ القديم اتخذت التجمعات السياسية المختلفة ... العنف المادي وسيلة عادية للسلطة. وعلى العكس من ذلك يجب أن نتصور الدولة المعاصرة كجماعة بشرية تطالب بحق احتكار استعمال العنف الفيزيائي المشروع لصالحها "ماكس فيبر" رجل العلم ورجل السياسة .

إن هذا التصور لعلاقة العنف بالسلطة يظل قاصرا من وجهة نظر بيير بورديو، فالعنف الرمزي بدوره وسيلة لممارسة السلطة فهو " شكل من أشكال السلطة تمارس على فاعل اجتماعي بتواطؤ منه، وكيفما كان الحال فهذه الصياغة خطيرة، لا تفتح الباب أمام مناقشات مدرسية حول مسألة معرفة ما إذا كانت السلطة تأتي من أسفل وإذا ما كان المسود

[1] ستيفان شوفاليه وكريستيان شوفيري، معجم بورديو، ترجمة الزهرة إبراهيم، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دار الجزائر، سوريا،الشركة الجزائرية السورية النشر والتوزيع، 2013، ص220.

يرغب في الحالة المفروضة عليه "..." فإن أشدها "أشكال العنف " هو ذلك الذي يمارس في نظام الأشياء "– بيير بورديو– أسئلة علم الاجتماع .

إن العنف الرمزي حسب بيير بورديو هو عنف غير مرئي، لطيف ولين وعذب، يقوم على إلحاق الضرر بالآخرين عبر اللغة والتربية...، إلى جانب ذلك يذهب بيير بورديو في كتابه "إجابات" إلى انه "يمكن ان يحقق العنف الرمزي نتائج أحسن مما يحققه العنف السياسي البوليسي..." وهذا هو جوهر اختلاف بيير بورديو مع التيار الماركسي، وهنا يعود في نفس المؤلف السابق إلى التصريح على " أن احد اكبر مظاهر النقص في الماركسية هوانها لم تخل مكانا لمثل هذه الأشكال اللطيفة من العنف – أي العنف الرمزي – التي هي فاعلة ومؤثرة حتى في المجال الاقتصادي".

تتمتع إذن السلطة الرمزية بمجموعة من المميزات والخصائص:

– لها القدرة على تكوين المعطى عن طريق العبارات اللفظية.

– لها قدرة على الإقناع، وإعطاء تصور حول العالم أو تحويله، ومن ثم قدرة على تحويل التأثير في العالم وبالتالي – العالم نفسه.

– تعتبر بمثابة عصا سحرية تمكن من بلوغ ما يعادل قوة طبيعية أو اقتصادية، وذلك بفضل قدرتها على التعبئة.

– السلطة الرمزية هي شكل من أشكال السلط الأخرى.

في كتابه "التمايز" يبين بورديو أن اختياراتنا وأذواقنا الجمالية تدل على أوضاعنا الاجتماعية وكذلك تطلعاتنا وطموحاتنا. و يؤكد بورديو على أن التّطبّع ليس بحتمية. فهو اجتماعي وليس جينيا. وعلى الرغم من أنه ينحى لإعادة إنتاج نفسه كلما واجه ظرفا أو موقفا مشابها لما سبق وأن واجه، إلا أنه يصبح مبتكرا ومجددا إذا واجه مواقف جديدة لم يسبق وأن تعامل معها. وعلى مستوى طبقة اجتماعية معينة تتقارب أنماط التّطبّع، إلا أنها ليست متماثلة لأن

التجارب الفردية تختلف في تفاصيلها وحجمها من فرد لآخر كما أن التطبع لا ينتج بشكل آلي ردود فعل وتصرفات محددة وإنما ينتج ميلا لمجموعة من ردود الفعل المتقاربة.

المحاضرة الثانية عشر: ليفي ستراوس وعلم الإناسة

1/-المنهج البنيوي عند كلود ليفي ستراوس:

يقوم المنهج البنيوي كغيره من المناهج العلمية على جملة من المفاهيم التي تكون نظامه المفاهيمي، والتي يعتمد عليه في تحليل الموضوعات، ومن خطواته على المستوى الأنثروبولوجي[1]:

1-**القيام بالملاحظة:** وتعني ملاحظة جميع الوقائع وصفها بدون الحكم على تلك الوقائع بأحكام مسبقة، فهي تشترط الحيادية والموضوعية وملاحظة الوقائع في إطار علاقتها، وهذه الخطوة توازيها في الأنثروبولوجيا مرحلة الاتنوغرافيا أي الدراسة الميدانية، يقول ليفس ستراوس: " إن جميع الوقائع يجب ملاحظتها وصفها بشكل دقيق بحيث نفوت الفرصة على الأحكام المسبقة..."[2].

2-**التجريب:** يقول ليفي ستراوس:" مما لا شك فيه أن التجربة هي دائما صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة، غير أن التجربة التي يوحي بها إلينا الاستدلال والخاضعة لهديه، ليست هي التجربة هي التجربة الخام نفسها والمعطاة لنا في البداية.

3- **التجريب على النماذج المستقاة من الملاحظات** ويستلزم التجريب على النماذج شرطين أساسيين:

[1] الزواوي بغورة، البنيوية منهج أم محتوه، عالم الفكر، العدد 4، المجلد 30، أبريل، 2002، ص 50.

[2] نزار الريس، اشكالية المنهج في العلوم الإنسانية " المنهج البنيوي نموذجا" ، مجلة علمية محكمة، المجلد 12، العدد2، الأردن، أيلول، 2008، ص 22.

أولها: معرفة كيفية رد فعل النموذج تجاه الوقائع، وإذا علمنا أن النموذج، هو أساسا، إطار نظري لتعريف الوقائع، عرفنا رد الفعل هذه تتجسد أساسا في قدرته على أن يكون جامعا ومانعا للوقائع.

ثانيها: الذي يتطلبه التجريب على النماذج هو المقارنة، أي مقارنة النماذج التي تصاغ انطلاقا من الوقائع المراد دراستها. وتعتمد هذه المقارنة علة الوضوح والبساطة والواقعية وهذا ما يؤكد أهمية التجريب في المنهج البنيوي و الفهم الجديد للتجربة، فهي قائمة على النماذج، وهذا نظرا للعلاقة بين المنهج البنيوي والنموذج. إذن الملاحظة والتجربة عنصران أساسيان في المنهج البنيوي.

2/-مبادئ المنهج البنيوي:

إن الغرض الأساسي للخطوات المنهجية التي يعتمدها المنهج البنيوي من ملاحظة أو وصف وتجريب أو تركيب وبناء نماذج، هو الحصول إلى البنية والكشف عنها، ولدراسة بنية الموضوع يجب تطبيق جملة من المبادئ منها:

أ-أسبقية الكل على الأجزاء: إذا كانت البنية تشترط الكلية، فإن هذه الخاصية أفرزت مبدأ منهجيا، هو النظرة الكلية إلى الموضوع، والتي تشترط منطقيا أسبقية الكل على أجزائه. ولقد اعتمد ليفي ستراوس على هذا المبدأ في تحليلاته منذ كتابه" البنى الأولية للقرابة" لا من هنا كان يرى في أنه ساق القرابة إلا كليات تخضع لمبدأ أسبقية الكل على الأجزاء"[1].

ب-أسبقية العلاقة على الأجزاء: تحليل كل بناء إلى جزيئاته التي تتكون منها وذلك لكشف العلاقات الموضوعية التي تربط بعضها البعض، ثم إعادة تركيبها في بناء وتحديد اتجاه عملية تحليل وتركيب في بناء كلي جديد ، وهذه تمثل في الصفة الإنسانية التي يجب أن تكون هي أساس في دراسة أي بناء مهما كان الاعتقاد في أنه بعيد عن الإنسان، وذلك أن

[1] نقلا عن، الزواوي بغورة، البنيوية منهج أم محتوه، مرجع سابق، ص 51.

البنائية في جوهرها نزعة إنسانية تهدف إلى تطوير الأبنية البشرية الإنسانية المختلفة والارتقاء بالعلاقات الوظيفية لبتي تربط جزيئاتها فيما بينها[1]. يقول ستراوس في ذلك:" إن ما هو أولي حقا ليست الأسر، هذه الحدود المنفردة، بل العلاقة بين هذه الحدود، وإن تفسيرا آخر لا يستطيع تحليل تحريم زنا المحارم التي لا تشكل العلاقة الخالية. في جانبها الأعم، سوى نتيجة طبيعية لها، واضحة حينا و خفية أحيانا أخرى"[2].

ج-النسق أو النظام : وهو ما جاء من الكلام على نظام واحد، والتنسيق معناه التنظيم، فهو يعني النظام أو الترتيب.

فالنسق ليس سوى مجموعة من الفوارق الصوتية المتآلفة مع مجموعة أخرى من الفوارق الفكرية، إلا أن هذه المقابلة بين عدد من الرموز السمعية، وعدد آخر من الأفكار متقطع من جملة الفكر، تولد نظاما من القيم الخلافية، هذا النظام هو الذي يمثل الرابطة الفعالة بين العناصر الصوتية، والنفسية داخل كل رمز[3]. فبذلك يكون مجموعة من القضايا المرتبة في نظام معين، بعضها مقدم ات لا يبرهن عليها في النسق ذاته، والبعض الآخر يكون نتائج مستنبطة من هذه المقدمات[4]. وهناك اختلافات قائمة بين كل من النسق والبنية، نجملها فيما يأتي:

أ- يشترك النسق والبنية في اعتمادهما على الكلية والعلاقات والثبات، والتوازن بين العلاقات والدراسة التزامنية.

ب-يعتمد كل منهما على مفهوم النموذج، فالنسق يشكل تلازما واقعيا لنموذج ما، والنموذج يشكل مقاربة لمفهوم النسق.

---

[1] سامح رافع، المذاهب الفلسفية المعاصرة، مكتبة مدبولي، ط1، 1973، ص ص 150-151.

[2] نقلا عن، الزواوي بغورة، المنهج البنيوي، بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات، مرجع سابق، ص 51.

[3] صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 37.

[4] مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار مأمون للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، مصر، 1979، ص 445.

ج-يختلف النسق عن البنية في أن كل نسق نظري له بنية منطقية محد ة، ومعنى هذا أن الأنساق تتألف من عناصر، وعلاقات وبنى، فالبنية أحد المكونات الأساسية للنسق[1].

4-التزامن :ويقصد به زمن حركة العناصر فيما بينها في البنية، وتتحرك العناصر في زمن واحد، هو زمن نظامها، فإذا كان استمرار النظام يفترض استمرار البنية، وثبات نسقها ، فإن التزامن يرتبط بهذا الثبات الذي يشكل حالة، أي أنه يرتبط بما هو متكون، وليس بما هو في مرحلة التكون، أي بما هو مكتمل، وليس بما يكتمل بما هو بنية وليس بما سيصير بنية[2].

د-التعاقب :إن التعاقب والتزامن معنيين متكاملين؛ إذ لا نستطيع أن نفهم مفهوم التعاقب إلا في ضوء مفهوم التزامن، والتعاقب هو من التزامن أي زمن تخلخل البنية، زمن تهدم العنصر، وهو بذلك انفتاح البنية على الزمن.

هـ-مبدأ المعقولية: كل المبادئ السابقة تهدف إلى اكتشاف البنية، ذلك أن طبيعة البنية لا شعورية، أي ذات طبيعة عقلية ولا توجد علة السطح أو على ظاهر الأشياء، لذلك يرى ليفي ستراوس أن الخطوة الحاسمة في المنهج البنيوي هو :" أنه من أجل تعيين الواقع يجب حذف المعيش" فما يجب التخلي عنه هو المعيش، وما يجب الاحتفاظ به فهو الواقع، لأن في الواقع تكمن البنية لذا يجب الاعتماد على مبدأ المعقولية، من أجل اكتشاف عن هذه البنية. ويدعو ستراوس الاعتماد على منطق ذي طبيعة ثنائية ازدواجية، إن هذه الطبيعة الازدواجية تظهر في الواقع، على عدك مستويات، خاصة في أعمال ليفي ستراوس ومنها[3]:

[1] الزواوي بغورة، المنهج البنيوي، بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات، مرجع سابق، ص 74.

[2] يمني العيد، في معرفة النص ، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 3، 1985، ص 2.

[3] الزواوي بغورة، البنيوية منهج أم محتوه، مرجع سابق، ص 52.

أ-**المستوى الكمي:** جاف/ رطب.

ب-**المستوى الشكلي:** فارغ/ ممتلئ. داخلي/ خارجي.

ج-**المستوى المكاني:** فوق/ تحت. قريب/ بعيد.

د- **المستوى اللساني:** معنى/شكل. دال/مدلول.

3/- مواضيع الأنثروبولوجيا البنيوية عند ليفي ستراوس:

يتألف مصطلح الأنثروبولوجيا من فرعين هما: الإنثوغرافيا والإثنوغرافيا، فالأول يعني العمل على ملاحظة وتحليل الجماعات الإنسانية المختلفة بالنظر إلى خصوصياتها، أم الأثنوغرافيا فيتم فيها تحليل نتائج الأبحاث الأنثوغرافيا التي أجريت من قبل. كما تعرف على أنها مشتقة من مصطلحين اليونانيين AHTROPS ومعناه أنسان وLOGIA ومعناه علوم أو دراسة، أي أن المعنى اللفظي للمصطلح هو علم الإنسانANTHROPOLOGIE [1].

تعتبر الأثروبولوجيا فرع من فروع العلوم الإنسانية التي تهتم بمعرفة الأنسان معرفة كلية وشمولية، وهي تهتم بمجموعة من القيم الإنسانية (القيم الجمالية، الدينية، الأخلاقية، الاقتصادية، الثقافية، الاجتماعية) وبكافة المكتسبات الثقافية الخاصة بالإنسان، وبذلك تون الأنثروبولوجيا وفق غورها العميق في متضمنات الإنسان أكثر التصاقا بحياة البشر جامعة بذلك بين اتجاهات ورؤى مختلفة تشكل حياة المجتمعات ويسعى الأنثروبولوجيا إلى كشف المتغيرات التي تحدث في هذه المجتمعات وتتبع التطورات التي تنتقل من خلالها من طور إلى آخر.

"يتناول هذا العلم أيضا العمليات التي أحدثت تحولا في تركيب السلالات أو العناصر، واللغات والحضارات، وأنواع الاتجاهات النفسية في مختلف الحضارات وتركيب الشخصية

[1] كميل الحاج، موسوعة في الفكر الفلسفي الاجتماعي، مرجع سابق، ص 66

التي تعبر عنها، وعلاقة الفرد بالمجتمع، وهذه في الواقع بعض المشكلات و الظواهر التي يدرسها الإنسان"[1].

كان من أهم الانجازات التي قدمتها البنيوية انها استطاعت ان تحطم الانغلاق الذي احاطت به نفسها، فلقد تجاوزت حدود اللسانيات وكذا حدود البنيوية إلى مجالات معرفية اخرى، ومن ضمن الحقول حقل الانثروبولوجيا الذي سرعان ما برز العالم "ليفي ستراوس ويؤسس لنفسه منهجا انثربولوجيا بنيويا.

حسب ستراوس لا يمكن للأنثروبولوجيا إلا أن تكون بنيوية، يقول في ذلك:" خصوصا إذا أرادت لنفسها ألا تبقى أسيرة للمعرفة التجريبية، وإذا حرصت في الوقت نفسه على الاستعاضة عن نمط السببي"، القائم على مفهوم التعاقب، بنمط التفسير لبنيوي، القائم علة مفهوم النسق والتزامن"[2]. وعليه فإن المقصود من الأنثروبولوجيا البنيوية، هي الأنثروبولوجيا التي لا تهتم بالمعيش والعيني والتجريبي. كما تفعل الأنثروبولوجيا الوظيفية أو الوصفية أو التطورية، وإنما هي تلك الأنثروبولوجيا التي تبحث في البنى الكامنة وراء الظواهر، تلك البنى ذات الطبيعة والنسقية.

إن الأنثروبولوجيا البنيوية في نظر ستراوس ما هي إلا أحد العلوم التي تساهم في إنشاء علن للعلامة، لأن موضوعها هو " دراسة الطبيعة الرمزية للموضوعات"، وكما بين دولوز في تعريفة للبنيوية ، أنها نظام ثالث، هو النظام الرمزي ، وليس نظام الواقع أو الخيال، فإن ستراوس يقول:" لا بد لنا من أن نضع في اعتبارنا، سواء كنا بصدد دراسة لغوية أم بصدد دراسة اجتماعية، أننا في أعمق أعماق الرمزية"[3].

[1] النوري قيس، ما الأنثروبولوجيا، سلسلة الموسوعة الصغيرة، دائرة الشؤون الثقافية العامة،1986، ص ص 7-12.

[2] نقلا عن، الزواوي بغورة، البنيوية منهج أم محتوه، مرجع سابق، ص58.

[3] المرجع نفسه، ص 59.

منه، إن دور الأنثروبولوجيا البنيوية هو في جعل الحياة الاجتماعية باعتبارها حياة رموز، ممكنة وضرورية، هنا تكمن أهمية الأنثروبولوجيا البنيوية في كشفها عن البنيات الرمزية اللاشعورية للحياة الاجتماعية، والتي تتألف من بنى وأنساق، كأنساق القرابة والاقتصاد والأساطير...إلخ. وعليه فإن القول بالأنثروبولوجيا إنها بنيوية تحصيل حاصل ما دامت كل أنثروبولوجيا هي دراسة للبنى والأنساق الرمزية اللاشعورية للحياة الاجتماعية.

هنا سنتطرق إلى أهم المواضيع التي تناولها ستراوس في الأنثروبولوجيا البنيوية فهي كالتالي:

1-تحليل الاسطورة:

لقد حاول ليفي ستراوس أن يجسد الآليات التي جاءت بها البنيوية، ضمن إطار الاسطورة، وهو لا يمثل اول عالم يعمد غلى الموروث، فلقد اتجه بروب قبله إلى الحكاية الشعبية، فالاسطورة تعتبر اقدم موروث يجسد الإنسان القديم(النيوليتي) كما يسميه. أخذ ستراوس لنفسه مبدأ أن "ما هو مشترك بين الثقافات لا يهتدي إليه بوضوح على مستوى الملاحظة، وإنما على مستوى البناء العقلي، فالبناء هو الذي يشمل العنصر الكلي الشامل في الثقافة البشرية، وهذا البناء خفي، لا يوجد على السطح الخارجي للظواهر ابدا، وإنما يكشف عقليا"[1]. فستراوس لم يكن همه وهو يحلل الاسطورة ان يكشف مدى ارتباط ها بالفكر البدائي أو بمرجعياتها الاجتماعية، وإنما كان همه ان يبين ذلك الترابط الخفي الذي تجسده الاسطورة، ولقد عمد في تحليله إلى جمع كم هاشل من الأساطير ليصل إلى بنائها.

ومن جهة أخرى، درس الاسطورة من ثلاث نواحي(من اليسار إلى اليمين، من الاعلى إلى الأسفل، من الأمام إلى الوراء) هذه التقنية الثلاثية الابعاد عن جز لنا تسميتها كان هو من السباقين إلى استعمالها على الاسطورة. بحطم كان متأثرا بما جاءت به البنيوية، فلقد

[1] حسين فهيم ، قصة الأنثروبولوجيا، فصول في تاريخ علم الإنسان، عالم المعرفة، 1986، ص 176.

قسم الاسطورة إلى وحدات صغرى سماها (المثيمات) فهذه الوحدات الصغرى في الاسطورة هي بمثابة الفونيمات التي تتكون منها الكلمات.

ولقد وضح في كتابه "الانثروبولوجيا البنيوية" الطريقة التي استخدمها لدراسة الاسطورة ، فيصرح قائلا: " استخدمنا حتى الآن التالية: تحلل كل اسطورة تحليلا مستقلا، مع محاولة التعبير عن تتابع الاحداث بأقصر الجمل الممكنة، ثم تدون كل جملة على بطاقة تحمل رقما يطابق مكانها في الحكاية ويلاحظ عندئذ كل بطاقة تتألف من تخصيص محمول لموضوع ،بعبارة أخرى كل وحدة مؤلفة كبيرة لها طبيعة علاقة"[1]، فهو يحاول حل الأسطورة معتمدا على العلاقات التي تجمعها، ومعنى هذا أن لهذه الاسطورة نظام شامل من العلاقات.

وضمن دراسته للأسطورة توصل هذا العالم إلى قناعة بان الفكر البدائي لا يختلف أبدا عن الفكر المتحضر، بل هما متشابهان، إذ أنه" يرفض رفضا قاطعا أن يلحق صفة البدائية بالشعوب التي اصطلح على نعيها بهذه الصفة، ذلك ان مثل هذه التسمية في رأيه خاطئة ومضللة وبعيدة كل البعد الضعوب القديمة"[2]، ولا أوضح منالاسطورة التي استطاعت أن تبقى مجسدة وحاضرة، رغم تعاقب العضور وهذا ما يثيت أن الفكر البدائي كان متحضرا.

1-ليفي ستروس ونظام القرابة:

من ضمن المجالات الأنثرويولوجية التي عالجها ليفي ستروس أيضا نظام القرابة، وهي عادة تتعلق بالروابط التي تدور في فلكها جميع الأسر والعائلات، فهناك أواصل الدم والمصاهرة وغيرها من العلاقات، ضمن هذا الإطار جعل ستروس يقترب أكثر من هذا الحقل، ووجد انه بال ريب يمكن أن يدرسه لغويا، إذ كان يدرس العالم الاجتماعي مسائل القرابة، ليجد نفسه في وضع صوري ضبيه بوضع العالم اللغوي الفونولوجي، ذلك ان حدود

[1] كلود ليفي ستراوس، الانثروبولوجيا البنائية، تر مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1977، ص 250.

[2] محمد مجدي الجزيري، البنيوية والعولمة في فكر كلود ليفي ستراوس، دار الحضارة للطباعة والنشر، ص 54.

القرابة شأنه شأن الوحدات الصوتية، هي عناصر ذات دلالة، وهي مثلها لا تكتسب هذه الدلالة ما لم تندمج في أنظمة، ثم إن انظمة القرابة مثل الانظمة الفونولوجيا، "يعدها العقل على مستوى الفكر غير واعي"[1]، إذ أن اواصل القرابة لا تبدو ظاهرة للعيان، وإنما هو بناء خفي ينصاغ له كل فرد، والافراد مثل الكلمات، ولا تكون الكلمات إلا متراصة مترابطة، كذلك القرابة بفعل الافراد، فنظام القرابة شبيه بنظام اللغة.

ومن خلال مزاولته للانثروبولوجيا لاحظ ستروس أن العلاقات بين الأقارب ترد أساسا إلى مسالة تحرين الزواج– لذا احتلت هذه المشكلة مكانا بارزا في نظرية ستروس كما لأنها تمثل الهدية في اجلى صورها من حيث أنه لا تنص على تحريم الزواج بالأم أو الاخت أو الابنة يقدر ما تنص على ضرورة إعطاء الأم أو الأخت أو الإبنة للأخرين، فالعلاقات الاسرية وإن بدت أول الأمر متشابهة إلا أنه يوجد اختلافا بينها.غذ يميز ستروس بين أبنية اولية للقرابة وهي العلاقات التي تربطها صلة الدم واخرى أبنية معقدة والتي لا تربطها صلة الدم.

فموضوع القرابة إتخذ مكانة بارزة في تاريخ الشعوب البدائية فإن اهتمامات ستروس حاول من خلا منهجه البنيوي أن يجد هذه البناءات و النماذج للكشف عن البناء الداخلي للقرابة ، وهذا من خلال دراسة العلاقات القائمية بين كل نظام في الأسرة، وبين البنية الأساسية التي إتخذت حدود الأربعة و التي تظم الأب، الأم، الخال، الابن أو البنت، يمكن أن توضح صورة نظام القرابة وإثراءه من خلال تجسيد منهج إكتشاف أربعة أنماط من العلاقات.

[1] كلود ليفي ستراوس، الانثروبولوجيا البنائية، مصدر سابق، ص53.

3-الطبيعة والثقافة:

تبدو ثقافة المجتمعات مختلفة عن بعضها البعض، ولكنها نشأت من جذع واحد مشترك، لذا يعرفها ستروس:" أن مفهوم الثقافة هو من أصل انجليزي هي ذلك الكل المركب الذي يشمل على المعرفة والاعتقاد والفن والأخلاق والقانون والعادات ومقدرات وعادات أخرى يتحلى بها الإنسان الفرد في المجتمع"[1].إن مفهومه لهما فكل واحد منهما يمكن أن يحل محل الآخر، فنظام الطبيعة بصفة كائن عضويا حيا وله خصائص بيولوجية كما ينتمي إلى نظام الثقافة باعتباره عضو في المجتمع، فكان من بين أهدافي إثبات أن الخط الفاصل بين الطبيعة والثقافة يتحدد باللغة المنطوقة، التي تمثل الجذع المشترك لجميع أشكال الثقافة بل هي كيان الثقافة بالذات[2] .

فالطبيعة عنده تتميز بالعمومية والتلقائية، بينما الثقافة فتصوره لها على أنها معبرة عن البنية وعن التنظيم، فكل ما هو عام وتلقائي ينسب ألى الطبيعة، أما الثقافة تنسب إلى الحقل الاجتماعي، ويصرح بأن الثقافة هي ضرب من الأسرار ويأتي اليوم الذي يمكن في الظواهر الاجتماعية السر الثقافي على المستوى البيولوجي كوظيفة من وظائف المسح، وهنا تظهر الثقافة كنتاج للطبيعة.إلا أن الثقافة هي العنصر الثابت في تكوين الإنسان ومنها يمتد الأنسان ثبات طبيعته.فالإنسان هو صانع الطبيعة عن طرق الثقافة فالإنسان هو إبن بيئته.

والعلاقة بين الطبيعة والثقافة يمكن صياغتها فيما يلي: ليس هناك بين الطبيعة والثقافة قطيعة جذرية وبإمكان تصور رد الثانية وهذا ما تطمح البنيوية إلى تحقيقه[3].

[1] كلود ليفي ستراوس، الانثروبولوجيا البنائية، مصدر سابق، ص409.

[2] عبد الرزاق الداوي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي هيدغر، ليفي ستراوس، ميشل فوكو، دار الطليعة، بيروت، دط، دت، ص ص 83-84.

[3] عبد الرزاق الداوي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي هيدغر، ليفي ستراوس، ميشل فوكو، مرجع سابق، ص87.

وفي الأخير، لقد أولة ليفي ستروس معنى جديد للثقافة والطبيعة من خلال تشبيهها بالجسر الذي تعبر منه الطبيعة إلى حالة الثقافة باعتبار أن الزواج قائم على روابط الدم الذي يمثل مرحلة الطبيعة، في حين أن الزواج قائم على دوافع اجتماعية فبالتالي يمثل المرحلة الثقافية.

المحاضرة الثالثة عشر: المعرفة العلمية عند ألفريد آير

تمهيد

تعتبر المدرسة الوضعية المنطقية أكثر المدارس الفلسفية حرصا على طبع الفلسفة بالطابع العلمي، فكانت المعرفة العلمية هي القضية المركزية للحوار الفلسفي عند فلاسفة هذه المدرسة أمثال شليك، ورايشنباخ وغيرهم، هو ما جعل الباحثين يصفون فلاسفة هذه المدرسة بأنهم رواد الفلسفة العلمية في القرن العشرين. في هذه الدراسة سنعرض لمشكلة المعرفة العلمية عند أشهر الفلاسفة الوضعيين على الإطلاق، وأكثرهم أثرا في فلسفة القرن العضرين وهو ألفريد آير.

لقد احتلت مشكلة المعرفة العلمية وتطورها المكانة الأولة في كل مؤلفات ألفريد آير، وكتاباته، وكانت تمثل حجر الزاوية في كل المناقشات والمحاورات التي دارت بين أير ومعاصريه، وهم أشهر فلاسفة العلم في القرن العشرين أمثال كارل بوبر، وتوماس كون، وإمرى لاكاتوس وغيرهم. إلا أن أير اختص داخل المدرسة الوضعية المنطقية بإتجاهه الخاص الذي كان يطلق عليه التحليل المنطقي.

1-التحليل المنطقي عند آير:

يعتبر موقف آير من قضية التحليل المنطقي المدخل الرئيسي لفهم نظريته في المعرفة العلمية، فقد حدد مهمة الفلسفة بأنها التحليل المنطقي للمدركات، وأن القضايا العلمية تهدف إلى التوضيح لا إلى إضافة معرفة جديدة، وترى أن للعلم أن يقر، وللفلسفة أن توضح ما

يقرره العلم عن طريق التحليل، ولما كان العلم يعبر عن نفسه في اللغة، وكانت اللغة هي الفكر كانت مهمة فلسفة العلم هي تحليل الكلام من حيث دلالته ومعناه، أي من حيث قوته الرامزة والوحدة التي يقع عليها التحليل هي الجملة أو القضية، ويهدف التحليل إلى تفكيك هذه الجملة إلى عناصرها المكونة، والجملة موضوع التحليل هي الجملة التي بلغت من البساطة حدا يستحيل معه انقساما إلى جملتين أو أكثر، ولا يصل التحليل إلى هذه البساطة إلا متى صارت الأسماء الواردة في الجملة أسماء أعلام أي أسماء لحالات جزئية أو لمجموعة من الأحداث يرتبط بعضها البعض.

إن الفلسفة عند آير هي قسم من أقسام المنطق وهي مستقلة بالتالي عن أي دعوة تجريبية أو ميتافيزيقية، وكثير من القضايا التي قد يبدو لما في الظاهر أنها قضايا واقعية لا تزيد في الواقع عن كونها قضايا لغوية، والتحليلي المنطقي عند آير له جانبان:

1-**الجانب السلبي:** ويتمثل في استبعاد الميتافيزيقا والأخلاق وعلم الجمال.

2-الجانب الإيجابي: ويتمثل في توضيح مفاهيم العلوم ومناهجها ولغة الحياة اليومية وحين يسأل أي" ماهي وظيفة الفلسفة، فإنه يبدأ برفضه القول أن الفيلسوف يجب أن يبنى نسقا استنباطيا".

وقد قسم* آير المعرفة العلمية التي يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب وهي نوعان لا ثالث لهما،:

الأول: القضايا التحليلية: وهي قضايا المنطق والرياضيات وهي قضايا مستقلة عن الخبرة الحسية، ولا يتقرر الهدف منها وفقا لعلاقتها بالواقع ولا حتى لعمومية قوانينها، وهذه القضايا عند آير بالمواضعة أي بما نصطلح عليه، فهي لا تتوقف على طبيعة العالم الخارجي.

* تجدر الإشارة إلى أن تقسيم أير للقضايا يرجع أصله إلى دفيد هيوم، وإن كان هيوم يقسمها إلى القضايا التي تختص بالعلاقات بين الأفكار، ويقصد بها القضايا التحليلية، والقضايا التي تختص بالوقائع ، ويقصد بها القضايا التجريبية.

الثاني: القضايا التجريبية والتركيبية: وعرفها آير بأنها فروض تنتظر التحقق وتتميز بأنها تصف جزءا من عالم الخبرة الراهنة أو الممكنة، أي أنها تكون صادقة، وصدق هذه القضايا لا يكون صدقا يقينيا، وإنما هو صدق احتمالين وكلما زاد تأييد عالم الوقائع لها كلما زاد احتمال صدقها. يعترض أير على هذه القضايا يرتكز على أنه لا يمكن لقضية أن تكون تركيبية وفي نفس الوقت تكون باتة تامة، فالفكرة نفسها مناقضة لذاتها، فالقضية تكون باتة فقط إذا كانت تسجيلا مباشرا لخيرة ما دون الإشارة لأي شيئ أبعد منها، وبما أن هذا مستحيل فإنه يتبع ذلم أنه لا توجد قضية تركيبية أصلية، وفي نفس الوقت تكون باتة، ولم يتوقف آير عند هذا الحد بل ذهب إلى أنه لا يمكن حتى التعبير عن قضية باتة[1]، وإن كان قد اعترف بعد ذلك بإمكان وجود بعض القضايا الأساسية التي تشير إلى محتوى خبرة مفردة وحدوث هذه الخبرة هو فقط الوسيلة الوحيدة للتحقق من صدقها نهائيا، أي يكون من المستحيل أن يخطئ قائلها بصددها.

2-نظرية المعرفة عند آير:

يعد منهج التحليل المنطقي لقضايا العلم هو المدخل الضروري واللازم الذي ارتكزت عليه نظرية آير في المعرفة، والتي احتلت مكان الصدارة في فلسفة آير العلمية، فهي القضية الرئيسية التي شغلت آير في معظم مؤلفاته، ويرجع هذا الاهتمام بالمعرفة عند آير إلى محاولته الجادة، والمتميزة لإيجاد معيار التمييز بين العلم واللاعلم أو بين المعرفة العلمية والمعرفة اللاعلمية.

إن وظيفة العلم كما حدده آير وسائر الوضعيين هي وصف الوقائع التجريبية، فالمعرفة العلمية ليست سوى أبسط ما يمكن من وصف للعلاقات بين العناصر، بأقل جهد عقلي فمهمة فيلسوف العلم هي تصنيف الوقائع والنظر في علاقاتها المتبادلة ، ووصف سياقاتها،

[1] دادلي شابير، المعنى والتغير العلمي، ترجمة السيد نفادي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص 58.

أي يطبق المنهج العلمي لهذا كان آير يردد في أكثر من موضع أنه من الخطأ أن نضع تمييزا حاسما بين الفلسفة والعلم، إن ما يجب أن نميز بينهما هي الأشكال المنطقية، والأشكال التأملية للعلم.

وهكذا يتبين لنا أن فلسفة العلوم عند أير ليست سوى شكل من أشكال المنطق قوامه منهج تحليلي نقدي ينصب على العلم منذ نشأته، ثم على مناهج البحث العلمي ونقد المعرفة العلمية يفضى بنا إلى نظرية مفسرة للمعرفة، فالعلم عند آير لا يستبعد الفلسفة بل يحتاج إليها، ولا يعني ذلك أن كلا منهما شيئ واحد، لأن العلم ليس هو الفلسفة، والفلسفة ليست علما، وإذا كان للفلاسفة نظرياتهم إلا أن هذه النظريات لا تمكنهم من خلق توقعات معينة يمكن إثباتها أو دحضها بطريقة تجريبية كما هو الحال بالنسبة للنظريات العلمية.

وإذا كان هناك علوم لا تستند إلى الخبرة الحسية كالرياضة البحتة، إلا أن هذه القضايا وإن كانت غير قابلة للتحقق التجريبي، وغير خاضعة للملاحظة التجريبية، فإن هناك مستويات من الإجراءات التي يمكننا عن طريقها الجزم بصدق أو طذب قضاياها[1].

إن فلسفة العلم عند آير ليست سوى منطق العلم، أي أنها تتعامل مع صورة العبارات العلمية أي مع منطقها الصورى أكثر من مضمونها، فهي تتعامل مع البنية المنطقية لها، ومع كل العبارات الممكنة، والني يطلق عليه اسم القوانين العلمية أكثر من تعاملها مع عبارات خصوصية، مع الهيكل المنطقي لأي نظرية علمية ممكنة أكثر من تعاملها مع نظريات علمية واقعية خصوصية، مع العلاقات المنطقية التي تنشأ بين عبارات البنية العلمية والاستنتاجات النظرية أكثر من تعاملها مع حجج علمية خصوصية.

[1] لدفيج فنجنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، ترجمة عزمي إسلام، مراجعة وتقديم زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968، ص 83.

وتبدو الأصالة والجدة عند آير في تأكيده على وحدة العلوم والفلسفة، فالفلسفة عنده لا تغامر بتقديم قضايا تختلف عن تلك التي تقدمها العلوم أو تخوض في ميادين أبعد من دائرة البحث العلمي، كما أنها لا تختبر صحة فروضنا العلمية أو لغتنا اليومية أو تؤكد على صدق قضية من القضايا فيقول آير:" إذا أراد الفيلسوف أن يثبت صدق ما يزعمه من أن شريك في زيادة المعرفة الإنسانية، فلا يجوز له أن يحاول وصف الحقائق عن طريق التأمل الخالص، أو أن يبحث عن المبادئ الأولى، أو أن يصدر أحكاما قبلية عن صحة ما نعتقد في صدقه على أساس التجربة، بل ينبغي أن يحصر مجهوده في التوضيح والتحليل[1].

إن أقصى ما تستطيع الفلسفة فعله عند آير هو أن توضح فقط المعيار الذي نستخدمه لتحديد صدق أو كذب مجموعة من القضايا، لهذا فقضايا الفلسفة قضايا لغوية، لأن الفلسفة ليست في مركز يسمح لها بتحديد قيمة أية نظرية علمية، وإنما هي تحلل قضاياها فقط. ويؤكد آير على أن فلاسفة العلم يحاولون إقامة نظرياتهم الفلسفية في ضوء النتائج العلمية أو الاكتشافات العلمية، أي أن النظريات الفلسفية لا بد أن تتصل بالنظريات العلمية، وهو ما يوافقه الفيلسوف الفرنسي غاستون باشلارد الذي يقول:" إن الفلسفة العلمية لا ترى ثمة مذهبا واقعيا مطلقا ولا مذهبا عقليا مطلقا وأنه ينبغي ألا ننطلق من موقف فلسفي عام حتى نحكم على الفكر العلمي الذي سيغدو عاجلا أو آجلا هو الموضوع الرئيسي في المناضرة الفلسفية"[2].

3-المعرفة العلمية وعلاقتها بالحس المشترك عند أير:

إن المعرفة العلمية هي صورة متطورة من المعرفة القائمة على الحس المشترك عند آير، ولذلك يقف موقفا وسطا بين الاتجاه القائل بأن المعرفة العلمية تقوم على الحس المشترك أي أنها تبحث في العلاقة بين عقولنا الذاتية وموضوعات المعرفة، أي أن

[1] بهاء درويش، ألفرد جولس آير، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1997، ص 103.

[2] محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، مرجع سابق، ص 12.

الخصائص القابلة للإدراك للشيئ المادي الفعلية للشيئ المادي، فلا يوجد ما يمنع من القول أن اللون خاصية فعلية للشيئ لمجرد اعتماده على إدراكي له، ويمثل هذا الاتجاه الفيلسوف الأمريكي نيجل الذي يقول:" العلوم هي الحس المشترك نفسه ولكن في صورة منظمة مصنفة"[1].

وهكذا تبدو الصلة وثيقة بين المعرفة العلمية المنظمة وبين الحس المشترك الذي يدرك العالم الخارجي عند أنصار هذا الاتجاه. أما الاتجاه الثاني وهو الاتجاه المعارض لاعتبار الحس المشترك أساس المعرفة العلمية ويمثله كلا من برتراند راسل وكارل بوبر.حيث يقرر راسل بوجود فجوة بين العالم كما يصفه العلم والعالم كما هو واقع في خبرة الحس المشترك فيقول:" نحن نعتقد أن الحشائش خضراء، وأن الحجارة صلبة، وأن الجليد ولكن تؤكد لنا الفيزياء أن خضرة الحشائش، وصلابة الحجارة، وبرودة الجليد هي الخضرة والصلابة والبرودة التي نعرفها في خبراتنا الخاصة ولكنها شيئ مختلف جدا، فعندما يبدو للملاحظة أنه يلاحظ حجارة ما فإن ما يلاحظه بالفعل، إذ صدقنا الفيزياء هو معلولات الحجار عليه"[2].

أما كارل بوبر فقد أنكر الفول بأن الحش المشترك هو أساس المعرفة العلمية لأن الاعتماد على الحس المشترك سيئدي بنا إلى تأثر بالذاتيات وبالأحكام المسبقة، لهذا كان بوبر يرى أن المنهج العلمي لابد أن يبدأ بمشكلة تنشأ عن حدوث أي خرق في التوقعات سواء أكان خرقا لتوقع موجود منذ الميلاد أو لتوقع تعلمه الكائن العضوي من خلال المحاولة الخطأ.

[1] برتراند راسل، ما وراء المعنى والحقيقة، ترجمة محمد قدري عمارة، المجلس الأعلى للثقافة، الإسكندرية ط1، 2005، ص15.

[2] ناصر هاشم محمد، المدخل إلى فلسفة العلوم، دار الجوهرة للنشر والتوزيع، ط1، 2015، ص108.

نعود إلى أنصار الحس المشترك إذ يرون أن الخصائص القابلة للإدراك للشيئ المادي وإن كانت تعتمد على إدراكنا لها فإنه لا يوجد ما يمنع أن تكون هي الخصائص الفعلية للشيئ المادي، ولحل هذه الإشكالية يضع آير التساؤل التالي:

" هل يمكن تصور موضوعات الإدراك مجردة عن كل خضائضها القابلة للإدراك ونترك لها فقط الخصائص التي يرجعها العلم للجسيمات المادية"[1].

ويرى أن هناك طريقتين للإجابة عن التساؤل السابق وكلاهما كما يقول آير يعود إلى جون لوك:

الأول: أن نجعل كل خصائص الأشياء القابلة للإدراك تعتمد على وصف الملاحظة وتعتبر الأشياء كما هي بالفعل تمثلها الموضوعات غير القابلة للإدراك بالضرورة للنظرية العلمية، ولكن يتعرض أير على ذلك، لأنه سيعنى وضع موضوعات غير قابلة لإدراك في المكان القابل للإدراك، وقد شك آير في وضوح فكرة النسق المكاني الذي لا يمكن ملاحظة أي من عناصره.

الثاني: وهو ما يوافق عليه آير ويقوم على أن تصور الجسيمات المادية على أنها ما يسميها لوك أدق أجزاء الموضزعات الدقيقة القابلة للإدراك.

إن المعطى الحسي عند آير هو ما يدرك ، وهو الموجود، ولكن لا يعني ذلك أن الخصائص التي تبدو أنها له، لهذا ينفي آير القول بإمكانية وجودهم وهم أو خداع في وجود المعطيات الحسية، فلا يمكن للمعطيات الحسية أن تكون لها خصائص لا تبدو لها، كما لا يمكن تبدو للمعطيات الحسية صفات ليست حقيقة لها[2] وفي نفس الوقت لا يستبعد إمكانية

[1] Ayer,The Central Question of philosophy, Pelican Bookls,1973,p 110.

[2] استخدام برنراند راسل لفظ المعطيات الحسية يشير به إلى موضوعات الإحساس المباشر في ت ميزها عن الأفعال الذهنية، وإن كان راسل قد فضل فيما بعد أن يستخدم مصطلح "مدركات" ليشير به إلى معطيات الحواس الخارجية.

الوهم والخداغ في لإدراك الموضوعات الفيزيقية، وإذا كان آير يؤكد على وجود المعطيات الحسية والأشياء المادية فليس بوصفها نوعين من الكيانات، إنما بمعنى أن العبارات التي تستخدم في وصف المعطيات الحسية والتي تستخ دم في وصف الأشياء المادية كلاهما تعبر عن قضايا صادقة، ولكن لا يجب أن نستدل من هذا أنه توجد معطيات حسية بالفعل بنفس المعنى، فالمعطيات الحسية لا تخرج عن كونها لغة يقدمها لوصف الوقائع المعروفة مسبقا، أو هي تفضيل منهج على آخر، والقول بها لا يعني اكتشاف لكيانات جديدة، أو سلفا لكيانات كنا نعرفها من قبل.

لقد عالج آير مشكلة المعطيات الحسية في كتابه" أسس المعرفة التجريبية" وأعتبر أن هذه المشكلة أقرب المشكلات إلى مبحث المعرفة عن أي مبحث آخر، ويرجع ذلك ألى تصور آير للعالم الخارجي " العالم المادي" على أنه بناء ابستمولوجي في أساسه، النقطة التي يبدأ فيها بناؤه هي المعطيات الحسية، فهي أساس العالم ولكنه أساس معرفي ليس إلا يصل منه أير إلى معرفة العالم الخارجي[1].

وبالتالي، فالادراك عند آير هو معرفة الشيئ على حقيقته معرفة صادقة فقد جعل المعطيات الحسية أساس الإدراك الحسي والمدركات الحسية أساس الوجود وكلاهما واحد، فهو لم يفرق بينهما، ومن هنا يمكن القول بأن أساس بناء العالم عند آير هو المعرفة أو هو أساس ابستمولوجي، هو المعطيات الحسية أو "المدركات الحسية" ولذلك توضع نظريته في المعطيات الحسية قبل بنائه للعالم الفيزيقي.

لقد أرادت هذه النظرية أن تشيد جسرا بين التجربة المباشرة والنظرية العلمية، ولكن وحدات العلوم ليست شيئا آخر سوى معطيات الحس، وهذا ما لا تحتمله نظرية الوضعيين

[1] Ayer, The Foundation of Empirical Knowledge, Macmillan press ,LTD,1979 pp 70-72.

وكأنهم يستندون إلى معطيات فعلية حين تشير إمكاني صحة المعطيات إلى إشارة محجوبة إلى ما ليس معطى من معطيات الحس الفعلية[1].

4-التمييز بين العلم و اللاعلم عند آير:

أعطى أير لمشكلة لإيجاد معيار حاسم يمكن من خلاله التمييز بين العلم واللاعلم أهمية قصوى، واعتبر أن حل هذه المشكلة هو المفتاح لحل كافة المشكلات الجوهرية في فلسفة العلم، وأن هذا الحل يجب أن لا يقتصر على الناحية النظرية فقط وإنما لا بد أن يزودنا هذا الحل بوسائل متعددة لتوجيه البحث العلمي كما أن لهذه المشكلة جانب عملي على درجة كبيرة من الأهمية.

وترجع الجذور الأولى للبحث في هذه المشكلة إلى محاولات فرنسيس بيكون ودفيد هيوم وجون استيوارت ملففي تحليلهم لعناصر المنهج العلمي فلم تكن هذه المحاولات سوى صورة من صور محاولة صياغة معيار للتمييز بين العلم واللاعلم، غير أن المحاولة الأولى الجادة الصريحة لصياغة معيار حاسم للتمييز هي المحاولة الأكثر شمولا ودقة وتفصيلا، ولم يكتف الفلاسفة الوضعيين بالتمييز بين العلم واللاعلم، وإنما بين المعنى واللامعنى أيضا[2].

وهم ما جسد مبدأهم الشهير المعروف باسم مبدأ التحقق الذي وضعة شليك*، ثم حاول آير من خلاله صياغة القواعد والشروط التي يجب توافرها في المعرفة العلمية والتي يمكن من خلالها تميزها عن أشكال البحث الأخرى كالفن، و الدين، والمعرفة العامية، وكل نشاط من

[1] عبد الفتاح الديدي، الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، الدار القومية، للطباعة والنشر، ص 286.

[2] مرجع نفسه، ص 286.

الأنشطة، أما ما هو غير العلم، فلا يتفق مع العلم في هدفه أو منهجه، كالفن، والدين، والفلسفة، والايديولوجية[1].

5- مبدأ التحقق عند آير:

لقد احتل مبدأ التحقيق مكانة بارزة ضمن العقائد الرئيسية للوضعية المنطقية، وكانت المشكلة الأساسية التي ضغلت بالوضعية المنطقية هي تقديم اجابة معقولة وتفصيلية عن السؤال. ولقد كان معيار التحقق يطبق على القضايا التركيبية بعيدا عن التحليلية، وذلك من أجل تحديد العلم والقضاء على الميتافيزيقا. حتى الحصول على علم حقيقي ذات معنى، وبذلك فإن المعارف الخالية من المعاني لا يمكن أن تكون معارف ذات قيمة أو حقائق ميتافيزيقية مرفوضة من قبل هذا المعيار.

وعلى هذا الأساس تمسك آير بالتأييد كمعيار للمعنى على أساس مبدأ الوضعية في المطابقة بين العلم و المعنى و اللعلم واللامعنى.ولكي تكون العبارة معنة لابد ان تتصل بفئة من عبارات الملاحظة تعطي فقط درجة من التأييد البرهاني للعبارة الأصلية وهذا ليس تحقيقا قاطعا لأية عبارة لها معنى معرفي ولتكن العبارة (س) لها فئة من عبارات الملاحظة أساسية وهي:

(م1.م2 ⟵ م ن) وبالتالي تكون (س) مؤيدة لها أكبر درجة احتمالية ل (س)[2].

نلاحظ أن آير قد مسك بالتأييد كمعيار للتمييز بين المعنى واللامعنى والعلم و اللاعلم، ولكي تكون للعبارة معنى عليها الاتصال بالعبارات الملاحظة التي تعطي فقط درجة من التأييد للبرهان، وقد ارتبط هذا المبدأ بموقفه من نظرية المعنى التي تبحث في معيار الحكم

[1] صلاح قنصوة، فلسفة العلم، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1981، ص 47.

[2] يمنى ظريف الخولي، فلسفة كارل بوبر،منهج العلم منطق العلم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، 1989، ص 241.

على صدق قضية ما لتميزها عن القضية الكاذبة، وهي إحدى النظريات المتضمنة في الابستمولوجيا أو للتمييز بين القضايا التي لها معنى ودلالة من القضايا التحليلية والقضايا التجريبية، ويرى أن هذين النوعين هما القضايا ذات المعنى وأي قضية لا تندرج تحت هذين الصنفين .

يعتبر آير المكان التحقق وموقعه من نظرية المعنى التي تبحث في معيار الحكم على صدق القضية لتمييزها من القضية الكاذبة، وهي احدى النظريات المتضمنة في الابستمولوجيا، يرى آير أن هذا المبدأ هو معيار التمييز بين القضايا تالتي لها معنى ودلالة والقضايا الفارغة من المعنى، ويضف القضايا إلى قبلية و تجريبية و هما كل القضايا ذات مهنى وأي قضية خارجه عنهما فهي ميتافيزيقية، ومبدأ آير هو شرحة للمبدأين بالتمييز بين التحقيق القوي والتحقيق الضعيف. فالقوي هو صدق قضيته اثباتا حاسما، وبينتما احتمالي فهي ضعيفة. ينتقل للإشارة إلى القضايا التي يمكن تحقيقها بالمعنى القوي نوعان: القضايا القبلية و القضايا الأولية"[1]

فمبدأ القابلية للتحقق يربط بين فلسفة العلوم ومشكلات المعرفة فنظرية المعنى من حيث قابلية التحقيق جزء لا يتجزأ من الفلسفة العلمية وهو ما سبق إليه شليك فالقضية التي لا يمكن تحديد صحتها من ملاحظات ممكنة هي قضية لا معنى لها، أي أن القضية العلمية لا يمكن تقرير صدقها أو كذبها إلا بعد إحالتها للخبرة المباشرة هذا هو مبدأ التحقق الذي صاغه موريس شليك إلا أن آير قام بتعديل وتصويب مبدا التحقق لشليك وأنصاره فصار عنده مبدأ لإمكانية للتحقق وعرفة قائلا: " القضية ممكنة التحقق تحققا مبائرا هي تلك التي تعبر عن ملاحظة مباشرة، أو التي إذا أضيف غليها قضايا تعبر عن ملاحظة مباشرة نؤدي

[1] يمنى ظريف الخولي، فلسفة كارل بوبر،. منهج العلم منطق العلم، مرجع سابق، ص 255.

هي الأخرى إلى ملاحظة مباشرة والقضية الممكنة تحققا غي مباشر إذا كانت لاإضافة إلى عدة مقدمات نحليلية قبلية أن تتحقق تحققا مباشرا"[1].

6-المعرفة العلمية وعلاقتها بالاستقراء عند أير:

انطلق آير في تصوره للاستقراء من رأى هيوم الذي يقوم على استبعاد الضرورة كعلاقة كان يتصور القدماء انها ارتباط بالأشياء، ثم انتقل آير إلى عرض رأيه الخاص، فهو لم يتوقف عند المعنى التقليدي للاستقراء فحسب، بل عرض أيضا للمنهج العلمي المعاصر وتصوره للقانون والاحتمال والنظرية العلمية، وولم يختلف آير في فهمه للاستقراء عن معاصريه بل كان أكثر حماسا للمنهج التجريبي الاستقرائي لأنه مقياس أو معيار قياس المعرفة العلمية عن غيرها، فالاستقراء عند آير هم خطة أو منهج للبحث يمكن من خلاله " الحكم على عقلانية أو لاعقلانية أي حجة"[2]، وهذا المنهج لا بد ان ينتهي إلى الاحتمال لأن صدق الضروري أو اليقيني لا وجوى له في العلم المعاضر، ويقرر أير أن الاحتمال لا يكون في وقوع الحوادث، وإنما في العلاقة بين القضايا.

فالقضية المحتمل بالفعل هي لن القضية محتملة بالقياس إلى شواهد وبيانات معينة، ويختلق احتمالها باختلاف الشواهد والبيانات التي هي مصدر إشارتها، عندما نحكم على القضية مثلا أنها محتملة، فإن هذا يعني أنها محتملوة بالقياس إلى قضية أخرى، ولتكن مثلا، أو القياس إلى مجموعة من القضايا و. ج . ب".

إن الاحتمال عند آير ليس مجرد متصور منطقي أو تصور أولى لا يقبل التحليل كما يقول " كينز" وعندما نصف قضية ما أو حادثة ما بانها محتملة، فلا يعني ذلك أن نحدد لها قيمة صدق بين الصدق والكذب، وغنما تكون الحادثة محتملة بالنسبة لحوادث أخرى وعلى

[1] ماهر عبد القادر، فلسفة العلوم، مشكلات معرفية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص ص 28-29.
[2] ناصر هاشم محمد، المدخل إلى فلسفة العلوم، مرجع سابق، ص353.

ذلك تصبح كل الأحكام الاحتمالية التي نطلقها مجرد قضايا تحليلية " لأن تحديد ما إذا كانت قضية تحدد احتمال قضية مجرد إخرى أو إلى أي مدى تحددا احتمالهما سوف يعتمد بصورة اولية على طبيعة القضايا موضوع الحكم أي على معنى العبارات التي تعبر عنها"[1]. وقد رفض آير القول بان قضيايا الاحتمال قضايا ضرورية او حقائق صادقة لأن تفضيل قضية على أخرى عند فلاسفة منشاة إلى امتلاك القضية عددا أكبر من الشواهد و البيانات، يرفض آير هذا القول ويرى أن قضايا الاحتمال

صحيحة بالتساوي أي صادقة بالضرورة.

7-موقف آير من مشكلة الاستقراء:

يؤكد آير أن ما يبرر قبولنا لقضية ما تصف حادثة معينة هو ارتباطها بقضية أو قضايا أخرى نعتقد أنها مرتبطة جميعا إما بواسطة تعميم كلي أو تعميم قوى للميل، وهنا القضية تدخل في إيطار تبرير عملية التعميم في نطاق اشكالية الاستقراء.ولكن م الذي يبرر قبولنا لهذخه القضية الأخرى، ما يبرر قبولنا لقضايا أخرى مقنعة، وهكذا أما تبرير التعميم فيتم بتوضيح أنه مشتق من تعميم أشمل أو نظرية أخرى مقبولة.و يتساءل من جهة أخرى: هل يكفي للقضايا التي تبرر اعتقاد ما أن تكون صادقة واقعيا أم أنه من الضروري أن يكون لدينا مبررا للاعتقاد انها صادقة؟

إذن هل يكفي الصدق الواقعي لقضية ما لتبرير اعتقاد انها صادقة، عند آير يكفي أن تكون بالفعل صادقة واقعة دون أن نضطر إلى تقديم مبرر جديد للاعتقاد انها صادقة، ولذلك لكي يكون لدينا معيار لتحديد متى يتم تبرير اعتقاداتنت ذلك أننا إذا اردنا أن يكون لدينا مبرر قوي لقبول أية قضية تستخدم في تبرير أخرى فإننا سنخاطر في الخوض في تراجع لا نهائي إذن يجب أن تكون هناك نقطة بداية، ونقطة بدايتها أن نجعل الحكم

[1] ناصر هاشم محمد، المدخل إلى فلسفة العلوم، مرجع سابق، ص 353.

الإدراكي يبرره مباشرة فعل الغدراك ذاته، وأن ما يبرر قبوله تعميم ما على الأقل مؤقتا أن تكون هناك بينات وشواهد قوية مؤيدة له ذلك أننا لن نصل أبدا إلى درجة اليقين التي طلبها هيوم[1].

ويدافع آير عن منهج الاستقراء خاصة هجوم كالرل بوبر على الاستقراء وإعادة بأنه مسؤول عن تأخر أو تخلف بعض العلوم ومحاولته استبعاده كمنهج أصيل مبالغ فيه، وذهب آير إلى أن هجوم بوبر على الاستقراء إنما انطلق من فهم خاطئ لطبيعة المنهج الاستقرائي

وينتهي آير إلة أن مشكلة الاستقراء لا تحل بالإدعاء بأن البراهين الاستقرائية لا تحدث كما فعل بوبرو أن ما يحدث فقط هو صياغة فروض تللك التي تحاول أن تكذبها حتى وإن كان هذا ما يحدث في العلوم. كما انتهى آير إلى أن هذه المشكلة لا يمنكن حلها من خلال المنطق، فالبرهان الصوري لا يمكن تطبيقه لبرهنة مبدا اطراد الطبيعة، كما ان أي برهان بخر يتضمن مصادرة على المطلوب ودورا منطقيا"[2].

إذن حل مشكلة الاستقراء بواسطة إقامة منطق الاحتمال وما تسمح به نظرة الاحتمال هو تأكيد الاحتمال لنتيجة استقرائية اي للفروض الذي اشتق من مقدمات استقرائية، والاحتمال هو الدرجة التي نبرر منها الفرض نسبة إلى معرفتنا اليقينية بالدليل الاستقرائي.

[1] ناصر هاشم محمد، المدخل إلى فلسفة العلوم، مرجع سابق، ص358.

[2] المرجع نفسه، ص 353.

المحاضرة الرابعة عشر: الابستمولوجيا الموجبة عند ميشال سير

تمهيد

إن الطفرة النوعية التي عرفها العالم في حقل المعلومات والتكنولوجية مكنت من الخطاب الابستمولوجي أن يعرف تحولا كبيرا، وتغيير الخطاب التقليدي الابستمولوجي وذلك بالانتقال من البحث في نظرية المعرفة وما يرافقها من مفاهيم كلاسيكية، ومن ثنائيات تقليدية في إطار تبني خطاب تجريدي، إلى رسم حدو جديدة للابستمولوجيا المعاصرة ارتسمت معالمها عند فلاسفة العلم المعاصرين من أمثال ميشال سير. ما الابستمولوجيا في نظر ميشال سير؟ وما مهامها وما وظيفتها؟ ما خصائصها التجديدية؟

1-الابستمولوجيا الموجبة عند سير:

لتحديد الابستمولوجيا السيرية سيتم من خلال تتبع مراحل تجديده للابستمولوجيا التقليدية، وجعلها متوافقة ومتجانسة مع العلوم المعاصرة وبخاصة مع الرياضيات المعاصرة. يتخذ كعادته نموذجا للتحليل سيكون هو الرياضيات. وهكذا يتساءل عن إمكان امتداد الابستمولوجيا الكلاسيكية إلى الرياضيات المعاصرة باعتبار أن الرياضيات تتقدم وتتطور على الرغم من توقفاتها، على حين أن الفلاسفة لا يزالون يعانون التفاوت.

يعترف سير بكلاسيكية وعقم الابستمولوجيا في عصره، وإن الحديث عن الامتداد يعني الاحتفاظ بالمهمة مع تعيين موضوع جديد. إذن الغاية من تجديد الابستمولوجيا هو جعلها مطابقة لموضوعها الذي أصبح جديدا. لكن تحتفظ بمهمتها القديمة كخطاب حول العلم. وكبحث عن الحقيقة وكتجديد للذات العارفة. إن فعل الامتداد هذا الذي يقترحه سير بين الرياضيات الكلاسيكية وإبستمولوجيا التقليدية يخلق أربعة مصطلحات تحملها في نقطتين:

1-الرياضيات الكلاسيكية وإبستمولوجيا التقليدية التي هي محدودة ومعرفة.

2- الرياضيات المعاصرة وإبستمولوجيتها المكنة، التي يجب تحديدها وتعريفها انطلاقا من الامتداد بمشكلات الابستمولوجيا الكلاسيكية إلى العلم المعاصر.

إذن، فالرياضيات تتسم بالانقلابات، وإعادة بناء الأنساق ووجود قطائع بين لحظات تطورها التاريخي، كما أنها تسير نحو أصلها ونبعها انطلاق من عملية التطهير والتعميم، وليس هناط تطور فعلي، واكتشاف حقيقي غير أن هذه المشاجرات المتواصلة بين قدماء ومعاصرين، والتي تنفي بعمق اتصالية التراكمات الصغيرة لمتواليات جزئية من النمتائج المستنبطة، هكذا فإننا نقلب النظام ونعيد رسم وجه ما، إننا نتكلم لغة جديدة، ففيما يتعلق بنا يستحسن أن نضع" قاموسا" مقارنا يميز بين اللهجة الكلاسيكية واللغة المعاصرة"[1].

لذا يقترح سير قاموسا مقارنا يميز بين العلم الكلاسيكي ومصطلحاته والعلم المعاصر، بحيث أن المفاهيم العلمية تتغير من حيث المضمون، كما أن سير يستعمل لفظين مختلفين لهجة ثم لغة: لهجة العلم الكلاسيكي ولغة العلم المعاصر مما يؤكد حسبه أن العلم يتطور ويتقدم إلى الأحسن، أي تزداد دقة وضبطا، وأكثر يقينا فهناك إسراع في حركة المد والتعميم، كان وجود هذا القاموس ضروريا، ذلك أن الاكتشاف الحقيقي ينصب على مجموع النسق: إنه إعادة بناء. ومن ثم فإن تطور الرياضيات هو تتالي هذه الإصلاحات. فإذا كان تعميم العدد يصلح مبدأ لبناء الرياضيات الكلاسيكية فإن مقارنة هذه الأخيرة بالرياضيات المعاصرة يؤدي بنا إلى ملاحظة مجموعة من التحولات فيما يتعلق بالمشكلات و النظريات والنسق.

إن الرياضيات الكلاسيكية في نظر سير تسعة نحو تعميمات طويلة امتدادية، في حين أن الرياضيات المعاصرة تسعى نحو تعميمات عرضانية وارتدادية مع اقصائها لتحديدات الموضوعية ولمجالات لم تعد مجددة بعناصرها الموضوعية.

هكذا، فالرياضيات المعاصرة تسعى بجدية إلى أن تجعل نفسها موضوعا لعلمه، وبخاصة موضوع لخطابها الخاص، فإذا كانت الابستمولوجيا التقليدية تتحدد كخطاب حول العلم، فإنه سرعان ما تصبح الرياضيات المعاصرة وبالبداهة محددة كإبستمولوجيا لخطواتها الخاصة، مع الإشارة إلى أن خطابها يتم بصرامة. لقد أصبحت الرياضيات المعاصرة هي

[1] تيبس، تاريخ وفلسفة العلوم عند ميشال سير، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ، الكويت العدد4، المجلد 30، ،2002، ص 216.

الشيء وموضوع الفكر، ومن ثم تظهر ازدواجية انعكاسية، إذ تصف نفسها وتقعد نفسها وتتكامل. فالرياضيات تحاول أن تكشف أكثر ما يمكن من وجهات النظر الممكنة التي تمكنها من التكلم عن نفسها، ومن ثم تتكون ابستمولوجيا موجبة من سماتها الأساسية الصرامة والتعميم[1].

2-موضوع الابستمولوجيا الموجبة عند سير:

إذا كان مجال الإبستمولوجيا الموجبة هو العلم أو الجهوية العلمية، فإن الموضوع الذي يقترحة سير للإبستمولوجيا الموجبة هو مجهول العلم، ذلك لأن إنسيكلوبيديا المعرفة تحتوي في جميع نقاطها على لا شعور ما، أو مجهول ما تغطيه المعرفة ، يقول سير " إنني أتبنى كأطروحة أن موضوع الابستمولوجيا هو مجهول العلم ربما أكثر من العلم نفسه إذا كانت على الأقل ترفض أن تبقى نسخة خالصة للابستمولوجيا الجهوية، التي – كما سنرى – يمارسها كل علم منذ الآن على نفسه"[2].

إن موسوعة المعرفة كما يتصورها سير تتضمن في جميع نقاطها على مجهول ما تغطيه المعرفة، فهو لا معرفة داخل المعرفة، وبذلك نقول أن موضوع الابستمولوجيا البحث في مجهول العلم باعتباره علما داخل الانسيكلوبيديا. وتفرض هذه الأخيرة – الانسيكلوبيديا – على الابستمولوجي أن يجول ويتحرك وسط المعارف، وتجعله في وضع لا متمركز وغير ثابت، هنا – هناك وفي كل مكان وهو وضع تفرضها طبيعة العلوم المعاصرة، وانعكاس كل علم على نفسه وانفتاحه على العلوم الأخرى عبر عمليات النقل والتحويل والتفاعل. ويبدو أن الرؤية السيرية تريد تأسيس حقيقة علمية ضمن نطاق الموسوعية التي تتجاوز النظرة التخصصية المفرطة عبر فعل التواصل بين المعارف. مما يحدد مهمة الابستمولوجية في وصف عمليات النقل أو انتقالات المفاهيم، في حين أن العلم يسعى إلى توحيد نوعين من الحقيقة:

[1] تيبس، تاريخ وفلسفة العلوم عند ميشال سير، مرجع سابق، ص 205.

[2] Serres michel, éclaircissement, cinq entretie,s avec Bruno Latern ,édition Francois bourin, Paris,1992,p23

1-الحقيقة الجهوية التي تتوقف على المرجعية الجهوية وعلى النسق الذي يدخل فيها.

2-الحقيقة الشاملة التي تستقل عن كل مرجعية خارج الإنسيكلوبيديا، يقول سير:" هناك بالطبع ابستمولوجيا جهوية، ولكن الابستمولوجيا النسبية وحدها تخلص إلى إطلاقيه الحقيقة العلمية بشكل عام، حقيقة مرجعية ذاتيا داخل الإنسيكلوبيديا حقيقة ما بين-مرجعية في كل موضع "[1].

نستخلص أن الابستمولوجيا باعتبارها وصفا، قاعدة وأساسا لم يعد لها مجال في العلم المعاصر، إن ما بقي هو تداخل الجهويات والتأمل حول التفاعل، بمعنى أن الابستمولوجيا أصبحت داخلية، تتمكن من قياس الجهويات ومن وضع الحدود ووصف عمليات النقل والتفاعلات الجهوية داخل الإنسيكلوبيديا. أما الإبستمولوجي فيرفض الثباتية والمرجعية، حتى بالنسبة إلى وضعه ووجهة نظره، إنه يتحرك على طول الموسوعة المعرفية. إن الإبستمولوجيا من هذا المنظور تتصف بسمات العلم من صرامة ودقة ولا مرجعية وتعميم، ومن ثم فهي داخلية وموجبة.

3-خصائصها:

إن الرياضيات المعاصرة أفرزت خطابا حول نفسها، تكون فيه موضوعا لخطا كابستمولوجيا موجبة تتفرد بخصائص أهمها:

-**أولا: هي ابستمولوجيا داخلية**، متولدة عن طبيعة الموضوع الذي تتحدث عنه، فهي تنبجس من داخل العلم ذاته، لا من خارجه، لغتها تستعمل لغة نفسها، برموزها ومفاهمها، أو لنقل إنها علم العلم "فإن علم العلم يعني نسخا لهذا على نفسه، لأنه شبه انعكاسي، وليس افتراق خطاب عن موضوعه إنها اعلاء داخلي وانعكاسية جهوية"[2]

[1] Serres Michel, éclaircissement, cinq entretiens avec Bruno Latern ,édition François bourrin, Paris,1992,p.157

[2] Serres Michel, éclaircissement, cinq entretiens avec Bruno Latern.op.cit, p4.

فالرياضي دون سواه ينعكس بخطابه على علمه واصفا، ناقدا، ومؤسسا، لمناهجه ومواضيعه وشروطهما .فهو الذي يتحكم في خطابه ويعمل على تقدمه وترقيته .ويعبر ميشيل سير عن تلك الخاصية بالتشكل التقدمي للابستمولوجيا داخل العلم.

-**ثانيا: صارمة،** فهي تستمد دقتها وصرامتها من الرياضيات ذاتها "أن هذا المسخ أو الانعكاس للرياضيات على نفسها يسمح بإكثار مستويات التجريد والسذاجة وتحليلها وجعل مفاهيمها نسبية، وإن كانت تبدو ثابتة"[1] إنها تتحدث عن نفسها بصرامة متناهية، لذلك تتجه نحو الرياضيات المعاصرة، نحو درجة أعلى من التجريد والتعميم. بمعنى أن هذه الابستمولوجيا تمتد لتشمل الموضوع والمنهج معا. أي في بحث في منهج العلم، وفرضياته ومفاهيمه، موضوعه وحدوده.

-**ثالثا: معممة:** أي تنصب على الموضوع والمنهج، فيصبح مجموع موضوعها ميثودولوجيا معمما

يتبين لنا أن ابستمولوجيا الرياضيات هي رياضيات الرياضيات، حيث ينعكس العلم على نفسه " إن المهمة الوصفية التقليدية للابستمولوجية الكلاسيكية قد امتصها هذا الوصف الصارم"[2] فبعد أن تعمم الابستمولوجيا في الرياضيات تسند إليها جميع مهام الابستمولوجيا التقليدية. إن الرياضيات المعاصرة تنغلق على نفسها، وتتبنى خطابا من جنس خطابها فتصبح عندئذ ممثلة لابستمولوجيا داخلية. ولأنها تساعد على انفتاح العلم بإعادة وحل مشكلاته وتجاوز أزماته يصفها سير بأنها ابستمولودجية موجبة، والتحليل السيري في تناوله للرياضيات فإنه يشمل جميع العلوم.

4-مهام الابستمولوجيا الموجبة:

إن ما بقي للابستمولوجيا المعاصرة من مهام هو البحث في الجهويات العلمية، في تداخلها وتأمل تفاعلها، حيث تتمكن من قياس هذه الجهويات ووضع الحدود، ووصف

[1] تيبس، تاريخ وفلسفة العلوم عند ميشال سير، مرجع سابق، ص 209.

[2] Serres Michel, éclaircissement, cinq entretiens avec Bruno Latern ; op.cit, p 25.

عمليات التبادل داخل الموسوعة علما أن الابستمولوجيا هنا تتصف بخصائص العلم من دقة وصرامة وتعميم . وفي هذا كله، الابستمولوجي تائه بلا وضع، يرفض الثبات والمرجعية.

إذا كانت هذه مهام الابستمولوجيا الموجبة أو العلمية كما نظّر لها سير، فما هو وضع فلسفة العلوم؟ إن فلسفة العلوم تتحول إلى إبستمولوجيا عامة "إن عليها أن تكون hبستمولوجيا عامة للابستمولوجيات الموجبة الجهوية، هذه هي مهمة الفلسفة المعاصرة للعلوم " فلسفة العلوم إذن تمثل دور إبستمولوجيا عامة وشاملة، وظيفتها أنها تؤلف بين نتائج الابستمولوجيات الموجبة وتراقب انتقال المشكلات من علم لآخر بحسب ما تقدمه لها الابستمولوجيات الموجبة، فإذا كانت الابستمولوجيا الموجبة خطابا دقيقا وصارما حول العلم فإن فلسفة العلوم هي خطاب حول خطاب الابستمولوجيا وليس من وظيفة فلسفة العلوم أن تتحدث عن العلم مباشرة من داخله أو في كليته. وبهذا المعنى تصبح فلسفة العلوم بمثابة ابستمولوجيا خارجية، تتحدث عن العلم من خارجه، يتوسط بينها وبين العلم خطاب ابستمولوجي داخلي علمي وصارم.

نصل مع ميشال سير إلى نتيجة مفادها أن الابستمولوجيا تحولت من خطاب خارجي حول العلم إلى خطاب يتم داخل العلم، فالعلماء أنفسهم هم أقدر على معالجة القضايا النظرية والمنهجية المتعلقة بتخصصاتهم. خاصة مع التطورات العلمية وما نتج عنها من دقة وتعقد الأبحاث العلمية التي بدأت تتفلت من قبضة الفيلسوف شيئا فشيئا فأمام التطورات العلمية التي عرفتها العلوم المختلفة منذ نهاية القرن الماضي، وخلال القرن العشرين ذاته، أصبح العلماء أنفسهم هم الذين يقومون بتحليل ما يطرح عليهم من مشكلات في سيرورة عملهم وتتحول فلسفة العلوم إلى ابستمولوجيا عامة راصدة لمجمل التواصلات والانتقالات الممكنة بين مشكلات الابستمولوجيات الخاصة أو الموجبة.

فهرس المصادر والمراجع

1/- قائمة المراجع والمصادر:

أ- باللغة العربية:

[1]- محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط5، 2005.

[2]- ليفي برول، فلسفة أوغست كونت، ترجمة محمد قاسم والد بلوى، مكتبة الأنجلو المصرية، الاسكندرية، (د.ت).

[3]- محمد محمود الكبيسي، فلسفة العلم ومنطق البحث العلمي، بيت الحكمة، بغداد، العراق، 2009.

[4]-حسين علي، مقدمة لكتاب دونالد جيليز، فلسفة العلم في القرن العشرين، ترجمة حسين علي، دار التنوير ، لبنان،ط1، 2009..

[5]- محمد وقيدي، ماهي الابستمولوجيا؟ مكتبة المعارف للنشر التوزيع، الرباط، ط2.

[6]- محمد محمد قاسم، كارل بوبر نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995.

[7]- بناصر البعزاتي، الاستدلال والبناء، دار الأمان، ط1، الرباط، 1999.

[8]- حنان علي عواضة، النزعة العلمية في فلسفة كارل بوبر(بين التجربة والميتافيزيقا)، ط1، دار الهادي، بيروت، لبنان، 2002.

[9]- عادل مصطفى، كارل بوبر مائة عام من التنوير ونضرة العقل، دار النهضة العربية، 2002.

[10]- سهام النويهى، تطور المعرفة العلمية ـ مقال في فلسفة العلم ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1988 .

[11] - بوبر كارل، أسطورة الإطار، في دفاع عن العلم والعقلانية ، ترجمة ، يمنى طريف الخولي، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 2003 ،

[12] - كارل بوبر، بحثا عن عالم أفضل، تر أحمد مستجير، الهيئة المصرية للكتاب، مصر،1999،

[13] - ألان شالمرز، " نظريات العلم"، تر الحسين سحبان وفؤاد الصفا، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1994.

[14]- بوبر كارل، " الحياة بأسرها حلول لمشاكل ، تر بهاء درويش، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1994.

[15] - محمد قاسم محمد، كارل بوبر:،نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1986

[16] - كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، ماهر عبد القادر محمد علي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

[17] - غاستون باشلار، فلسفة الرفض، مبحث فلسفي في العقل العلمي الجديد، تر: خليل أحمد خليل، دار الحداثة، ط1 بيروت، 1985.

[18] - محمد هشام، تكوين مفهوم الممارسة الابستمولوجية عند باشلار، إفريقيا الشرق، دون طبعة، المغرب،2006.

[19]- غاستون باشلار، تكوين الفكر العلمي، تر: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر، ط2، بيروت، 1982.

[20]- عثمان أمين، ديكارت، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط2، 1969.

[21]- عثمان أمين ، يكارت ، سلسلة أعلام الفلسفة ، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة ، الطبعة الخامسة ،1965.

[22]- علي حسين كركي، الإبستمولوجيا في ميدان المعرفة، شبكة المعارف، ط1، بيروت 2010.

[23]- شعبان حسن السيد، برنشفيك وباشلار بين الفلسفة والعلم، دراسة نقدية مقارنة دار التنوير للطباعة والنشر. ط1 بيروت- لبنان،1993.

[24]- وقيدي محمد، فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ط2، الرباط، .1984

[25]- غاستون باشلار، الفكر العلمي الجديد، تر: عادل العوا، منشورات الاسس ط1، الجزائر، 1990.

[26]- غاستون باشلار، فلسفة الرفض، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1985.

[27]- كون توماس، بنية الثورات العلمية، تر شوقي جلال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978.

[28]- ماهر عبد القادر محمد، فلسفة العلوم المشكلات المعرفة، ج 2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1984.

[29]- باتريك هيلي، صور المعرفة مقدمة لفلسفة العلم المعاصر، تر نورالدين شيخ عبيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1،2008.

[30]- كوريس هورنر وإمريس وسيتاكون، التفكير فلسفيا، تر ليلى طويل، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،ط1،2011.

[31]- توماس كون، بنية الثورات العلمية، تر حيدر حاج اسماعيل، دار النشر المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط3، 2007.

[32]- إيمري لاكاتوس، برامج الأبحاث العلمية، ترجمة ماهر عبد القادر محمد علي، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، ص 116.

[33]- جون بولكين هورن، ماوراء العلم- السياق الإنساني الأرحب، ترجمة يمنى طريف الخولي، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2000.

[34] بول فيرابند، ثلاث محاورات في المعرفة،تر محمد أحمد السيد، منشأ الإسكندرية،(د.ط) (د.س).

[35] خالد قطب، التعددية المنهجية، المكتبة الأكاديمية، ط1، القاهرة، 2008.

[36] عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1968.

[37] ألان شالمرز، نظريات العلم، ترجمة الحسين سحبان وفؤاد الصفا، دار يوبقال للنشر، المغرب، ط1، 1991.

[38] باول فيرابند، العلم في مجتمع حر، تر السيد نفادى ومراجعة سمير حنا صادق، المجلس الاعلى للثقافة، 1985

[39] يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، سلسلة عالم المعرفة، 1978.

[40] بول بيرابند، طغيان العلم، تر مركز دلائل، مراجعة وتحقيق عبد الله الشهري، مركز دلائل، الرياض، السعودية، ط1، 1438 .

[41] موريس شربل، التطور المعرفي عند بياجيه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1986.

[42] جان بياجيه، الابستمولوجيا التكوينية، ترجمة السيد نفادي، دار التكوين، بيروت، ط1، 2004.

[43] مريم سليم، علم تكوين المعرفة، ابستمولوجيا بياجي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2002.

[44] زواوي بغورة، مدخل جديد إلى فلسفة العلوم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

[45] جان بياجيه، علم التربية وسيكولوجية الطفل، ترجمة عبد العالي الجسماني، دار العربية للعلوم، لبنان، 1994.

[46] كامل محمد، محمد عويضة، علم النفس النمو، دار الطليعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

[47] جورج كانغليهم، دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها، ترجمة محمد ساسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2007.

[48] علي عبود المحمداوي، البيوتيقا والمهمة الفلسفية أخلاق البيولوجيا ورهانات التقنية، بن ولهة توفيق، ط1، دار الأمان، الرباط، 2014.

[49] شكري حامد نزال، مناهج الدراسات وأصول تدريسها، دار الكتاب الجامعي، العين، ط1، 2003.

[50] جابر الحديثي، أزمة العلوم الإنسانية، الفكر العربي، مجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية، 1985.

[51] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012.

[52] عبد الستار ابراهيم، الإنسان وعلم النفس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، كويت، 1985.

[53] ألفت محمد حقي، المدخل إلى علم النفس، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1992.

[54] محمد وقيدي، ماهي الابستمولوجيا، دار الحداثة، بيروت، ط1، .1983.

[55] إريك فروم، أزمة التحليل النفسي، تر طلاع عتريسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، (د ب) (د س) .

[57] سالم محمد عزيز نظمي ، تاريخ الفلسفة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

[58] ميشال فوكو، الكلمات والأشياء، ترجمة جورج أبي صالح كمال إسطفان، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990.

[59] أحمد إبراهيم الشلبي، تدريس الدراسات الاجتماعية بين النظرية والتطبيق، المركز المصري للكتاب، القاهرة، 1998.

[60] يمنى طريف الخوري، مشكلة العلوم الإنسانية وإمكانية حلها، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990.

[61] كلود ليفي ستراوس، الأنتربولوجيا البنيوية، 1983 ترجمة مصطفى صالح، مراجعة وحيد اسعد ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، 1983.

[62] بول موي، المنطق وفلسفة العلوم، ترجمة فؤاد زكريا، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية.

[63] أحمد مسعود، نظرية المعرفة، دار الغرب للنشر والتوزيع الجزائر، 2002.

[64] جان بياجيه، وضع علوم الإنسان في منظومة العلوم في اليونسكو، الاتجاهات الرئيسية للبحث في العلوم الاجتماعية، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، المجلد الأول، دمشق، 1976.

[65] جاك لاكان، اغواء التحليل النفسي، تر عبد المقصود عبد الكريم، دار المجلس الأعلى للثقافة، الإسكندرية، مصر ، ط1، 1999.

[66] جاك لاكان، اغواء التحليل النفسي، تر عبد المقصود عبد الكريم، دار المجلس الأعلى للثقافة، الإسكندرية، مصر ، ط1، .

[67] بورديو بيير وآخرون، حرفة عالم الاجتماع، تر نظير جاهل، دار الحقيقة، بيروت، 1993.

[68] عدنان حب الله، التحليل النفسي من فرويد إلى لاكان، دار الفرابي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1994.

[69] فريق من الباحثين، علم النفس وميادينه من فرويد إلى لاكان، تر وجيه أسعد، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1996.

[70] منار منصور شحاتة، المتخيل الثقافي في النظرية والتحليل النفسي معاصر، مركز الحضارة العربية، مصر، ط1، 2005.

[71] بيير بورديو، الرمز والسلطة، تر عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2007.

[72]- بيير بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، تر درويش الحلوجي، ، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، دمشق، ط2004،1.

[73]- ستيفان شوفالييه، كريستيان شوفيري، معجم بورديو، ترجمة :الزهرة إبراهيم، دار الجزاير للنشر، 2013.

[74]- جيريمي ريفكين، عصر الوصول، ترجمة صباح صدّيق الدملوجي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، .2009.

[75]- حسني إبراهيم عبد العظيم، حسام جابر أحمد، دور العمل التطوعي في تنمية رأس المال الاجتماعي للمرأة، مجلة كلية الآداب، جامعة بني سويف، مصر، 2013.

[76]- بيير بورديو، جان-كلود باسرون، إعادة الإنتاج، ترجمة ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ، لبنان،2007.

[77]- ستيفان شوفاليه وكريستيان شوفيري، معجم بورديو، ترجمة الزهرة إبراهيم، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دار الجزائر، سوريا، الشركة الجزائرية السورية النشر والتوزيع، 2013.

[78]- سامح رافع، المذاهب الفلسفية المعاصرة، مكتبة مدبولي، ط1، 1973.

[79]- يمني العيد، في معرفة النص ، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 3، 1985.

[80]- النوري قيس، ما الأنثروبولوجيا، سلسلة الموسوعة الصغيرة، دائرة الشؤون الثقافية العامة،1986.

[81]- حسين فهيم ، قصة الأنثروبولوجيا، فصول في تاريخ علم الإنسان، عالم المعرفة، 1986.

[82]- كلود ليفي ستراوس، الانثروبولوجيا البنائية، تر مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1977.

[83]- محمد مجدي الجزيري، البنيوية والعولمة في فكر كلود ليفي ستراوس، دار الحضارة للطباعة والنشر.

[84]- عبد الرزاق الداوي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي هيدغر، ليفي ستراوس، ميشل فوكو، دار الطليعة، بيروت، دط، دت.

[85]- دادلي شابير، المعنى والتغير العلمي، ترجمة السيد نفادي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996.

[86]- لدفيج فنجنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، ترجمة عزمي إسلام، مراجعة وتقديم زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968.

[87]- ناصر هاشم محمد، المدخل إلى فلسفة العلوم، دار الجوهرة للنشر والتوزيع، ط1، 2015.

[88]- برتراند راسل، ما وراء المعنى والحقيقة، ترجمة محمد قدري عمارة، المجلس الأعلى للثقافة، الإسكندرية ط1، 2005.

[89]- عبد الفتاح الديدي، الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، الدار القومية، للطباعة والنشر

[90]- صلاح قنصوة، فلسفة العلم، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1981.

[91]- يمنى ظريف الخولي، فلسفة كارل بوبر،منهج العلم منطق العلم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، 1989.

[92]- ماهر عبد القادر، فلسفة العلوم، مشكلات معرفية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000.

ب-باللغة الفرنسية:

[93]- Jean Piaget, épistémologie, Gouthière, Denoël, Paris, 1970.

[94]- F.Dagognet, Georges Canguilhem , philosophe de la vie, institut Synthélabo pour le progre de la connaissance, le plessis Robinson,1997.

[95]- Raymond Aron, les étapes de la pensée sociologique, Edition Gallimard, 1976.

[96]-Ayer, The Foundation of Empirical Knowledge, Macmillan press ,LTD,1979

[97-] Pier Bourdieu , choses dites, édition minuit, Paris 1987,

[98-]Ayer,The Central Question of philosophy, Pelican Bookls,1973

[99]- Comte Auguste, Cours de philosophie positive, Collection, Grainier, Tome 1, Paris, Introduction.

[100-] K. Popper , La connaissance objective , trad et préface par Jean Jacques Rosat ed. Flammarion , France 1991.

[101-] Contecor Georges, la positivisme, Librairie Paule, Paris.

[102]- Encyclopédie universalise, corpus7, France,1993.

[103-] G.Bachelard, La Formation de l'esprit scientifique, Contribution à une psychanalyse de la connaissance objective, Vrin, 1967.

[104-] Anouk Barrerouse et Autre(Sous la direction),Précis de philosophie des sciences, Paris, Vuibert, 2011.

[105-] Lalande André, Vocabulaire Technique et Critique de la Philosophie, ed, P.U.F ?France, 1996.

[106-]Serres Michel, éclaircissement, cinq entretiens avec Bruno Latern ,édition François bourrin, Paris,1992.

[107-] Serres Michel, éclaircissement, cinq entretiens avec Bruno Latern ,édition François bourrin, Paris,1992.

2/-المجلات والدوريات:

[108-] مشاط حياة، الظاهرة العلمية في فلسفة إمري لا ماكوش، مجلة قطاع الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر، المجلد 25، العدد1، 2020.

[109-]أحمد أنور، ضد المنهج، إطلالة على أزمة العقلانية الغربية المعاصرة ، سلسلة الفلسفة والعلم.

[110]-علي عبد المعطي وآخرون، قضايا العلوم الإنسانية، إشكالية المنهج، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة العدد الأول.

[111]- أزوال ابراهيم، حضور التحليل النفسي في متت بارتي www.aljabria bed.net/n15 04zarwa.htm 12جوان، 2019،

[112]-سعيد الكواكبي، بيير بورديو، بناء الموضوع في علم الاجتماع، مقال منشور على شبكة الأنترنت في موقع الحوار المتمدن، العدد 4853، 2015.

[113]-جاسم محمد أفراح، سعيد محمد علي حميد، الهابتوس رأس المال في فكر بيير بورديو، مجلة الأستاذ، العدد 21، المجلد الثاني، 2014.

[114]-حسني إبراهيم عبد العظيم، حسام جابر أحمد، دور العمل التطوعي في تنمية رأس المال الاجتماعي للمرأة ، مجلة كلية الآداب، .جامعة بني سويف، ع(27) ، مصر، أبريل- يونيو 2013 .

[115]-حساين المأمون، بيير بورديو نحو سوسيولوجيا الكشف عن الهيمنة (الحقل التربوي نموذجا)، مجلة دليل الكتاب: 24 www.dalilakitab.net/id 2014.

[116]-الزواوي بغورة، البنيوية منهج أم محتوه، عالم الفكر، العدد 4، المجلد 30، أبريل، 2002.

[117]- نزار الريس، اشكالية المنهج في العلوم الإنسانية " المنهج البنيوي نموذجا" ، مجلة علمية محكمة، المجلد 12، العدد2، الأردن، أيلول، 2008.

[118]- تيبس، تاريخ وفلسفة العلوم عند ميشال سير، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ، الكويت العدد4، المجلد 30،2002

3/- الموسوعات والمعاجم:

[1]- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليلو إشراف أحمد عويدات، المجلد الأول A-G منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2000.

[2]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي ، ج 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.

[3]- ابراهيم مدكور، المعجم الفلسفي،الهيئة العامة لشؤون المطابع الإمبرية، القاهرة ، مصر، 1983.

[4]- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار مأمون للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، مصر، 1979.

[5]- نوفي علي، قاموس عربي يوناني، مكتبة لبنان، بيروت، 1990.

[6]- بيلي فرانك، معجم بلاكويل للعلوم السياسية، ترجمة ونشر مركز الخليج للأبحاث، ط1، 2004.

[7]- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ط3، دار الثقافة الجدية، القاهرة، 1979.

[8]- فؤاد كامل، الموسوعة الفلسقية المختصرة، مراجعة زكي نجيب محمود، دار القلم، بيروت،(د.ت).

[9]-مشاط حياة، الظاهرة العلمية في فلسفة إمري لا ماكوش، مجلة قطاع الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر، المجلد 25، العدد1، 2020.

فهرس المحتويات

المحاضرة الأولى: في فلسفة العلوم

1/–مفهوم فلسفة العلوم، وغايتها وموضوعاتها.....ص2

2/–فلسفة العلوم وفروع المعرفة المجاورة لها.....ص5

المحاضرة الثانية: كارل بوبر والنزعة التكذيبية

1/–كارل بوبر ونقد النزعة الاستقرائية.....ص8

2/– نقد بوبر معيار مبدأ التحقق عند الوضعية المنطقية.....ص9

3/– قابلية التكذيب في مقابل التحقق.....ص11

4/– معيار التكذيب والقابلية التكذيب.....ص12

5/– مبدأ القابلية للتكذيب والمحتوى المعرفي، والاحتمال.....ص13

6/– نمو المعرفة وتقدم العلم.....ص14

المحاضرة الثالثة:. غاستون باشلارد والإبستمولوجية اللاديكارتية

1/–مفهوم الابستمولوجيا وخصائصها عند باشلارد.....ص19

2/–الابستمولوجيا اللاديكارتية.....ص22

3/–مفهوم العائق الابستمولوجي المعرفي عند باشلارد.....ص23

4/– القطيعة الابستمولوجية.....ص26

المحاضرة الرابعة: توماس كوهن وبنية الثورات العلمية

1/– مراحل تطور العلم السوي عند توماس كوهن.....ص30

2/– مفهوم الثورة العلمية عند توماس كوهن..... ص35

3/–الثورات العلمية والتحول في النظرة إلى العالم.....ص38

المحاضرة الخامسة: تطور العلم عند إمري لاكاتوس

1/-ميتودولوجية برامج الأبحاث العلمية عند لاكا توس.....ص41
2/- مكونات برامج البحث العلمية.....ص42
3/- التنافسية المفتوحة بين برامج الأبحاث العلمية ومآلها بين التقدم والتفسخ ص42

المحاضرة السادسة: بول فايرابند والفوضوية المنهجية

1/-الفوضوية الابستمولوجية عند بل فيرابند.....ص50
2/-ضد المنهج.....ص53
3/- التعددية المنهجية.....ص56
4/- نفد فيرابند لأسطورة تفوق العلم وامتيازه عن باقي النشاطات المعرفية....ص57

المحاضرة السابعة: جون بياجي والإبستمولوجيا التكوينية

1/مفهوم الابستمولوجيا التكوينية عند بياجيه.....ص61
2/- أقسام الابستمولوجيا التكوينية.....ص63
3/- مناهج الابستمولوجيا التكوينية.....ص64
4/- مراحل النمو العقلي والمعرفي عند الطفل.....ص65

المحاضرة الثامنة: جورج كانغليهم إبستمولوجيا البيولوجيا

1/- من الابستمولوجيا العامة إلى الابستمولوجيا الجهوية.....ص67
2/-المنهج الابستمولوجي للمعارف الطبية.....ص70

المحاضرة التاسعة: ابستمولوجيا العلوم الإنسانية

1/- مفهوم العلوم الإنسانية.....ص72
2/-المجال المعرفي للعلوم الإنسانية.....ص73
3/-مشكلات العلوم الإنسانية.....ص74

4/- خصائص الظاهرة الإنسانية.....ص75
5/- صعوبة اخضاع الظواهر الإنسانية للمنهج التجريبي.....ص77

المحاضرة العاشرة: لاكان وعلم النفس

1/- مفهوم علم النفس.....ص79
2/- أهداف علم النفس..... ....ص80
3/- مناهج علم النفس.....ص80
4/-الابستمولوجيا والتحليل النفسي عند لاكان.....ص81
5/- البعد الابستمولوجي لأزمة التحليل النفسي.....ص81
6/-نظرية لاكان في التحليل النفسي.....ص84

المحاضرة الحادية عشر: بورديو وعلم الاجتماع

1/- مفهوم علم الاجتماع عند بيير بورديو.....ص89
2/- موضوع علم الاجتماع.....ص90
3/-منهج علم الاحتماع عند بيير بورديو.....ص91
4/-الابستمولوجية السوسيولوجية عند بورديو.....ص92
5/-مراحل بناء الموضوع السوسيولوجي.....ص93
6/-المفاهيم السوسيولوجية عبد بيير بوردي.....ص100

المحاضرة الثانية عشر: ليفي ستراوس وعلم الإناسة

1/- المنهج البنيوي عند كلود ليفي ستراوس.....ص107
2/- مبادئ المنهج البنيوي.....ص108
3/- مواضيع الأنثروبولوجية البنيوية.....ص111

المحاضرة الثالثة عشر: المعرفة العلمية عند ألفرد آير

1/- التحليل المنطقي عند آير..... ...ص117
2/- نظرية المعرفة عند آير.....ص119
3/-المعرفة العلمية وعلاقتها بالحس المشترك.....ص121
4/-التمييز بين العلم واللاعلم عند آير.....ص125
5/- مبدأ التحقق عند آير.....ص126
6/-المعرفة العلمية وعلاقتها لالاستقراء.....ص128

المحاضرة الرابعة عشر: الابستمولوجيا الموجبة عند ميشال سير

1/- الابستمولوجية الموجبة عند سير.....ص131
2/- موضوع الابستمولوجيا الموجبة عند سير.....ص133
3/- خصائصها.....ص134
4/- مهام الابستمولوجيا الموجبة.....ص136
فهرس المصادر والمراجع.....ص 147-137
فهرس المحتويات..... ص148-151